



امبراطورية البرنو الإسلامية

تأليف

دكتور ابراهيم على طرخان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

امبراطورية البرنو الإسلامية

جمهورية مصر العربية

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

— ١٦٦ —

تأليف [١١٢]

تاريخ [٢٢]

القاهرة

١٣٩٥ — ١٩٧٥

الدول الإسلامية القومية
في السودان الأوسط

امبراطورية البرنو الإسلامية

تأليف

دكتور ابراهيم علي طرخان

استاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس
قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة
الرياض



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

دلالة كلمتى البرنُو والكانم — اختيار العنوان — أهمية تاريخ دولة البرنو الإسلامية : دلالة طول عمرها — دولة إفريقية قومية — أثر الإسلام والعروبة فى ازدهارها — ثراء المكتبة العربية البرنوية — برنو من الدول الإسلامية الكبرى — ظهورها فى خرائط أوربا منذ القرن الرابع عشر — المراجع العربية البرنوية والإفريقية وغيرها — ماكتبه الرحالة والأجانب.

أطلق الشوا ، وهم العرب فى منطقة بحيرة تشاد كلمة بارنو ، على مجموعة قبائل الكانورى ، وليست هذه التسمية ، سوى تحريف لكلمة باران Baran أو بارام Baram فى بعض اللغات الصحراوية ، ومعناها : الرجال أو المحاربون ، ومفردها بار Bar (١)

كذلك وردت هذه التسمية ، بهذه الدلالة فى المراجع العربية ، فيقال بلاد البرنو أو مملكة البرنو ، كما يقال صاحب البرنو أو ملك البرنو ؛

(١) The Bornu Sahara and Sudan, pp. 6, 125.

وكذلك الشأن بالنسبة لكلمة « كانم » ، فهى تدل على « جنس من السودان » ، فيقال بلاد الكانم أو مملكة الكانم ، كما قيل صاحب الكانم (١)

على أن هذا المدلول لهاتين الكلمتين ، لم يقتصر على الإشارة إلى السكان أو القبائل المشهورة بهذه الأسماء ، وإنما صار يعنى كذلك المواضع أو المناطق التى تقيم بها هذه القبائل ، فقد أشار اليعقوبى فى القرن التاسع الميلادى إلى « كانم » باعتبارها موضعا أو مكانا (٢) ، وكذلك فعل ياقوت الحموى ، فى القرن الثالث عشر الميلادى ، حين تحدث عن إقليم كانم وموقعه (٣) ، وربما كان ابن سعيد (ت ١٢٨٦ م) ، من أوائل من تحدثوا من كتاب العرب ، عن برنو بشىء من التفصيل من حيث دلالتها على إقليم أو مكان ، ومن حيث موقعها الحقيقى (٤) وهو غرب بحيرة تشاد ، وكذلك أشار صاحب الفتاش إلى ملك برنو بأنه « سلطان برن » (٥) .

وجاء اختيار عنوان هذا البحث : إمبراطورية البرنو الاسلامية أو دولة البرنو الاسلامية ، على أساس المدلول الأصلى لكلمة البرنو فإن القبائل التى أطلقت عليها هذه التسمية وهى قبائل الكانورى ، هى صاحبة الفضل فى إقامة الدولة ، موضوع البحث ، حقيقة أقاموها أولا فى إقليم كانم ، لكن هذه القبائل كانت تنتشر أكثر مايكون فى منطقة برنو عنها فى إقليم كانم ، كما أن الأسرة الحاكمة ، المقول بأنها سيفية ، وهى التى أقامتها هذه القبائل ، ظلت تحكم حتى قرب

---

(١) العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ص ٢٩ ؛ مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٠ ؛ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا جـ ٥ ص ٢٧٩ - ٢٨٠ معجم البلدان جـ ٧ ص ٢١٠ القاموس المحيط .

(٢) اليعقوبى : تاريخه جـ ١ : ص ١٥٦ - ١٥٧

(٣) معجم البلدان جـ ٧ ص ٢١٠

(٤) L. Lugard, A Tropical Dependencey, p. 270.

(٥) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ٣٨

منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، كما أن خلفاءها من أسرة الشيخ الأمين الكانمي ، وهم الذين عرفوا «بشيوخ برنو » ؛ ظلوا يحكمون من إقليم برنو حتى زالت دولتهم فى غمرة الاستعمار الأوربى الحديث ، منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وإن ظل شيوخهم يحكمون تحت سيادة الاستعمار حتى أوائل القرن العشرين . هذا وكانت شهرة دولة البرنو وتطورها، أعظم منها فى العصر البرنوى ، عما كانت عليه فى العصر الكانمى ، والمقصود بالعصر الكانمى أو عصر سيادة كانم ، العصر الذى كانت العاصمة فيه فى مدينة جيمى فى كانم شرقى بحيرة تشاد ، وعصر سيادة برنو ، هو العصر الذى كانت فيه العاصمة فى إقليم برنو ، وهو أطول كذلك من حيث الزمن .

وتاريخ دولة البرنو الاسلامية هام من جوانب عدة ، أهمها أنها دولة إسلامية كبرى عمرت أكثر من تسعة قرون ، والدولة أو النظام الذى يبقى هذه المدة الطويلة رغم مايعرض لها من صعاب وكوارث ، هى من غير شك دولة وطيدة الأركان ثابتة الدعائم ، ولولا قوة نظمها وأصالة القواعد التى قامت عليها لما عاشت هذه القرون بصرف النظر عما تعرضت له من سعة أو انكماش فى حدودها ؛ فهذه عوارض تصيب الدول كأى كائن حى .

ثم إنها دولة أفريقية بحتة ، أقامها الوطنيون الإفريقيون فى بلاد السودان ، وحافظوا عليها وعلى عظمتها ؛ ويزيد فى أهمية تاريخ دولة البرنو الأفريقية أنها لم تبلغ ما بلغت من عظمة وقوة وعمر طويل ، إلا منذ صارت دولة إسلامية ، فقد أضحى الدين الاسلامى عصب قوتها الروحية بل المادية ، كما صارت العربية لغتها الرسمية فى شتى مناحى الحياة ، من نظم حكم وإدارة واقتصاد وثقافة وعلوم وفنون ، بل أضحت اللغة العربية لغة التخاطب الدولية والمعاهدات بينها وبين غيرها من البلاد ، سواء أكانت تلك البلاد داخل القارة الأفريقية أم خارجة عنها .

ولقد أصاب بعض المنصفين من كتاب الغرب حين قال : « إنه بالإسلام يبدأ العصر التاريخى لافريقية السوداء » (١). والمقصود بأفريقية السوداء ، البلاد الافريقية الواقعة جنوبى الصحراء الكبرى .

هذا ودولة البرنو الإسلامية مشهورة فى التاريخ ، بكثرة ماخلفت للمكتبة العربية من مصنفات فى شتى فنون العلوم الإسلامية ، حقيقة ضاع معظم هذه المصنفات العربية ، خلال الفتح الفولانى لبلاد الهوسا فى القرن ١٩ ، وخلال حركات الصراع القومى الأفريقى ضد المستعمر الأوروبى الغربى ، إلا أن مابقى أو نجا من هذه المصنفات البرنوية العربية ، يفوق ماخلفته الدول الإسلامية الأفريقية الأخرى ، مثل غانه ومالى وصنغى .

يقول أوكافور Okafor : عند ما جاء المستعمر الأوروبى إلى غرب أفريقية فى القرن التاسع عشر ، كان المثقفون الأفريقيون يكتبون باللغة العربية ، وكانت جميع المدونات والسجلات التاريخية عن غربى أفريقية ، وهى التى عثر عليها المستعمرون ، كانت جميعها مكتوبة باللغة العربية (٢) .

وبهذا الوضع كانت صلة برنو بالعالم الإسلامى العربى قوية مستمرة ، وهى صلة ذات جوانب عدة : تجاريا وثقافيا وسياسيا ، وأكثر ما قامت هذه الصلة بمصر وشمالى أفريقية ، وبهذه الصلات ، ارتبطت برنو الإسلامية بأرقى الحضارات الإنسانية المعاصرة ، وهى الحضارة الإسلامية العربية ، مما مكنها من التقدم والتطور ، حتى ملأت شهرتها جميع المساحات الشاسعة بين النيل والنيجر ، وتقدر هذه المساحات بنحو مساحة القارة الأوربية ، بل إن هذه الشهرة ، قد تعدت حدود القارة الافريقية .

ومن أجل هذا علق صاحب كتاب الفتاش على دولة برنو الاسلامية وعظمتها ، بقوله ، إن صاحب برنو هو أحد سلاطين الدنيا الأربعة

---

(١) Gouilly, l'Islam dans l'Afrique Occidentale Française, p. 45.

(٢) Okafor, History of West Africa, pp. 23-24.

العظام : وعبارته : سلاطين الدنيا أربعة ، : — السلطان الأعظم سلطان بغداد ، وسلطان مصر وسلطان برن وسلطان مل (١) :

وهناك وثيقة عربية ، عثر عليها فى حوزة قاضى مدينة نجاسكى N'gaski قرب يورى Yauri على النيجر ، وردت فيها عبارات تلخص تقييماً شاملا لتاريخ السودان الأوسط والغربى ، ومما جاء فى هذه الوثيقة :

«ينبغى أن تعلم بأن بلاد السودان ثلاثة أنواع : العظيمة والمتوسطة والدون ، ومن الدول العظيمة : برنو وأهير (أغاديس) وصنغى ، ومن الدول المتوسطة ، دول الهوسا مثل زاريا وكانو .

وفى هذه الوثيقة كذلك ، أن سلطان برنو مبسوط على مملكتى باغرمى ووادای ، فضلا عن أن برنو تمتلك ثلث البلاد المتوسطة ونصف البلاد الدون . (٢)

وقد وصلت شهرة برنو وعظمتها إلى أوربا منذ العصور الوسطى ، فظهرت فى الخرائط الأولى التى صدرت بأوربا خلال تلك العصور عن مدرسة ميورقة لرسم الخرائط ، ظهرت فى خريطة دلكرت Dulkert عام ١٣٣٩ وفى الخريطة القطالونية عام ١٣٧٥ وفى غيرها من الخرائط ؛ وكان ظهورها فى هذه الخرائط تحت اسم «ملك أورجانا»Rex Organa ، وأورجانا الاسم الوثنى القديم للملك برنو ؛ وتعنى هذه التسمية كذلك الطبقة الحاكمة فى برنو . (٣)

وأهم المراجع الأصلية التى يرجع اليها فى تاريخ برنو . المراجع العربية سواء أكتبها الوطنيون الأفريقيون أم كتبها العرب .

---

(١) تاريخ الفتاش ص ٣١

(٢) Palmer, op. cit., p. 267.

(٣) De La Roncière, La Découverte de l'Afrique au Moyen, Age, T. I, pp. 122-128; Palmer, op.cit., pp. VII, 197 208-209; Davidson, Old Africa, Rediscovered, pp. 100-101.

من هذه المراجع ماكتبه الإمام أحمد بن فرتوا مؤرخ بلاط برنو زمن إدريس ألوما ، فما زال الكثير من كتاباته باقيا إلى اليوم ؛ وهناك جزآن من التاريخ الذى كتبه فى عهد الماى إدريس ألوما ، ويتناولان أحداث وحروب الاثنتى عشرة سنة الأولى من حكم إدريس ألوما ؛ يقع الجزء الأول فى ٧٧ صفحة والثانى فى ١٤٥ صفحة ، وتوجد وثيقة عربية مختصرة عن السفارات التى أرسلت إلى طرابلس من قبل بعض مايات برنو ، وهذه نشرت فى مجلة الجمعية الجغرافية فى باريس عام ١٨٤٩م .

ومن المراجع الأصلية « ديوان » سلاطين برنو ، ويعتبر من الوثائق الهامة ، فهو يضم قائمة بأسماء المايات من الأسرة السيفية ومؤلف هذا الديوان ، الشيخ سفرمه عمر بن عثمان ، الذى ألف فى تاريخ برنو أوائل القرن السادس عشر الميلادى . وقد عثر الرحالة بارث الألمانى على إحدى نسخ الديوان حوالى عام ١٨٥٣ م ، وهنـــاك الوثائق العربية المعروفة باسم « المحارم » وهى التى أصدرها سلاطين برنو فى العهود المختلفة ، تتناول الامتيازات التى منحت لبعض العلماء المسلمين والأسر ، فضلا عن المعلومات الخاصة بأحوال ونظم برنو الداخلية ، وقد ترجم بالمر من هذه المحارم ٢٠ محرما فى كتابه The Bornu Sahara ، كما ترجم عددا من الرسائل العربية والمعاهدات بل ترجم بعض القصائد الشعرية العربية ، ومنها قصيدة ضمت أسماء بعض المايات ؛ وترجم فى كتابه الثانى ، وعنوانه Sudanese Memoirs ويقع فى ثلاثة أجزاء ، عددا كبيرا من الوثائق والمصنفات العربية الخاصة بتاريخ برنو وجيرانها ، فترجم فى الجزء الأول مثلا ، حروب برنو ضد كانم لمؤلفها أحمد بن فرتوا وترجم فى الجزء الثانى : ٤٤ مخطوطة عربية منها : قوائم بأسماء ملوك البولالا ، ومنها أحداث الصراع بين البولالا ومايات برنو والحرب ضد الصو ، ثم تاريخ بعض المايات أمثال : دونمة وبالمى ، وإدريس وداود ، وتاريخ بعض الولايات ، مثل ماندرا ؛ وترجم فى الجزء الثالث ١٧ مخطـــوطة ، منها بعض « المحارم » الخاصة

بدخول الإسلام فى برنو ومايتعلق بأخبار قبائل الكانمبو ، وشجرة أنساب الأسرة السيفية ، وتاريخ سلطنة أهير وتاريخ بعض دول الهوسا مثل كانوا وكاتسنا ودَوْرَى .

وهناك كتاب التاريخ الهام ، وعنوانه « إنفاق الميسور فى فتح بلاد التكرور » لمؤلفه السلطان محمد بللو سلطان سوكوتو الفولانى ، وقد ألفه فى الفترة مابين ١٨١٠ ، ١٨٢٥ وأورد فيه خلاصة وافية عن تاريخ البرنو وأصولها ، وأشار إلى انتشار الإسلام فى برنو وإلى كثرة العلماء المسلمين ، وأوضح تفوق برنو عن غيرها من دول السودان الأوسط فى كثرة العلماء المسلمين ، وتقدم العلوم العربية والقرآنية ، وقد ترجم بالمرعدداً كبيراً من فصول هذا الكتاب ؛ قام على تحقيق هذا الكتاب ونشره فى لندن عام ١٩٥١م الأستاذ وتنج C.E.J. Whitting وهو أستاذ بمدرسة العلوم العربية فى كانو .

ومن الوثائق العربية الهامة فى تاريخ برنو ، ماكتبه الشيخ محمد أمين الكانمى ، من ذلك مثلا : رسالة عربية بعث بها إلى جورج الرابع ملك انجلترا ، وقد حملها معه الرحالة الضابط الإنجليزى المستعمر دنهام ، وهناك رسالة عربية كتبها شيخ برنو إلى الرحالة الإنجليزى كلابرتون ، وقد ترجمت هذه الرسائل وغيرها فى الكتاب الذى صنفه الرحالة دنهام وزميله(١) تحت عنوان :

Narrative of Travels and discoveries in Northern and Central Africa in the years 1822-1823 and 1824

وقد نشر هذا الكتاب فى لندن عام ١٨٢٦ . (٢)

ومن الكتب العربية الأخرى ، كتاب « تاريخ الفتاش » لمؤلفه محمود كعْتِ الذى بدأ تأليفه عام٩٢٥هـ /١٥١٩م ، وهو وإن تناول تاريخ دولة صنغى الإسلامية بالتفصيل إلا أنه أورد بعض إشارات خاصة بدولة برنو ، يضاف إلى ذلك ماكتبه المؤرخون العرب أمثال : اليعقوبى وابن حوقل

(١) انظر الفصل السابع (٢) انظر المراجع

والمسعودى والبكرى والإدريسى والغرناطى وياقوت الحموى وابن سعيد والعمرى وابن بطوطه وابن خلدون والقلقشندى والمقريزى وحسن بن محمد الوزان الفاسى وغيرهم ، وابن الوزان الفاسى هو الذى اشتهر فى أوربا باسم الأفريقى » وظفر كتابه : تاريخ ووصف افريقية وأشهر ما فيها من عجائب بنجاح منقطع النظير فى أوربا ؛ وكان مكتوبا باللغة العربية وفى حوزة صاحبه عندما وقع أسيرا فى أيدى القراصنة المسيحيين قرب سواحل تونس عام ١٥١٨ م ، وأهدى إلى البابا ليو العاشر فى روما، حيث حوله البابا إلى المسيحية وأطلق عليه اسمه .

وقام ليو نفسه بترجمة كتابه إلى اللغة الإيطالية التوسكانية فى عام ١٥٢٦ م ثم صدرت بعد ذلك طبعات وترجمات أخرى له ، وأول نشر معروف لهذا الكتاب باللغة الإيطالية ، بعد ترجمة ليو نفسه ، صدر فى البندقية عام ١٥٥٠ م ، وهو ماقام به رامسيو Ramusio ، ضمن كتابه عن الرحلات والأسفار . وهناك ترجمة إيطالية أخرى أصدرها ليفيوسانوتو Livio Sanuto فى البندقية عام ١٥٨٨م، ثم صدرت ترجمة أسبانية فى غرناطة عام ١٥٧٣ م ، قام بها كارفجال دومارمول Carvajal de Marmol ، ثم أعيد نشر النسخة الأسبانية فى مالقه عام ١٥٩٩ م .

ومن الترجمات الإنجليزية القديمة لكتاب ليو ، ترجمة جون بورى John Pory، وهذه صدرت فى لندن Londini عام ١٦٠٠ م . ومن الترجمات الفرنسية ترجمة أصدرها تمبورال Temporal فى ليون عام ١٥٥٦م،وترجمة أخرى أصدرها بيرودا بلانكور Perrot d'Ablancourtفى باريس عام١٦٦٧ ؛ وأصدر شارل شيفر وكوردي Cordier, Schefer ترجمةأخرى فى باريس فى الفترة ما بين (١٨٩٦، ١٨٩٨)

وهناك ترجمة ألمانية فلمنكية أصدرها دابر O. Dapper فى أمستردام عام ١٦٦٨ م .

ولقد استفاد جميع رسامى الخرائط فى أوربا فضلا عن المكتشفين ، والكتاب ، من المعلومات التى أوردها ليو عن أفريقية منذ القرن السادس

عشر إلى القرن الثامن عشر ، إذ كانت المعلومات التى تضمنها كتاب ليو عن المناطق الداخلية من النيجر إلى حوض بحيرة تشاد ونهر شارى ، تمثل أدق المعلومات التى صادفتها أوربا فى ذلك الوقت ، بل اعتبرت معلومات جديدة ، وعلى ضوء هذه المعلومات ، أصبحت الخرائط التى أصدرها رسامو الخرائط عن افريقية ، منذ منتصف القرن السادس عشر ، أكثر دقة عما صدر قبلها من خرائط (١) .

وعلق بعض كتاب الغرب على أهمية المراجع التى كتبها العرب عن التاريخ الافريقى ، جنوبى الصحراء الكبرى بقولهم :

«لم تكن هناك معلومات عن افريقية جنوبى المغرب قبل مجىء العرب إلى شمالى افريقية ، ونحن ندين بجميع المعلومات عن هـذه الأصقاع الجنوبية للمؤرخين العرب (٢)

وممن كتبوا فى تاريخ برنو ،الرحالة الأوربيون الذين زاروا تلك البلاد ، وأولهم الدكتور بارث Barth الألمانى ، فقد زار بلاد السودان الأوسط والغربى فى الفترة ما بين ١٨٤٩ ، ١٨٥٥ م وجمع عدداً كبيراً من الوثائق العربية ، كما ألم بعادات وتقاليد البلاد التى زارها ،ونقل الكثير من المعلومات عن هذه الوثائق والمخطوطات العربية التى جمعها عن تاريخ البرنو وغيرها من بلاد السودان الأوسط ، ولاسيما دول الهوسا . ومن المخطوطات العربية التى عثر عليها ، ديوان سلاطين البرنو : ويقال إنه أرسلها على الفور من كوكيا عاصمة شيوخ البرنو المعاصرين لرحلته ، إلى جمعية ليبزج للدراسات الشرقية عام ١٨٥٢م ، كما عثر على التاريخ الذى كتبه أحمد بن فرتوا ، وأرسله إلى ملكة انجلترا فقد كان بارث يقوم برحلته وعمله لحساب الحكومة الإنجليزية . وهذا بجانب مخطوطة أخـرى فى تاريخ البرنو ، وعثر بارث كذلك ، على مخطوطة لتاريخ مملكة صنغى الاسلامية ، تأليف أحمد بابا كبير علماء صنغى

---

(١) De La Roncière, T. I, p. 171; Bovill, The Golden Trade of The Moors, pp. 121-133

(٢) انظر المراجع العربية رقم ٣٨ والأجنبية رقم ٥٨

استفاد بارث من هذه المخطوطات ، كما استفاد من كتاب ليو الافريقى ، وظهرت نتائج هذا كله فى كتابه الذى نشر فى لندن عام ١٨٧٥ ، وعنوانه :
Traels and piscovaries in Nonth and centnal afnica (1849 — 1855)

وقد ذيل على كتاب بارث رحالة آخرون أمثال فوجل Vogel (١٨٥٤ ١٨٥٦) وبيرمان Beurman (١٨٦٠) ورولف Rohef (١٨٦٦) وناختجال Nachtigal (١٨٧١) ؛ وكان ناختجال قد حمل إلى الشيخ عمر شيخ برنو (١٨٣٥—١٨٨٠) هدية من قبل وليام ملك بروسيا ؛ وكذلك الرحالة الفرنسي شارل مونتى Ch. Monteil .

وظهرت بعد ذلك مؤلفات الموظفين الأوربيين المستعمرين فى نيجيريا والكمرون والكونغو الفرنسية حينئذ وغربى أفريقية عامة ؛ ومنذ عام ١٩٠٠م، أخذت بحوث البعثات العلمية الفرنسية فى الظهور فضلا عن كتابات المكتشفين من الضباط والرحالة .

***

أما بعد — فإنى أرجو أن أسد ، بهذا البحث ، بعض الفراغ فى المكتبة العربية ، والله ولى التوفيق .

٢١ جمادى الآخرة ١٣٩٤ هـ
١ يوليه (تموز) ١٩٧٤ م

ابراهيم على طرخان

الفصـــل الأول

مهد الامبراطورية وعناصر سكانها

السودان الأوسط ـ منطقة بحيرة تشاد وأهميتها ـ الامتزاج بين عنـاصر السـكان وأثره ـ مجموعة قبائل الصـو So (العماليق) ـ هل هم من سلالة الهكسوس ؟ أصولهم من وادى النيل ـ خصائصهم الجسمانية ـ دولة الصو فى كاوار ـ من أساطيرهم ـ خصائص حضارتهم وسمو مركز المرأة عندهم ـ أثر الحضارة المصرية القديمة ـ قبائل الكانمبو ـ دلالة كلمة « كانمبو » ـ انتشارهم شرقى تشاد ـ الكانورى ولغتهم ـ أصولهم العربية ـ حضارتهم وسمو مركز المرأة لديهم ـ التيبو أو التدا البربر وسمو مركز المـرأة ـ العرب « الشـوا » ـ فروسيتهم ـ الطوارق ـ الفولانيون أو الفلاتا ـ الهوسـا ـ عناصر أخرى ٠

●

السودان الأوسط جزء من إقليم غربي أفريقية وهو الإقليم الممتد من المحيط الأطلسي غربا إلى بحيرة تشاد شرقا أو هو فيما عرفه كتاب أوربا فى العصور الوسطى منطقة « نجرتيا » Nigritia ، نسبة إلى نهر النيجر Ni—Gir (١) . كذلك تعرف هذه المنطقة باسم السودان الغربي والأوسط (٢) ، وهى جزء من بلاد السودان التى عرفها كتاب العرب ورحالهم ، وهى البلاد التى يحدها بحر الظلمات (المحيط الأطلسى) من الغرب وحدود بلاد الحبشة الغربية من الشرق ، أى أن بلاد السودان تشمل فى عرف العرب ، من الناحية الجغرافية إقليم غربي أفريقيا ومعظم سودان وادى النيل (٣)

وبينما قامت إمبراطوريات غانة ومالى وصنغى والتكارره فى السودان الغربي ، أساسا ، قامت إمبراطورية بورنو فى السودان الأوسط ، كما قامت فيه كذلك إمبراطوريتا الهوسا والفولانيين .

على أن أخبار غانا ومالى وصنغى ، أو سُغَىْ لم تستوعب كل تاريخ غربى أفريقيا القومى وذلك خلال القرون التى بلغ فيها هذا الجزء من القارة ذروة مجده وعظمته فى ميدان التقدم والمدنية .

فهناك دول أخرى أو امبراطوريات أفريقية أخرى ، أخذت طريقها نحو النمو والتطور ، من المجتمع القبلى المفكك ، إلى مجتمع قومى موحد فى

---

(١) أول من أطلق هذه التسمية على هذا النهر المؤرخ الرومانى بلينى الكبير Plinius حوالى عام ١١٥ م ، ومعنى هذه التسمية : نيل الأجناس السوداء .

(٢) L. Lugard, Atropical Depindeney p. 286; Blyden, Christianity, Islam and The Negro Race, p. 350.

(٣) الغرناطى : كتاب تحفة الألباب ص ٤١ ؛ أبو الفدا : كتاب تقويم البلدان ص ١٥١ — ١٥٤ ؛

Pedler, West Africa, p. 14 ; Cooley, The Negro Land of The Arabs, pp. 1-14 ; Okafor, West Africa Background, pp. 15-16.

دولة مركزية ، كما أخذت آمالها تتسع وتسمو ، للوصول إلى مستوى أرفع من مستويات الحياة التى تخلصت منها . (١)

من هذه الدول الأفريقية دولة برنو التاريخية الكبرى ، وهى التى لم يعد لها وجود فى العصر الحاضر ، فقد توزعت فى الدول الحديثة التى استقلت منذ عام ١٩٦٠ ، وكانت من قبل قد مزقها الاستعمار الأوربى(٢) .

قامت إمبراطورية البرنو فى الأجزاء التى لم تستطع أن تصل إليها سيادة الامبراطوريات الافريقية السابقة ، (٣) فى هذه الأجزاء نهضت قبائل أخرى وعناصر أخرى قوية ونجحت فى القيام بالدور التاريخى القومى الذى قامت به من قبل : قبائل السوننك فى غانا (٤) والماندنجو فى مالى (٥) والصنغى فى صنغى (٦) .

ومهد إمبراطورية البرنو ، هو منطقة بحيرة تشاد Chad الواقعة إلى الشرق من دول الهوسا ، وتتوسط هذه البحيرة قلب هذه الامبراطورية ، وموقعها مركز هام لالتقاء طرق القوافل المارة عبر أفريقية (٧) مما جعلها مركز نشاط وحياة ، فضلا عن أن منطقة بحيرة تشاد منطقة خصبة ، اجتذبت إليها كثيرا من العناصر القوية ، يضاف إلى ذلك ، أن طبيعة المنطقة ، من حيث خلوها من العوائق الطبيعية كالصحراء أو الغابات أو المرتفعات أدت إلى تيسير النقلة منها وإليها ، وساعدت على استقرار كثير من المجموعات ، وإلى اشتغالها بالزراعة ، بجانب المجموعات التى استمرت على ممارسة الرعى .

انتشرت عدة قبائل حول شواطىء بحيرة تشاد واستقرت فيها وامتزج

---

(١) Davidron, Old Africa Rediscovered p. 100

(٢) انظر ما يلى فى الفصل السابع

(٣) Okafor, p. 33

(٤) إمبراطورية غانه الإسلامية للمؤلف (المكتبة العربية) ١٩٧٠

(٥) قيام إمبراطورية مالى الإسلامية للمؤلف (١٩٧٠)

(٦) Davidson, op. cit. p. 100

(٧) Barth, Travels and Discoveries in Nosth and Central Africa, II, pp. 319-335.

بعضها ببعض ، ووصل إليها عدد كبير من الكوشيين منذ الأزمنة القديمة ، كما جاءت هجرات منهم خلال القرن الرابع الميلادى ، وذلك على أثر الفتح الأكسومى لبلاد كوش (١) . وهناك الأعداد الجمة من قبائل البربر الصحراوية التى هبطت من ناحية الشمال ، بل حدث أن تحكم البربر فى واداى Wadai شرقى تشاد ، وازداد اختلاطهم واندماجهم بالوطنيين الزنوج المقيمين حول شواطئ البحيرة .

على أن سيل الهجرات ، وكذلك الغزوات ، لم ينقطع من ناحية الشمال ومن ناحية حوض النيل فى الشرق ، ولا سيما بعد الفتح العربى الإسلامى لمصر وشمال افريقية فى القرن السابع الميلادى (٢) . ولقد أدى اختلاط المهاجرين البيض من العرب والبربر وكذلك من الفولانيين ، بالوطنيين الزنوج ، إلى ضعف الصفات الزنجية النقية ، وبخاصة فى اللون ، فلم يعد هناك جنس نقى محتفظ بصفاته الأصلية ، بل توجد مجموعات من هذا الخليط . (٣) وتضم منطقة تشاد ما لايقل عن خمس عشرة لغة متباينة . (٤)

ويمكن أن نتبين من هذه المجموعات من سكان منطقة تشاد : قبائل الصو (Sau أو Seu أو Sos أو Ses أو Soy أو Sao أو So) والمعروف قليل عن أصول هذه القبائل وتحركاتها واستقرارها فى تلك

---

(١) راجع : Budge, A History of Ethiopia, Nubia and Abyssinia, T. I, pp. 242-243; Coulbeau, Histoire Politique et Religieuse d'Abyssinie, I, pp. 138-139 ; Kamarer, Essai sur l'Histoire Antique d'Abyssinie, pp. 58, 78-88.

(٢) Murdock, Africa Its Peoples and the Cultural History, pp. 136-137 ; Carbou, La Region du TChad, I, pp. 104-107 ; Shinnie, Ancient African Kingdoms, p. 67.

(٣) Trimingham, Islam in West Africa, p. 10

(٤) Burns, History of Nigeria, p. 53; Bernard, Afrique Septentrionale et Occidentale, (Geog. Univ.), T. XI, p. 424 ; Barth, op. cit., pp. 319-335 ; Trimingham, op.cit., p. 16 ; Fage, an Introduction to the History of Western Africa, p. 34 ; De La Roncière, op.cit., I, pp. 80-81.

البقعة ؛ يقول الرحالة بارث Barth : إن الصو أحد أقسام الفولانيين ، وإنهم السكان الأصليون لمعظم الإقليم الواقع بين واحة يوأو واو (Yeou Wau) ، الواقعة شمالي تيبستي وبين نهر شاري Shari جنوب بحيرة تشاد . وتقع واحة واو ، في المنطقة التي عرفها العرب باسم ودان (١) .

وعن بالمر palmer : إن أول سكان كاوار Kawar هم الصو ، ويفسر كلمة صو ، بمعنى « العماليق » ويذكر كذلك أنهم جاءوا أصلا من فزان (٢) ، ويحدد إرفوى Urvoy تاريخ هجرتهم الكبرى إلى منطقة تشاد بحوالى القرن الثامن الميلادى ، ويقول إنهم انتشروا ، أولا على الضفة الشرقية للبحيرة كما انتشروا في منطقة السافانا الممتدة شمالي البحيرة ، ثم استقروا أخيرا في أقصى جنوب البحيرة ، وفي إقليم برنو غربي البحيرة (٣) .

وحاول بعض الكتاب أن يرد أصول الصو إلى سلالة الهكسوس ، على أساس التشابه في الخلقة ، والدور التاريخي الذى قام به هؤلاء في قلب أفريقية وأولئك في مصر ، ويميل العالم الأثرى الفرنسى لوبيف Le Beuf إلى الأخذ بهذا الرأى (٤) .

والمحتمل أن هؤلاء الصو من أصل نيلوتى ، أى من حوض النيل ، ويمتاز هؤلاء بطول القامة ، كغيرهم من سكان وادى النيل ، وهذا ما يلقى بعض الضوء على شهرتهم بالعمالقة (٥) إلا أن أساطيرهم القديمة تبالغ في إبراز صفة الطول والضخامة ، حتى قيل إن طول الواحد منهم لا يقل عن نحو عشرين ذراعا (٦) ، وإن أصواتهم

(١) Shinnie, p. 67; Barth, p. 636 ; L. Lugard, op. cit pp. 271-272 ; Palmer, The Bornu Sahra and Sudan p. 4 ; .

(٢) Palmer, Sudanese Memoirs, Vol I, p. 63, II, pp. 64-68

(٣) Davidson, op. cit p. 103 ; L. Lugard, op. cit pp. 271-272 ; Meek, The Northern Tribes of Nigeria, Vol I, p. 79

(٤) Davidson, op. cit pp. 35-36, 101-102

(٥) Ibid., p. 101

(٦) The Bornu Sahara, p. 126 ; Okafor, op. cit p. 33 Davidson, op. cit p. 101.

عالية مزعجة ، بحيث إذا صاح أحدهم : هاجت الطيور فى أوكارها ، وأنهم لا يصطادون إلا ضخام الحيوانات مثل فرس النهر أو الفيل ، وقيل كذلك : يستطيع الفرد من الصو أن يحمل مثل هذا الحيوان فى سهولة ، ويسر ، وأنهم اتخذوا قسيهم من جذوع الأشجار الضخمة مثل النخيل، بل إن الأرض لتنوء بثقل أجسامهم ، ومن أجل هذا ، لم يجد الصـــو صعوبة فى إخضاع « الصغار » الذين داهموهم (١) .

كوّن هؤلاء العمالقة دولة لهم قبل مطلع القرن التاسع الميلادى تقريبا ، ومركز هذه الدولة مدينة البلماء (٢) Bilma or Bulma فى واحة كاوار ، وكانت هـــذه المملكة خاضعة لملك الزّغاوة فى كانم ، يقول ياقوت :

« كاوار ناحية واسعة جنوبى فزان ، بها مدن كثيرة ، فيها قصر أم عيسى ، وأبو البلماء والبلاس ، وأكبر مدنه أبو البلماء ، وألوان أهلها صفر ، يلبسون ثياب الصوف ، وفى بلادهم أسواق ومياه جارية ونخل كثير ، ولهم سلطان فى طاعة ملك الزغاوة (٣)

وعن أساطير الصو : جاء سلطان البربر Bari Bari إلى بلاد ملك الصو فى البلماء ، وطلب منه أن يمنحه أرضا ليستقر فيها مع قومه ، لم يجبه ملك الصو ، وإنما تناول قضيبا ضخماً طويلا من الحديد ، وطواه بيده ، حتى جعل منه دائرة كبيرة ، بلغ قطرها نحو مائة ميل أو أكثر ، ويصل طرفها الشمالى إلى يجبا Yeggeba شمال كاوار ، وطرفها الجنوبى إلى ديبلا Dibbella ، ثم أذن لسلطان البربر فى الإقامة وقومه داخل نطاق هذه الدائره (٤) ، والمقول إن هؤلاء

---

(١) Shinnie, p. 67; Davidson, pp. 35-36 ; Palmer, Sudanese Memoirs, Vol II, pp. 64-65.

(٢) التسمية العربية عن ياقوت : معجم البلدان ص جـ ٧ ص ٢١٠ .

(٣) معجم البلدان جـ ٧ ص ٢١٠ ، تقويم البلدان ص ١٢٩ ، انظر الفصل الثانى

(٤) Palmer, The Bornu Sahara, p. 126; Sud. Mem. Vol I p. 33, Vol II, pp 64-68 ; Shinnie, p. 67 ; Okafor, p. 33.

البربر كانوا من قبائل التيبو Tibu أو التدا Teda(١) المسلمين ، وان هجرتهم هذه كانت كبيرة ، وقتها حدثت بعد عام ٨٠٠ م (٢) .

وقد دلت الحفريات الأثرية الحديثة التى قامت فى الفترة ما بين ١٩٣٦ و ١٩٤٨ م ، ولم تتم بعد ، على وجود حضارة قديمة للصو ، قام بهذه الحفريات الأثريون الفرنسيون : ماسوود ورتروبى ولوبيف Masso, Detroubé and Le Beuf ؛ وبعد أن تم جمع الآثار التى عثروا عليها ، وبعد تمام فحصها ودراستها وتنسيقها فى عام ١٩٥٠ م ، اتضح أن هناك اتصالا ثقافيا كبيرا بين وادى النيل ومنطقة النيجر .

ومن أبرز خصائص حضارة الصو : بناء المدن وصناعة المعادن من النحاس والحديد والبرونز ، فضلا عن أعمال الفخار الجميل المتقن ، ومن روائع فنونهم رءوس الكباش التى صنعوها من الفخار ، والمناظر الرائعة التى تمثل صور الحيوانات ومشاهد الألعاب الرياضية ، واشتهر الصو كذلك بالطقوس الجنائزية المعقدة (٣) كذلك من أبرز خصائص حياتهم الاجتماعية سمو منزلة النساء حتى كان لهن نفوذ كبير فى حكوماتهم .

ويبدو أن الصو ، وقفوا من كوش كما وقفت كوش من مصر ، أى أنهم نقلوا حضارة كوش بخصائصها إلى منطقة تشاد ، أقاموا نموذجا من الحياة يعتبر جديدا على البلاد التى نقلوه إليها ، كما هو الشأن بالنسبة لكوش يوم نقلت الحضارة المصرية القديمة إلى السودان الشمالى . هل معنى هذا أن الصو كانوا من المهاجرين أم من سلالة المهاجرين الذين غادروا مروى Meroi على أثر تحطيمها على يد الأحباش الأكوميين فى القرن الرابع الميلادى ؟(٤)

---

(١) Temple, Notes on the Tribes, Provinces, Emirates and States of The Northern Provinces of Nigeria, p. 215.

(٢) The Bornu Sahara, p. 126

(٣) انظر ديشان (Dechamps) الديانات فى افريقية السوداء ص ٢٧ ، ٣٦ ، ٣٩

(٤) Davidson, pp. 101-102, Shinnie, p. 67 ; Okafor, p. 35; Fage, op. cit pp. 91-93.

وعندما قامت إمبراطورية البرنو فى كانم ، مهدها الأول ، كان الصو يمثلون قوة لها خطرها ، كما كانت لها خطورتها على الدولة الناشئة ، فعلى الرغم من خضوع الصو لملوك كانم ، إلا أنهم كانوا كثيرى الخروج والثورة على برنو ، بل إن التصادم مع قبائل الصو كان السبب الرئيسى فى وقف اتساع كانم ، كما أمسى من أكبر أسباب ضعف الأسرة الحاكمة فى كانم ، وبالإضافة إلى خطر البولالا Bulala (١) ، عجز ملوك الأسرة السيفية فى كانم عن مقاومتهم مما اضطرهم آخر الأمر إلى الهرب من كانم شرقى تشاد إلى برنو فى الغرب (٢)

* * *

ومن المجموعات التى استقرت فى منطقة تشاد مجموعة الكانمبو Kanembu ، وهى خليط من قبائل الصو والبربر (٣) ، وإلى هذه المجموعة ينسب تكوين مملكة البرنو الأولى فى كانم ، ويحتمل أن مجموعة الكانمبو استقرت فى منطقة كانم قبل وصول قبائل الكانورى ؛ (٤) وتغلب دماء البربر فى مجموعة الكانمبو ، حتى إن قبائل الهوسا Hausa كانت تطلق عليهم اسم البربر Bari-Bari أو Beri-Beri وقد تكون للكانمبو صلة كبيرة بقبائل التيبو او التدا (٥) البربرية من سكان تيبستى (٦) ، وأطلقت الهوسا نفس هذه التسمية على قبائل الكانورى ، لتشابه التكوين فضلا عن تشابه التقاليد (٧) .

---

(١) انظر مايلى L. Lugard, pp. 271-272;

(٢) ليو الإفريقى : الكتاب السابع . ص ٢٩٢ — ٢٩٤ ، Barth, p. 638; Hogben, The Muhammadan Emirates of Nigeria, p. 102.

(٣) Davidson, p. 103

(٤) انظر مايلى وراجع : Baumann, Les Peuples et les Civilisations de l'Afrique, pp. 288, 299, 309, 315, 330.

(٥) انظر مايلى

(٦) سلجمان (الترجمة العربية) ص ٥٨ ؛ Temple, op, cit p. 215

(٧) Trimingham, op. cit pp. 16-17

على أن كلمة «كانمبو» لا تدل على جنس معين أو قبيلة معينة ، وإنما تدل على خليط من أكثر من قبيلة ، واكتسب هذا الخليط أو هذه المجموعة اسمها من إقامتها فى منطقة كانم فيقال فى اشتقاق هذه التسمية : رجل من كانم أو كانمى ، معناه : كام كانم — ما Kam Kenem ma والجمع : الكانميون أو كانم — بو Kanem-bou ويدل المقطع «ما» Ma على معنى الملكية أو التبعية أو النسبة فى صيغة المفرد والجمع «بو» Bou بلغة الكانم(١) ، أما الكانميون أو الكانمبو أنفسهم فيدعون الأصول العربية(٢)

استقرت مجموعة الكانمبو بصفة خاصة شرقى بحيرة تشاد ، وفى شريط محدود حول شواطئها الشمالية والغربية (٣) ، ومن فروع الكانمبو قبائل البودوما Buduma(٤)

واشتهر الكانمبو بالنشاط الزراعى ، وأثبتوا مقدرتهم على إيجاد نوع من المدنية ، وفى بسط نفوذهم على من عداهم من العناصر الأخرى فى منطقة تشاد ، ويشبهون قبائل الماناجو Mandingo سادة إمبراطورية مالى الإسلامية(٥) .

* * *

وأما قبائل الكانورى Kanuri فهى تشبه قبائل الكانمبو أو مجموعة الكانمبو من حيث أنها خليط من عناصر مختلفة ، من العرب والبربر والزنوج كما أن الكانورى اختلطوا بالكانمبو ، ويكون الكانورى أغلب سكان منطقتى كانم وبرنو (٦) كما أن اللغة الكانورية هى أغلب اللغات السائدة ، حتى إن كلمة كانورى ، كانت تطلق على جميع العناصر المتكلمة

(١) Carbou, pp. 16-17

(٢) Yver, Kanem (Ency. of Islam), Vol. II, p. 748

(٣) Carbou, pp. 1, 15, 36-48 ; Trimingham, op. cit p. 16

(٤) Temple, p. 216

(٥) Davidson, pp. 16-17

(٦) Murdock, p. 129 ; Yv[illegible] p. 78; Shinnie, pp. 67-68 ; Trimingham, pp. 16-17 ; [illegible]emple, pp. 215-216; Grove, Population Densities and Agricultu[illegible] in Northern Nigeria, pp. 118-121.

بهذه اللغة، بصرف النظر عن أصولها ، ويدعى الكانورى كذلك الأصول العربية ، ويقولون انهم جاءوا أصلا من اليمن، وربما كانت الدماء العربية فيهم أكثر منها فى غيرهم ، وألوانهم وسط بين ألوان الزنوج وألوان التيبو البربر (١)

وقيل فى اشتقاق اسم «الكانورى» إنهم سموا كذلك نسبة إلى منطقة كانم التى استقروا فيها أولا مثل الكانمبو (٢) فإن كلمة كانورى محرفة عن كلمة كانمرى ، Kanemri المتصلة بكلمة كانم (٣) وقد أورد الرحالة ناختجال Nachtigal تفسيرا آخر لكلمة كانورى ، خلاصته : إن هذه الكلمة اشتقها المواطنون من الكلمة العربية «نور» وأضيف المقطع «ك» K للدلالة على معنى التبعية أو النسبة أو الارتباط ، فصار معنى الكلمة «حملة النور» أو «حملة المشاعل» إشارة إلى الدور الذى قاموا به فى نشر الإسلام بين القبائل الوثنية،والمعروف عن قبائل الكانورى أنها اعتنقت الإسلام منذ زمن مبكر(٤) .

ويمتاز الكانورى بالنشاط والحيوية ويفوقون جيرانهم فى هذا المجال، بل إنهم أعظم السود نشاطا وحيوية وعملا دائبا ؛ وإليهم يرجع الفضل فى الإكثار من استخدام الخيول والعناية بخيولهم حتى صاروا من أمهر الفرسان فى تلك المنطقة، بل غدوا موضع رعب وفزع بالنسبة لجيرانهم، ويكوّن فرسان الكانورى القوة الرئيسية لمايات برنو ،واشتهرت فروسيتهم فى جميع أرجاء المنطقة الفسيحة والممتدة بين النيل والنيجر (٥) .

عُرف الكانورى كذلك بالتقدم فى صناعة النسج وصناعة الحديد ، فضلا عن صناعة الفخار والنشاط التجارى ،أما خصائص حياتهم الاجتماعية فأشهرها احتقار زعمائهم ونبلائهم للأعمال اليدوية فهم يعتبرونها مهانة

Yver, p. 748 ; Bau Mann, pp. 25, 73, 299, 308, 316 (١)
L. Lugard, p. 68 (٢)
[illegible]7 ; Yver, p. 748 (٣)
Yver, p. 748 (٤)
Shinnie, p. 70 (٥)

بالنسبة إليهم ، كما أن للمرأة مكانة سامية بينهم ، كما هو الشأن عند الصو ، ومع ذلك فإن العادة جرت بين الكانورى على أن تعمل المرأة بجانب الرجل فى أعمال الزراعة والغزل والنسيج ، وتجبر على العمل مع زوجها ، وهذا بين الطبقات العاملة ، ولكنها تتمتع بالحرية منذ طفولتها ، ولها أن تختلط مع الفتيان قبل زواجها ، والحياة العائلية عند الكانورى ، كما شهدها الرحالة : عادية معقولة .

ومن تقاليد الكانورى أن نساء الطبقة الحاكمة يتدخلن فى شئون الحكم والسياسة ولاسيما أم السلطان وزوجته الأولى ، أو الزوجة الكبرى ، وتلقب أم السلطان بالماجيرا Magera ، ومن امتيازاتها وحقوقها ، أن باستطاعتها ، أن تشير بتغيير حكام الأقاليم كما يتراءى لها ، ولها أن تنقل وتعزل وتولى من تشاء ، كذلك للزوجة الكبرى مثل هذا الحق ؛ ثم إن كبار الأمراء فضلا عن الحكام والسلاطين ، ينتسبون لأمهاتهم وليس لآبائهم ؛ وفى مثل هذا التقليد يلمح الأثر البربرى ولاسيما أثر قبائل التيبوا والتّدا (١) .

لقد ظهر الكانورى كمجموعة منفصلة مستقلة متميزة حوالى مطلع القرن التاسع الميلادى ، ولها ملكها وأرضها ومناطق نفوذها ، والمنطقة التى سادت فيها هى الشاطىء الشرقى لبحيرة تشاد ، وكذلك منطقة بحيرة فترى Fitri (٢) فى الجنوب الشرقى من بحيرة تشاد .

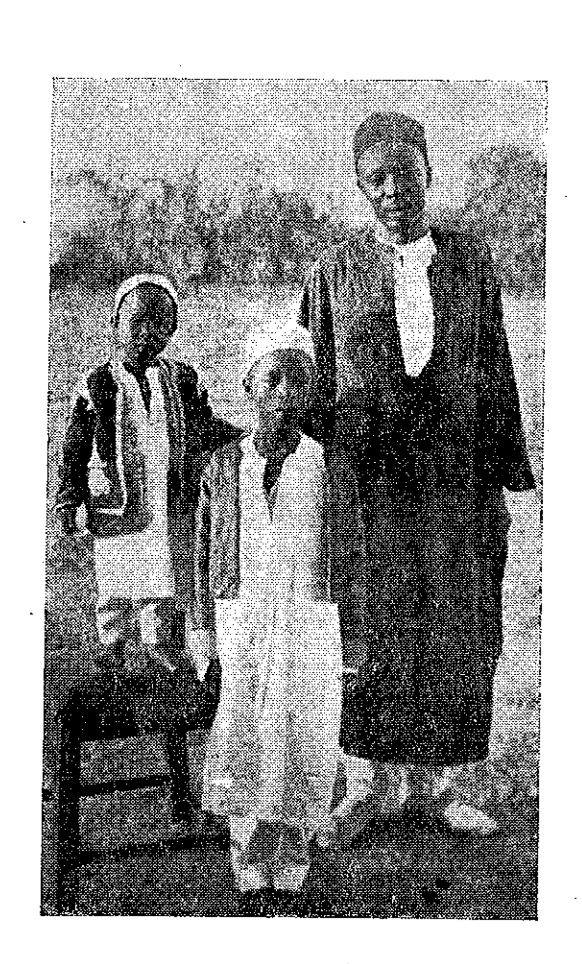
وتبعا لما ذكرته الأساطير ، إن أول ملوك الكانورى هو « دوجو » Dugu وإن دوجو هذا هو جد الأسرة الماغومية التى اشتهرت باسم الأسرة السيفية (٣).

---

(١) Yver, p. 148, Bernard, p. 424; Urvoy, Petit Atlas, Ethno-Demographique du Sudan, Entre Sénégal et Chad, p. 27.

(٢) تعنى حكمة فترى Fitri أو فوترى Futri أرض الفوت Fut أى أرض الأجناس المختلطة ، واستعملت للدلالة على قبائل الكانورى (راجع : The Bornu Sahara, p. 212)

(٣) انظر مايلى وراجع : L. Lugard, p. 269 ; Trimingham, p. 17 ; Okafor, p. 33 ; Yver, p. 747 ; Burns, History of Nigeria, p. 50.



لوحة رقم ١
صورة لأشخاص من مجموعة قبائل الكانورى ،
وتبدو عليهم الملامح العربية

ومن القبائل المنتشرة فى منطقة « تشاد » التيبو أو التدا Tibu or Teda ، وهؤلاء من البربر ، وهم سكان هضبة تيبستى Tibesti أصلا ، لكنهم انتشروا فى منطقة شاسعة تمتد من صحراء ليبيا فى الشرق إلى هجر فى الغرب ومن فزان شمالا إلى تشاد جنوبا ، وأعدادهم ليست كثيفة. عاش أغلبهم فى مرتفعات تيبستى وبوركو وفى جزء من منطقة اندى Ennedi وفى واحة كاوار وشمالى كانم ووادای وبحر الغزال (١) .

وقيل فى تفسير اسمهم : إن كلمة توبو Tubu أطلقها الكانورى على سكان تيبستى ومعناها : سكان التلال (٢) وقد أطلق الشماليون من التيبو على أنفسهم اسم التدا Teda وأما الجنوبيون منهم والمقيمون فى كانم ، فيعرفون بالاسم الأصلى الذى أطلقه الكانورى وهو التيبو ، على حين أن التدا اطلقوا على هؤلاء الجنوبيين اسما آخر هو « دازا » Daza (٣) وأطلق الشوا وهم العرب فى برنو على سكان تيبستى اسم القرعان Guraan أو Garawa وهم أنفهم الجرمنتيون Garamantes نسبة إلى عاصمتهم جرمه Garama فى فزان ، وقد أخذ كتاب أوربا فى العصور الوسطى بالتسمية العربية وهى القرعان ، ثم إن الطوارق البربر أطلقوا على التيبو اسما آخر هو إكاراد Ikarada (٤) .

كثرت هجرة قبائل التيبو البربر منذ حوالى القرن التاسع الميلادى، من تيبستى وبوركو ، وانتشرت فى كانم خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر، ودخل أفرادها فى خدمة حكومة الزغاوة ؛ وينسب إلى قبائل التيبو دور هام فى إدخال الإسلام ونشره فى كانم ، وتشير أساطير

---

(١) انظر ما يلى وراجع : Trimingham, p. 11 ; Murdock, p. 129 ; Carbou, I, pp. 113, 122, 160 ; Johnston, A History of the Colonization of Africa, by Allien Races, p. 15.

(٢) الكانورى تسمية أخرى أطلقوها على سكان تيبستى هى كادو أو جادو Kadu or Gadu ، ومن هذه التسمية اشتق الملك كانورى Katuri اسمه .
(انظر مايلى وراجع : The Bornu Sahara, p. 125)

(٣) سلجمان ص ١٣٥ ، Trimingham, p. 11 ; The Bornu Sahara, pp. 4, 8.

(٤) Trimingham, p. 11; The Bornu Sahara, p. 4

الصو إلى رحلة هؤلاء التيبو المسلمين واستئذانهم من ملك الصو الخاضع لحكومة الزغاوة فى كانم (١) .

ومن خصائص التيبو الجسمانية ، القامة المتوسطة ، والشفاه الرقيقة والأنف المستقيم والشعر الناعم ، وهم سود متزنجون بسبب اندماجهم فى الزنوج ، وأما مظاهر حضارتهم ، فيقال إنهم ساهموا فى إدخال صناعة الحديد والأسلحة الحديدية ؛ وذكر بعض الكتاب أن صناعة الحديد التى دخلت السودان الأوسط والغربى : جاءت أصلا عن مصر (٢) ؛ ومن التيبو من عمل فى الزراعة والتجارة ، وهؤلاء انتشروا بصفة خاصة شرقى كانم ؛ والمعروف أن لغة التيبو ترتبط بلغة الكانورى ، أو انها قريبة الشبه جدا بها (٣) .

ومن تقاليدهم المعروفة سمو مكانة النساء عندهم ، شأن الطوارق وغيرهم من البربر ،ويكتفى أغلبهم بزوجة واحدة ،ولم يغير الإسلام كثير من تقاليدهم الموروثة ،ويتركز نظام حكمهم فى مجلس من كبارهم ؛ هو صاحب السلطة ،ويعرف الزعم أو الرئيس منهم فى منطقة تيبستى باسم درد Derde ، وكانوا يكونون فى القرن السادس عشر الميلادى نسبة كبيرة فى جيش برنو (٤) .

أما العرب فى منطقة تشاد ، فأثرهم كبير جدا فى لغة وتقاليد العناصر التى اختلطوا بها ، وقد وصل العرب إلى تشد عن طريق النيل من جهة الشرق وعبر الصحراء من ناحية الشمال ، وتنتشر مجموعاتهم بصفة خاصة فى كانم وشرقى منطقة برنو وحول بحيرة تشاد ؛ وينتشرون كذلك إلى الشرق فى واداى ، ودارفور كما ينتشرون فى كوتوكو Kotoko وماندارا Mandara وتوجون Togon (٥) .

---

(١) راجع ماسبق عن الصو ص ٩ وما يليها

(٢) Sud. Mem,. II, pp. 56-74; Johnston, p. 15

(٣) Carbou, I, p. 213 ; Temple, p. 215 ; Sud. Mem., I, pp 3-4 ; Hogben, p. 30 ; Yver, p. 214 ; Johnston, p. 15.

(٤) Carbou I, pp. 157-167; Trimingham, p. 11

(٥) Talbot, The Peoples of Southern Nigeria, p. 61; Yver, p. 748 ; Carbou, II, p. 4.

امتزج العرب بالوطنيين وأدى هذا الامتزاج إلى تغيير كبير فى صفات العرب وإلى ظهور عناصر متميزة ، منها التنجور Toundjour أو Tunjur أو Tu-N'Gari والبولالا Bulala والسالمات Salmat ، وهذه ظلت تحتفظ بنسبها إلى العرب وإلى أصولها العربية وبها افتخرت (١) .

على أن المجموعات العربية فى منطقة تشاد ، قد اشتهرت باسم « شوا » Choas or Shuwa or Shiwa ؛ وهذه التسمية أطلقها عليهم الوطنيون أمثال الكانمبو والبرنويين والكوتوكو والباجرميين ؛ ويسميهم البولالا سوجوى Soougué ؛ ومن الأسماء التى أطلقت على العرب فى منطقة تشاد كذلك : أروا Aroua وأرامكا Aramka وسولونج Solong ، وتعنى التسمية الأخيرة عند الفور : عربى بدوى (٢) .

غير أن العرب أنفسهم لم يستخدموا كلمة « شوا » التى اشتهروا بها ، وغلبت على ما سواها من التسميات ، بل ظلوا يحتفظون بأسماء قبائلهم العربية الأصلية التى ينتمون إليها ؛ ومن القبائل التى اشتهرت بأسمائها الأصلية وبها عرفت فى حوض تشاد قبيلة جذام ، وهى أهم مجموعة ، انتشرت من دارفور إلى برنو ، وكذلك جهينة (٣)

ويقال إن كلمة شوا مشتقة أصلا من الكلمة العربية « شاء » فى صيغة الجمع ، وجمعها ، أى جمع الجمع « شوىٌّ » (٤) بمعنى رعاة الأغنام ، وذلك على النحو الذى اشتهر به رعاة آخرون من العرب ، منهم الأبّالة وهم رعاة الإبل ، والبقارة رعاة البقر والماشية عامة ، فى دارفور وما حولها ؛ ويحتمل كذلك أن كلمة « شوا » مشتقة من الكلمة الحبشية « شا » Sha أوشوا Shoa بمعنى راع .

---

(١) Murdock, p. 411; Trimingham, p. 18; Carbou, II, p. 1; Baumann, p. 307; Temple, pp. 22, 25.

(٢) Yver, p. 750; Burns, p. 35; Bernard, p. 424; Carbou, II, o. 48; Baumann, pp. 259, 262; Urvoy, pp. 23-24; Trimingham, p. 17.

(٣) The Bornu Sahara, pp. 210-211 Baumann, pp. 306-309

(٤) الشاة من الغنم تذكر وتؤنث والجمع شياه (بالهاء) ، تقول ثلاث شياه إلى العشر ، فإذا جاوزت العشر فبالتاء « شيات » فإذا كثرت قيل : هذه شاء كثيرة ، وجمع الشاء شوي (المختار)



لوحة رقم ٢

صورة عربي من الشوافى برنو ، وينتسب إلى قبيلة الكواهلة (كهلان)
ولهذه القبيلة فروع فى كردفان

وقد اشتهر الشوا بالفروسية فى جيش برنو ، كما اشتهروا بصناعة الحديد والجلود (١) ، ولهم أثر كبير فى إمبراطورية البرنو ، يقول ياقوت عن أهل كانم : «وهم على زى العرب وأحوالهم» (٢) ؛ ويقال إن مملكة البرنو الأولى التى قامت فى إقليم كانم ، ترجع إلى العرب ، وكذلك الشأن بالنسبة لمملكة واداى التى تسودها قبائل التنجور العربية (٣) ؛ وقد انتشرت اللغة العربية والتقاليد العربية فى شرق تشاد بصفة خاصة (٤) ، إلا أن اللغة العربية التى تنتشر فى تلك الجهات تختلط بألفاظ سودانية ، ومع ذلك فتغلب عليها اللهجة الحجازية (٥) .

وهناك قبائل الطوارق من فروع صنهاجه من البربر ، ويرفع الصنهاجيون نسبهم إلى العرب الحميريين باليمن ، وهذه استقرت منذ قرون بعيدة ، عند الحدود الشمالية لإقليم برنو ، ولا سيما فى منطقة دوتشى Dutshi ، وكذلك حول منطقة زندر Zinder ، على بعد نحو ٣٠٠ ميل غربى بحيرة تشاد (٦) وأطلق البرنويون على الطوارق اسم تاركون Tarkun ، وهى الصيغة البرنوية للكلمة العربية «طارقون» ؛ ويحتمل أن كلمة طوارق مشتقة من اسم قبيلة ترغه Targa ، إحدى قبائل صنهاجه (٧) ؛ وفى منطقة تشاد يعرف فريق من الطوارق باسم إيلام Ilam (٨) .

---

(١) Temple, pp. 22-25 ; Trimingham, pp. 17-18; Baumann, pp. 306-309.

(٢) معجم البلدان ج ٧ ص ٢١٠

(٣) Carbou, II, p. 2; Temple, p. 25

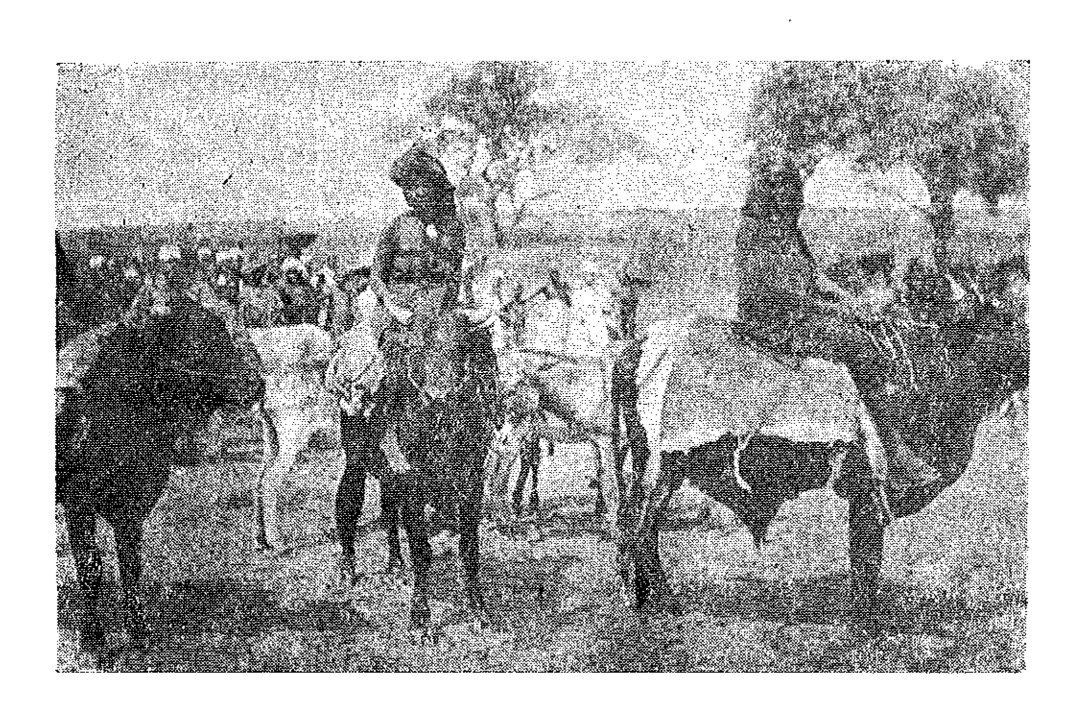
(٤) Carbou, II, p. 2

(٥) سلجمان ص ١٠٤ ، ٢٠٦ ، Burns, p. 25; Temple, p. 24; Barth, II, pp. 319-335; Bernard, p. 424; Memorandum, pp. 11-12.

(٦) Baumann, pp. 31, 325, 409-410 ; Yver, p. 748

(٧) Trimingham, p. 10

(٨) The Bornu Sahara, p. VII ; Murdock, pp. 405-409



لوحة رقم — ٣ —

جماعة من العرب الشوا فى برنو فى طريقهم الى السوق فى مدينة يروا (مدجورى) جنوب برنو ، تبدو فيها ظاهرة ركوب الثيران وهى ظاهرة مألوفة عند العرب فى تلك المنطقة ، كما هو الشأن عند قبائل التدا قرعان والكانوى، وكما كان الشأن عند أهل ليبيا وفزان قبل دخول الجمل . ولاتزال ظاهرة ركوب الثيران مألوفة حتى العصر الحاضر فى منطقة تشاد (راجع كلمة «هوسا» فى الألفاظ والمصطلحات بالملاحق) .

والتسمية التي يستعملها العرب والأوربيون للدلالة على الطوارق هي : البربر ، أو الطوارق أو الملثمون ، ويطلق الهوسا عليهم اسم الأسبتيناوا Asbenawa ، ولكن الطوارق يطلقون على أنفسهم اسم ايموشاك Imoshak ، ومعناه ، « نبلاء الطوارق » ، ولغتهم هي التاماشاك Tamashk (١) .

والواقع أن الطوارق أقسام كبيرة من القبائل ، أو الاتحادات القبيلية ، وينتشرون في مساحات واسعة في الصحراء الكبرى من توات وفزان شمالا إلى تمبكتو وزندر جنوباً (٢) ؛ ويعرف طوارق أوجيلا وفزان باسم الكندن Kindin أو الكينين Kinin ، وهي التسمية التي أطلقها عليهم اشقاؤهم الماغوميون حكام برنو (٣) .

اختلط الطوارق بدرجات متفاوتة مع الزنوج ، بحسب أماكن إقامتهم ، حتى إن منهم من صار أسود لا يمكن تفرقته عن العناصر السوداء من أمثال الصنغي والهوسا (٤) . وقد لعب الطوارق دورا كبيرا في تاريخ السودان الأوسط والغربي ، ولهم حضارة ولغة خاصة وكتابة خاصة بهم حروفها عربية ، وتبلغ حروفها أو رموزها عددا يتراوح بين ٢٠ و٣٠ رمزا ، وتختلف هذه الحروف من منطقة إلى أخرى ؛ ويشبه نظام كتابتهم ما وجد في مصر وكريت وأسبانيا ، غير أنه بانتشار الإسلام وسيادة اللغة العربية ، صارت اللغة العربية هي اللغة السائدة (٥) ؛ والمشهور أن أسرة الماغوميين التي حكمت في كانم ، والتي ادعت النسب السيفي ، ترجع إلى فريق من نبلاء الطوارق (٦) .

* * *

(١) سلجمان ص ١٣٠ The Bornu Sahara, p. 38 ; Temple, pp. 29-30

(٢) سلجمان ص ١٢٩ — ١٣٢

(٣) The Bornu Sahara, pp. 5, 28, 97

(٤) Yver, pp. 17-18; Trim., pp. 10-11

(٥) السعدى ص ٢٢ — ٢٦ ، الحلل الموشية ص ٦ — ١٠ ، التونسي : تشحيط الأذهان ص ٥٩

(٦) انظر مايلي وراجع : The Bornu Sahara, pp. 5, 7, 55, 102, 147-148

ووجدت كذلك فى منطقة تشاد مجموعات من الفولانيين الذين ينتمون أصلا إلى البيض ، ويدعى الفولانيون فى نيجريا اليوم ، أن سلفهم هو عقبة بن نافع (١) ، ولكن لغتهم سودانية بسبب طول مقامهم فى بلاد السودان واختلاطهم بالزنوج ؛ والمذلك فإن أصولهم موضع مناقشة ، قيل إنهم حاميون جاءوا أصلا من أفريقية الشرقية واستقروا فى حوض النيجر ، ثم بدأت حركتهم شرقا وغربا حتى وصلوا إلى حوض النيل فى زحفهم نحو الشرق .

ويعرف الفولانيون بأكثر من اسم ، فهم الفلاتا Fellata عند الكانورى والتيدا ، وفى السودان الشرقى ، وهم الفولب أو البول Fulbe or Peuhl عند الولوف ، وهم الفولانيون Fulani بلغة الهوسا والطوارق ، ثم هم الفولا أو الفيلا Fula or Fila عند الماندنجو ، وهم من بعد ذلك السلمزيون Silmise عند موش Mossi(٢) ، وقد كتب بعض مايات برنو « محارم » لمنح بعض هؤلاء الفولانيين امتيازات فى برنو(٣) .

---

(١) عقبة بن نافع الفهرى من قادة الفتح فى شمالى أفريقية ، وهو الذى اختط مدينة القيروان عام ٥١ هـ / ٦٧١ م وهو الملقب بقاهر الروم والبربر : استشهد فى وقعة تاهوده عام ٦٢ هـ /٦٨٢ م (ابن الأثير جـ ٣ ص ١٩٩ ، جـ ٤ ص ٤٧ ، العبادى ص ٣٤ ، المسلمون فى أوربا للمؤلف ص ٥٨ – ٥٩ ، ١١٨ – ١٢٠ ، ابن عبد الحكم ص ٢٧٢ ، Talbot, p. 61).

(٢) من مراجع الفولانيين : الفاهاشم الفوتى : تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان (طبع مصر) ، كذلك للشيخ عبد الله بن فودى الفولانى أخى الشيخ عثمان ، مؤلفات عن الأنساب والشعوب والقبائل ، وقد اربت مؤلفاته فى شتى فنون المعرفه ، على المائتين ، حتى لقب بنادرة الزمان وعلامة السودان ، امبراطورية الفولانيين الإسلامية للمؤلف (تحت الطبع) ، ومن المراجع الأجنبية :

Wiedner, p. 44; Baumann, pp. 309, 323-325, 388-400 ; Urvoy, p. 29 ; Burns , pp. 23-25 ; Le Chatelier, l'Islam dans l'Afrique Occidentale, pp. 107-120 ; Gouilly, p. 186 ; Marty, Etudes sur l'Islam et les Tribus de Soudan, pp. 25, 177-220 ; Melanges Ethnologiques, pp. 23-29 ; Trim., pp. 11-12 ; Memorandum, pp. 6-7 ; Murdock, pp. 413-421 ; Berbard, pp. 424--426 Johnston, pp. 12-13 ; Fage, Introduction, pp. 1-18, 24-35, 146.

(٣) انظر الفصل السابع والملاحق

وهناك قبائل الهوسا Hausa التى اختلطت بالكانورى والفولانيين ، ويقيمون بصفة خاصة فى زندر Zirder وجومل Gummel (١) ، والمعروف أن لغة الهوسا مشهورة وسائدة فى منطقة السودان الأوسط والغربى ، ولا تزال إلى اليوم غالبة فى هذه المنطقة وينظر إليها باعتبارها اللغة السائدة Lingua Franca فى المعاملات التجارية فى مساحات شاسعة تمتد من شمال جمهورية غانة الحالية فى الغرب إلى الكمرون فى الشرق ، وللهوسا دول إسلامية مشهورة فى التاريخ القومى الأفريقى(٢) .

* * *

ومن القبائل أو المجموعات التى انتشرت فى منطقة تشاد ، وكونت جزءا من سكان إمبراطورية البرنو الإسلامية ، وتختلف عن الكانورى فى اللغة والعادات : الكوتوكو أو المكاريون Kotokos r Makkari جنوب إقليم برنو ؛ والكربينا Keribina بجوارهم ، وكذلك المانجا Manga ، وغيرهم (٣) .

كذلك انتشر الباجرميون Bagirmi فى جنوبى منطقة كانم بصفةخاصة ، ولا سيما فى حوض نهر شارى Shari ومنطقة واداى Wadai(٤) ، كما أن أهل واداى أنفسهم يشتهرون بأن لغتهم هى اللغة السائدة Lingua Franca فى هذه المنطقة ، كما هو الشأن بالنسبة للغة الهوسا ، ومن أهم قبائل مجموعة الواداين : الكودوى Kodcy أو أبو سنون Abu-Senun وأولاد جمعة Jema والمالانجا Malanga ، والمندابا Mandaba والماندالا Mandala وغيرها(٥) .

---

(١) Yver, p. 748

(٢) Fage,o p. cit. pp. 34, 144; Barth, II, pp. 69-71 ; L. Lugard, pp 236-238 , 245-249 ; Temple, pp. 466, 471-72, 479, 544, 547, 554 ; Trim., pp. 16, 79, 83 ; Niven, The Land and People of West Africa, p. 10 ; دول الهوسا للمؤلف (تحت الطبع)

(٣) Yver, p. 748

(٤) Bernard, p. 42; Murdock, pp. 135-136; Burns, p. 53

(٥) Trim., p. 17 ; Bernard, p. 424

أشهر عناصر السكان في منطقة بحيرة تشاد

أير
الصو
بلما
التيبو
أغاديس
طوارق
أولاد سليمان
قرعان
تدا
كوتوش
كانمبو
بارك
بحر الغزال
زندر
دوري
كاتسنا
بجورو
كانو
زاريا
كوكوا
كانوري
جوجوري
فولانيون
جوصب
بوتشو
أداماوا
كورو روفا
نهر بنوي
زغاوه
بوركو
واداى
أندى
غرب جذام
وادي بوثا
يادشوا
أولاد راشد
كوكا
باجرمى
داجو
نهر شارى
نهر لوجون
نهر سالات

خريطة رقم ١
أشهر عناصر السكان فى منطقة بحيرة تشاد

وفى جزائر بحيرة تشاد ، ينتشر عدد كبير من القبائل المتنوعة ، منها قبيلة يدينا Yedina التى أطلق عليها الكانورى والكورى Kuri اسم : البدوما Buduma ؛ وإسلام قبائل البدوما حديث ؛ وقبائل الكورى من سكان جزر تشاد(١) .

تلك هى خلاصة مجموعة سكان حوض بحيرة تشاد التى تتوسط إمبراطورية البرنو التاريخية ،و لا شك أن هناك عشرات من القبائل والعشائر الأخرى الصغيرة .

---

(١) Temple, p. 69; Trim., op. 17



خريطة رقم ٢

توزيع السكان فى السودان الأوسط والغربي

الفصل الثانى

قيام إمبراطورية البرنو

عصر سيادة كانم أو العصر الكانمى

أقسام تاريخ البرنو : العصر الكانمى والعصر البرنوى ـ أهمية تاريخ امبراطورية برنو الاسلامية وظهورها فى خرائط أوربا ـ حكومة برنو الأولى فى كانم ـ ما قاله ياقوت عن كانم ـ الزغاوة مؤسسوا الحكومة الأولى ـ ما يقوله اليعقوبى عن أصول الزغاوة وتأسيس مملكتهم ـ ياقوت ومملكة الزغاوة وأحوالها العامة ـ شهرة الزغاوة وحضارتهم ـ تفسير كلمة زغاوة ـ الحكومة الثانية هى حكومة الماغوميين أو الأسرة السيفية فى مطلع القرن التاسع الميلادى ـ أصولهم ـ بقاء الزغاوة فى جنوبى كانم وعلاقتهم بالماغوميين ـ الأخبار الأسطورية عن أوائل ملوك الأسرة السيفية ـ قصة النسبة الى سيف بن ذى يزن الحميرى وأسطورها ـ ادعاء النسب العلوى ـ أثر الاسلام والحضارة العربية ٠

ينقسم تاريخ إمبراطورية البرنو إلى عصرين :

١ ــ العصر الكانمى : ويمتد من قيام الإمبراطوية في إقليم كانم إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى .

٢ ــ العصر البرنوى ، ويبدأ من أواخر القرن الرابع عشر الميلادى إلى نهاية إمبراطورية البرنو فى غمرة الاستعمار الأوربى الحديث .

فى العصر الكانمى كانت برنو ولاية خاضعة لكانم ، وكانت العاصمة جيمى (١) N,Jimi فى إقليم كانم شرقى بحيرة تشاد ، وفى العصر البرنوى ، أضحت كانم جزءاً من إمبراطورية برنو ، وإن لم تخضع تمام الخضوع ، كما صارت العاصمة فى مدينة بيرنى جازارجامو Birni- N'Gazargamu(٢) فى إقليم برنو على نهر يوب غربى بحيرة تشاد .

هذا مع استمرار الأسرة الحاكمة التى كانت تسود من كانم ، ثم طردت منها فلجأت إلى برنو ، وهو الشطر الغربى من الإمبراطورية ، حيث كافحت فترة ، إلى أن استعادت نفوذها على كانم .

وكما بلغت إمبراطورية برنو ذروة مجدها فى عصر سيادة كانم ، خلال القرن الثالث عشر الميلادى ، كذلك بلغت هذه الإمبراطورية ، فى العصر البرنوى ذروة المجد والعظمة خلال القرن السادس عشر الميلادى ، وهو القرن المليء بالأحداث الجسام فى التاريخ الأفريقى والعالمى ،

---

(١) الصيغة العربية لاسم العاصمة عن أبى الفداء والعمرى والمقريزى والقلقشندى ، وقد ضبطها المقريزى بقوله : جيمى بكسر الجيم والياء المثناة التحتية الساكنة وكسر الميم ثم ياء مثناة تحتية فى الآخر (الإلمام ص ٢٧)

(٢) انظر ما يلى

ومطلع هذه الحوادث الكشوف الجغرافية (١) ، وسقوط إمبراطورية صنغى الإسلامية أمام الزحف المراكشي أواخر ذلك القرن ، على أن الحدث الأكبر صاحب الأثر البعيد فى مستقبل القارة الأفريقية ، هو الكشوف الجغرافية .

ازدهرت إمبراطورية البرنو وظلت آثارها الثقافية والحضارية سائدة فى مساحات كبيرة فى قلب أفريقية من فزان شمالاً إلى أداماوا Adamawa(٢) وبحيرة فترى جنوبا ومن نهر النيجر غرباً إلى واداى ودارفور شرقا بل امتدت آثارها إلى مشارف وادى النيل (٣) .

ومن دلائل أهمية هذه الإمبراطورية فى التاريخ القومى الأفريقى، طول عمرها ، فقد عمرت نحو ثمانية قرون إلى القرن التاسع عشر ، فضلا عن كثرة ماخلفت من وثائق وسجلات عربية بالغة الأهمية ، وهناك الآثار الدالة على المدنية والعمران، التى كشفت عنها الحفريات الأثرية الحديثة، فى مدينة ساو Sao.

ظهرت إمبراطورية البرنو على الخرائط الأوربية فى العصور الوسطى لأول مرة ، وهذا دليل آخر على أهمية هذه الإمبراطورية وعظمتها وشهرتها ؛ ظهرت فى هذه الخرائط باسم : مملكة أورجانا Reghum Organa ، وعرف ملكها باسم ملك أورجانا Rex Organa ، وأورجانا تحريف لكلمة أركانا Ark-Ana أى رئيس أو زعيم قبيلة آرك Ark ؛ وآرك وجمعها أرجنو Argenu أوأركنو Arkenu أو أرجوا Arigwa فى لغة الكانورى ، صارت تطلق على أسماء الأماكن التى تقيم بها هذه القبيلة ، كما صارت تعنى الطبقة الحاكمة فى برنو (٤) .

ظهرت مملكة أورجانا لأول مرة فى خريطة دلكرت Dulcert التى

(١) انظر : البرتغاليون فى غربى افريقية المؤلف(مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – مايو ١٩٦٧)

(٢) عن تاريخ ملكة أداماوا وشهرتها ؛ راجع : Hirke-Green, Adamawa, Past and Fresent, Lond., 1958.

(٣) د فيدسن (بازل) : افريقية تحت أضواء جديدة (ترجمة جمال محمد أحمد – مصر ١٩٦٢) ص ١٦٢ – ١٦٣

(٤) The Born Sahara, pp. VII, 197-8, 208-9

صدرت عام ١٣٣٩م ، كما ظهرت فى الأطلس القطالونى الذى صدر عام ١٣٧٥م لصاحبه إبرهام كرسك Abr. Cre ques وكذلك فى خريطة فيلا دست Village tes عام ١٤١٣م(١)

الخلاصة : إن كلمة أورجانا ، تعنى فى تلك الخرائط مملكة كانم ، وظهورها فى خرائط أوربا الوسيطة دليل شهرتها وعظمتها ؛ ويصف محمود كعت السودانى ، من علماء القرن السادس عشر الميلادى : (صاحب برنو) بأنه أحد سلاطين الدنيا الأربعة العظام(٢) .

* * *

قامت الحكومة الأولى لإمبراطورية البرنو فى إقليم كانم Kanem ، ويقع هذا الإقليم فى السودان الأوسط إلى الشرق والشمال الشرقى من بحيرة تشاد .

وعن ياقوت الرومى الحموى (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م)

«كانم» بكسر النون ، من بلاد البربر ، فى أقصى المغرب ، فى بلاد السودان (٣) .

وعن البكرى (ت حوالى ١٠٩٤ م) :

« بين زويلة وبلاد الكانم ، أربعون مرحلة ، وهم وراء الصحراء من بلاد زويلة لا يكاد أحد يصل إليهم » (٤) . ويقول العمرى — (ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م) :

« وبلادهم — أى الكانم — بين أفريقية وبرقة — وتمتد جنوبا إلى سمت الغرب الأوسط ومبدأ هذه المملكة من جهة مصر مدينة دالا — أوزالا — وآخرها بلدة كاكا ، بينهما ثلاثة شهور » (٥) .

وخلال ازدهارها فى تاريخ برنو فى العصر الكانمى اتسعت هذه الإمبراطورية وازداد نفوذها فى المناطق الفسيحة بين النيل والنيجر

---

(١) De La Roncière, La Decouverte de l'Afrique au moyenage I, pp. 122-128; Davidson, pp. 100-101; Burns, p. 50 ; L. Lugard, p. 269.

(٢) الفتاش ص ٣٨ — ٤١

(٣) ، (٤) معجم البلدان جـ ٧ ص ٢١٠

(٥) مسالك الأبصار جـ ٢ ورقة ٤٩٠ ، انظر كذلك صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٠ .

ويرجع تاريخ ظهور مملكة كانم إلى الأزمنة السحيقة وتشبه فى أصولها أصول امبراطورية صنغى، وقد كثرت الروايات والأساطير حول هذه الأصول(١).

غير أن التاريخ المحقق لظهور مملكة كانم يرجع إلى حوالى القرن الثامن الميلادى ثم نمت واتسعت خلال القرنين التاسع والعاشر.

تنسب الحكومة الأولى التى قامت فى إقليم كانم، إلى قبائل الزغاوة؛ فى الوقت الذى كانت فيه قبائل لمطه Lemta البربرية تؤسس لنفسها فى بلاد صنغى وكان زاكاسى Zia Kaci الصنغى يقيم عاصمته فى جاو Gao على النيجر، وكانت دول الهوسا تمارس نشاطها وأعمالها وحياتها البدائية فيما هو نيجريا الشمالية الحالية (٢)، كانت هناك قبيلة بدوية من الجنس الحامى، قريبة الشبه بقبائل الطوارق الملثمين، تفتك بالمزارعين المستقرين حول بحيرة تشاد، تلك هى قبيلة زغاوة (Zaghawa, Soghua, Zegaoua, Zorkaua, Izghan) (٣).

عاشت هذه القبيلة، مع اشقائها على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى، حيث اختلطت كغيرها بالزنوج المقيمين فى وديان برنو، جنوب غربى بحيرة تشاد، واندمجت فيهم، كما أن أقرباءها من البربر قد تحكموا فى واداى Wadai شرقى تشاد(٤).

لم تلبث زغاوة أن بسطت سلطانها ونفوذها على منطقة تشاد، كما فعل — الفولانيون البدو بعد ذلك ببضعة قرون، وكون الزغاوة طبقة حاكمة ارستقراطية (٥) شمل نفوذهم مساحات كبيرة خلال القرنين السابع والثامن الميلادى، بحيث امتد هذا النفوذ من دارفور شرقا الى تشاد وكاوار Kawar غربا(٦).

---

(١) Davidson, p. 100; Burns, p. 50; Lappie, My Travels Through Chad, p. 156.

(٢) دول الهوسا للمؤلف (تحت الطبع)

(٣) Murdock, p. 130

(٤) Fage, p. 34

(٥) Hogben, p. 36

(٦) Yver, p. 714

والمعروف عن قبيلة زغاوة ، أنها وفدت أصلا من الشرق ، كغيرها من كثير من القبائل التى نزحت نحو الغرب واندمجت مع الوطنيين فى غربى أفريقيا ؛ وكان الأصل الشرقى أهم ما تمسكت به هذه القبيلة وغيرها من القبائل والأسر التى سادت فى بلاد السودان الأوسط والغربى .

يقول اليعقوبى (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) :

«عند ما تفرق ولد نوح من أرض بابل إلى المغرب ، انقسم ولد كوش ابن حام ، وهم الحبشة والسودان، لما عبروا نيل مصر ،إلى فرقتين : فرقة استقرت بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والحبشة والزنج، وفرقة قصدت المغرب ، وهم زغاوة والقاقو والمريون» (١)

ويقول المسعودى (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٦ م) .

« لما تفرق ولد نوح فى الأرض ، سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب ، حتى قطعوا نيل مصر ، ثم افترقا ، فصارت طائفة ميمنة بين المشرق والمغرب ، وهم النوبة والبجة والزنج ، وسافر فريق منهم نحو المغرب ، وهم أنواع كثيرة :

الزغاوة والقاقو ومرتك وكوكو والحى وغانة وغير ذلك من أنواع الأحابش (٢) والدمادم (٣) »

وعن أبى الفدا (ت ٥٧٣٢ هـ :/ ١٣٣٢ م) .

«وبلاد زغاوة تحاذى بلاد النوبة على ضفة النيل من الغرب » (٤)

* * *

وإلى قبيلة زغاوة يرجع تأسيس مملكة البرنو الأولى فى إقليم كانم :

---

(١) تاريخ اليعقوبى جـ١ ص ١٥٥

(٢) اشير إلى الدمادم فى الكتب الأجنبية باسم Dem-Dem وهو لفظ عربى فى الأصل. راجع : (Cooley, The Negroland of the Arabs, p. 111)

(٣) مروج الذهب جـ ١ ص ١٨١

(٤) تقويم البلدان ص ١٥٣

يقول اليعقوبى فى وصف الزغاوة ، إنهم كانوا ينزلون فى موضع يقال له كانم ومنازلهم أخصاص القصب وليس لهم مدن ويقال لملكهم كاكر (١) ومن الزغاوة صنف يقال له الحوضيون (٢) ولهم ملك من الزغاوة (٣) . أما المسعودى : فيقول «ومملكة الزغاوة واسعة كبيرة» (٤)

ويزيدنا ياقوت الحموى ، بيانا عن مملكة الزغاوة وأحوالها فى كانم حيث يقول :

زغاوة ، بفتح أوله وفتح الواو ، قيل هو بلد فى جنوبى أفريقيا — أى جنوبى تونس — بالمغرب ، وقيل قبيلة من السودان جنوبى المغرب ، وقال أبو منصور : الزغاوة جنس من السودان ، والنسبة إليهم زغاوى وقال المهلبى : مملكة الزغاوة مملكة عظيمة من ممالك السودان ، فى حد المشرق ، منها : مملكة النوبة الذين بأعلى صعيد مصر ، بينهم مسيرة عشرة أيام» .

«وطول بلادهم — أى الزغاوة — خمس عشرة مرحلة فى مثلها ، فى عمارة متصلة وبيوتهم جصوص كلها ، وكذلك قصر ملكهم .

«ولطعامه — الضمير عائد على ملك الزغاوة — قومه عليه سرا ، يدخلون إلى بيوته لا تعلم من أين يجيئون ، فإن اتفق لأحد من الرعية أن يلقى الإبل التى عليها زاده ، قتل لوقته فى موضعه ، وهو يشرب الشراب بحضرة خاصة أصحابه ، وشرابه يعمل من الذرة مقوى بالعسل .

وزيه — أى زى الملك — لبس سراويلات من صفوف رقيق ، والاتشاح عليها بالثياب الرقيقة من الصوف ، الأسماط والخز السوسى والديباج الرفيع .

---

(١) ، (٢) كتب بالمر Palmer هذا الاسم كاركر Karkur ، وفسر كلمة الحوضيين Hudin بأنهم الذين أقاموا حول بحيرة فترى (The Bornu Sahara, p. 127)

(٣) تاريخ اليعقوبى جـ ١ ص ١٥٦ — ١٦٧

(٤) أخبار الزمان (مخطوط) ورقة ٩٣٩

ويده مطلقة في رعاياه ، ويسترق من شاء منهم .

أمواله : المواشي من الغنم والبقر والجمال والخيل :

وزروع بلدهم : أكثرها الذرة واللوبياء ثم القمح ، وأكثر رعاياه عراة ، مؤتزرون بالجلود ومعايشهم من الزروع واقتناء المواشي .

وديانتهم عبادة ملوكهم ، يعتقدون أنهم الذين يحيون ويميتون ويمرضون ويصحون » (١)

* * *

تلك هي خلاصة ما أورده ياقوت عن أحوال مملكة الزغاوة التي قامت في إقليم كانم ، واتسع نفوذها ، وكانت منطقة كاوار ضمن الأقاليم الخاضعة لسلطان ملك الزغاوة ، ويقوم في كاوار يومئذ مملكة الصو أو مملكة العمالقة ، التي تخضع لنفوذ الزغاوة (٢) ؛ كذلك سادت حكومة الزغاوة على إقليم واداي وعلى قبائل النوبة Nobatae المجاورة لها من جهة الشرق (٣) .

واشتهرت الزغاوة بمساهمتها الفعالة في إدخال صناعة المعادن في بلاد السودان الأوسط ، ويوجد اليوم في بلاد الهوسا وما جاورها في دندى Dendi, وبورجو أو بركو Borgu, طبقة من السكان تعمل في صناعة المعادن والجلود وتختلف عن جيرانها ، وأشير إلى هذه الطبقة بأكثر من اسم ، غير أن جميع هذه الأسماء متشابهة منها : زوجوران وزوجو ، وزجورما وزرومو او جوامب :

Zogoran zugu Zugurma Zoromawa Jawambe

ويحتمل أن هذه الطبقة من الزغاوة ؛ ومن سلائل الزغاوة من ساد في بلاد الهوسا واتخذ من مدينة جوبير Gobir عاصمة له ،

(١) معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩١ — ٣٩٢ .

(٢) راجع ما سبق بالفصل الأول وانظر معجم البلدان ج ٧ ص ٢١٠ والمقريزي في الإلمام ص ٢١ ، ٢٤ ، والإدريسي في نزهة المشتاق ص ١١ — ١٢ والتونسي في تشحيذ الأذهان ص٥١ Shinnie, pp. 68-9 ; The Bornu Sahara, pp. VII, 4-5.

(٣) البكري : أحسن التقاسيم ص ٢٤٢ ، The Bornu Sahara, p. 3

وهؤلاء السلائل هم المشهورون باسم هاب Habe ، وتقيم القبائل المعروفة باسم الزغاوة في العصر الحديث ، في إقليم واداى شرقى بحيرة تشاد (١) .

يفسر بعض الكتاب كلمة « زغاوة » بأنها مشتقة من كلمة سك أو « سغ » Sek or Segu ومعناها معسكر أو مضرب الخيام أو مخيم ، فى لغة تماشك Tamashek وهى لغة نبلاء الطوارق ، وفى صيغة الجمع يضاف المقطع « أوا » Awa — ؛ وتشير قبائل الكانورى إلى الزغاوة باسم « أغنا » Aghna فى لغة الكانورى (٢) .

وحوالى مطلع القرن التاسع عشر ، قامت أسرة حاكمة جديدة فى كانم ، تسلمت مقاليد الأمور بعد حكومة الزغاوة السابقة ، وهذه الحكومة الجديدة هى حكومة الماغوميين Maghumi من البربر البيض ، وهى التى انتحلت فيما بعد النسبة إلى سيف بن ذى يزن الحميرى ، وهؤلاء الماغوميون من أبناء عمومة الطوارق .

ظلت أسرة الماغوميين تحكم إمبراطورية البرنو سواء أكان مركزها فى إقليم كانم أم فى إقليم برنو حتى قضى عليها الفولانيون خلال القرن التاسع عشر الميلادى ؛ وعهد هذه الأسرة من أطول عهود الأسر الحاكمة فى العالم (٣) .

ولقد أشار الماغوميون فى وثائقهم وسجلاتهم إلى أسلافهم الزغاوة باسم الكيين Kayi (٤) ؛ ومعنى هذه التسمية فى لغة مروى : الأشراف أو النبلاء (٥) وفى لغة الكانورى أطلقت هذه التسمية لتعنى الطبقة الحاكمة فى برنو ؛ وبنفس المعنى ، أطلق كذلك المصطلح « دركو » Dirku

(١) Bovill, pp. 53, 200-201

(٢) The Bornu Sahara, pp. 8, 121, 148

(٣) Murdock, p. 136

(٤) كتبت هذه الكلمة بصور مختلفة ، منها Qe, Keyi, Kayi (انظر معجم الألفاظ والمصطلحات)

(٥) The Bornu Sahara, p. 3, N.I

وأما كلمة ما غومى فهى ليست سوى مرادف لاسم قبيلة من أسلافهم تعرف باسم التوماغورى Tu-Maghuri أى « الماغورى سكان التلال » وخص به طبقة النبلاء عند الطوارق ، ويقابلها كذلك المصطلح إيماجارن Imagaren أو إيما غارن Imagharen كما يقابلها عند مروى مصطلح تيروكو Tiroku (١) .

الخلاصة أن الزغاوة وهم الكيون ، أسلاف الماغوميين فى حكم كانم ، وكلا الفريقين من نبلاء الطوارق .

وتاريخ برنوه فى الواقع ، هو تاريخ طبقة الماغوميين الحاكمة ، وقد اتخذ حاكمها لقب « ماى » Mai بمعنى ملك ، (٢) ويلاحظ أن كلمة « ماغومى » تحتوى على المقطع « ماغ Magh ويرادفه « ميى ، وماىّ » Me-Mai كما يتضمنه لقب الملكة الأم وهو الماجيرا او الماغيرا Magera وذلك فى لغة الكانورى ، والمتواتر بين البرنويين ، أن هناك صلة بين حكام برنو وحكام الحبشة ، بدليل أنه من بين ألقاب ماى برنو ، لقب : « ماقده بى » Makida be أى « من ماقده (٣) ، كذلك هناك صلة أخرى من حيث التقليد والعادات بين مايات برنووبين حكام منطقة الجزيرة فى سودان وادى النيل ، وفى النوبة ومروى(٤) .

على أن قيام أسرة الماغومى فى مطلع القرن التاسع الميلادى ، لم يؤد إلى انقراض الزغاوة انقراضا تاما ، أو انقراض سلطتهم ، ونفوذهم ، فقد بقى الزغاوة يسيطرون على منطقة كبيرة فى جنوب كانم وحول بحيرة

---

(١) Trim., p. 11; The Bornu Sahara, pp. 288, 299, 301-302

(٢) يقابل هذا المصطلح لقب ملك Mek بنفس المعنى فى السودان الشرقى .

(٣) من الأساطير المتواترة بين الأحباش تسلسل ملوكهم عن سلالة سليمان الحكيم (ع.) ، من زوجته ملكة سبأ التى يسميها الأحباش « ماقده » Makeda .

(انظر الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى ، للمؤلف ص ٩)

(٤) يلاحظ أن الروايات المتواترة التى تربط الأسرة الحاكمة فى كانم ، بالطوارق ، تربطها أيضاً بنفس الدرجة مع سكان منطقة الجزيرة فى سودان وادى النيل والنوبة ومروى (راجع : The Bornu Sahara, p. 127)

فترى ، وعاصمتهم مدينة سامينا أو ساميا Samina or Samiya قرب بحيرة فترى ، وعرفت هذه العاصمة كذلك باسم تاجو أو داجو Taju or Daju (١) . ومن مدن الزغاوة المشهورة فى ذلك الوقت ، أى فى وقت سيادة الأسرة الماغومية ، مدينة شبينا او شيبين Shebina or Chibin فى وادى بوتا ، ولهذه المدينة حاكم مستقل خاضع لحكومة الزغاوة، وربما خضع الزغاوة للماغوميين ، لكن يبدو أن هذا الخضوع كان اسميا . يقول المقريزى عن الزغاوة : « وقد أسلم أهلها ودخلوا فى طاعة الكانمى» (٢) وليس هناك معلومات دقيقة عن ملوك الزغاوة وحتى عن أسمائهم سوى ما ذكره اليعقوبى ، فيما أعلم ، حين قال : « ويقال لملكهم كاكره » (٣) وربما كان هذا لقبا وليس اسما ، كما أن بقايا مملكة الزغاوة حول بحيرة فترى ، هى التى أشار إليها اليعقوبى باسم «الحوضيين » أى المقيمين حول بحيرة فترى(٤).

وفى مطلع حكم الأسرة الماغومية ، كان يشار إلى ملك الزغاوة فى سامينا باسم « ملك سامينا Mek Samina » ويبدو أن ملك سامينا أو ملك ساميا ، كان من القوة والبطش ، بحيث لم يستطع الماغوميون فى كانم أن يواجهوه فى حرب صريحة ، والدليل على ذلك ، أن الملك السادس فى سلسلة الملوك الماغوميين ، وهو كاتورى Katuri ، وكان يحكم حوالى عام ٩٠٠ (٥) ، اضطر إلى إقامة علاقة ودية مع ملك الزغاوة الحوضيين ، فصاهره بأن تزوج من ابنته الملقبة ب : تومايو — Tu-Mayu ، ومعنى هذا اللقب « أميره » ، ويقابله عند الماغوميين « توميرام » Tu-Mairam اوميرام ، مما يدل على الصلة العنصرية بين طبقة

---

(١) The Bornu Sahara, p. 127

(٢) الإمام ص ٢٤

(٣) تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ١٥٧ ؛ راجع ماسبق

(٤) المصدر السابق ، The Bornu Sahara, p. 127; Carbou, I, pp. 329-355.

(٥) انظر قائمة المايات بالملاحق

الزغاوة وطبقة الماغومى ، أى أن الزواج السياسى كان من بين جوانب العلاقة بين سادة كانم فى الشمال وسادة فترى فى الجنوب(١) .

والمعلومات التى وصلتنا عن أوائل ملوك الماغوميين أسطورية ، حتى فى أسماء الملوك وأعمالهم وعهود حكوماتهم .

بلغ عدد هؤلاء الملوك الأوائل أحد عشر ملكا ، أولهم كما تقول أساطير وسجلات برنو ، سيف بن ذى يزن (٢) ، وآخرهم جيل أو عبد الجليل بن شو ، وعرف هذا الأخير كذلك باسم سالما أو سلماعه : Selma or Selma'a ، ويؤرخ لحكمه بحوالى عام ١٠٧٥ م ، وتقدر الفترة التى حكم فيها أولئك الملوك الأوائل بنحو خمسة قرون .

ومع أن الثابت علمياً أن سيف بن ذى يزن وابنه قد ماتا باليمن ، فإن قوائم أنساب ملوك برنو وتعرف باسم (الحرجام) Girgam ، فضلا عن « ديوان سلاطين برنو » ، تذكر بأن سيف أول ملوك البرنو ، وأنه جاء وأمه من مكة وحكم فى برنو عشرين سنة ، وأنه أقام فى العاصمة جيمى ، لكنه مات فى مدينة سامينا عاصمة الزغاوة قرب بحيرة فترى ، هذا وتسميه سجلات برنو « سيبو Saibu — ولعلها تحريف لسيف — كما تمنحه لقب « كرجولى » Kurguli بمعنى الأسد فى لغة الكانورى(٣) .

تذكر هذه السجلات كذلك أن بيرام Biram أو Brem ابن سيف أى إبراهيم بن سيف ، خلف أباه فى حكم برنو ، وأنه حكم ست عشرة سنة وقيل ٥٠ سنة ، وقالت كذلك إن أم إبراهيم هذا من الزغاوة أو من التوماغورى ، ثم ولى من بعده ابنه دجو أو دوكو Dugu or Duku وأمه من الزغاوة ، ومنحته الأساطير البرنوية لقب « ماى » Mai وقالت عنه إنه : « الماى دوجو برمى Mai Dugu Bremmi » أى الماى دوجو بن إبراهيم ، ونسبت إليه السجلات أعمالاً حربية واسعة النطاق ،

---

(١) The Bornu Sahara, p. 127

(٢) انظر مايلى عن قصة النسب السيفى ص٥٦

(٣) The Bornu Sahara, p. 112

ومغامرات أسطورية حملته إلى حوض نهر الكنغو من جهة وادى شارى .
ثم قالت عنه كذلك إنه مؤسس أسرة أو رأس أسرة ، باعتباره أول من
لقب بالماى ، وأن سلالته حكمت من حوالى القرن التاسع الميلادى إلى حوالى
نهاية القرن الحادى عشر .

جاء بعد دوجو ابنه فون Fune ، وفسرت المصادر اسمه بأنه
يدل على أنه يلبس اللثام الذى اشتهر به الطوارق ، ويسمى هذا اللثام
فى لغة الكانورى « فون » Fune وفى لغة الطوارق « تجلمست » Tigelmust ،
ومن الأخبار الأسطورية التى وردت بصدد « الماى فون » أنه حكم
٦٠ سنة أو ٢٥٠ سنة وتنكر بعض الروايات نسبه إلى أبيه ، وتلحقه
بالزغاوة وهكذا .

وخلفه ابنه أرشو أو أرسو Archu or Arsu وقيل : إنه كان يحكم
حوالى عام ٨٥٠ م .

والملاحظ من أماكن الدفن التى دفن فيها الملوك الثلاثة : دوجو
وفون وأرشو ، أنها تدل على أن عهود هؤلاء المايات قد قضيت فى
الحملات الحربية للغزو والتوسع ، فيما حول منطقة تشاد ، فهذا الماى دوجو ،
قيل إنه دفن فى ييرى أربسان Yeri Arbasan الواقعة فى حوض نهر
الكنغو ، كما أن الماى فون قد دفن فى جوانى نجالا كا Gwani N'Galaka
الواقعة فى بوركو أو فى واحة العوينات أو بعض واحات صحراء النوبة ،
مما يدل على مغامراته فى هذا الاتجاه ، وكانت واحة العوينات تعرف
باسم جايى أو جابال او كافيلا : Gaiji (Kayi) Gabale (Kafila)

واما السلطان كاتورى بن أرشو ، فقيل : إنه كان يحكم حوالى عام
٩٠٠ م ، ونسبت سجلات برنو إلى عهد كاتورى حوادث هامة : منها
الاتصال الوثيق بين الماغوميين والتيبو أو التدا قرعان بدليل اشتقاق
اسم كاتورى من كلمة جادو أو كادو — Gadu or Kadu ، وهى
التسمية التى أطلقتها قبائل الكانورى على قبائل التدا .

وإلى كاتورى هذا ينسب العمل السياسى الماهر فى العلاقة مع الزغاوة فى سامينا (١) ؛ ودل هذا ، كما دل مكان دفنه كذلك فى كولو Kulu ، جنوب شرقى تشاد ، على أن الأسرة السيفية لم تكن فى زمنه قد تمكنت بعد من بسط سيطرتها التامة على جميع أراضى كانم . وفترى ، وتقول الأساطير إن كاتورى حكم نحو ٢٥٠ سنة أو ٣٠٠ سنة .

جاء بعد كاتورى ابنه بيوما Biyoma وامه هى ابنة ملك سامينا ؛ وقيل : إنه كان يحكم حوالى عام ١٠٠٠م ، مما يؤكد أسطورية الأخبار المتعلقة بهؤلاء الملوك الأوائل .

ومعنى اسم هذا الملك « حاكم بيو Biu or Biyo » وهى تسمية أخرى لمدينة بيكورو Bikoro أو بيو Beyo ، وتقع هذه المدينة جنوب شرقى كانم .

ثم جاء الماى بولو Bulu بن بيوما ويقال : إنه كان يحكم حوالى عام ١٠٢٠م ومات فى مكان يعرف باسم ماجى زجدام Magi or Maki Zigidam or Jibidam ، ومعنى هذه التسمية « معسكر الماى الحربى » وخلفه ابنه أركو أو أركى Arku or Arki ، ويفسر اسمه بمعنى « الأب » فى لغتى التدا والكانورى ، كان يحكم حوالى عام ١٠٣٥ ، واشتهر أركو بن بولو Arku Bulumi بكثرة ما يملك من العبيد ، حتى إنه خشى بطشهم ، فوزعهم فى أماكن متفرقة متباعدة ، بأن وضع ٣٠٠ عبد فى دركو Dirku أى فى كاوار و ٣٠٠ فى جرمه فى فزان و ٣٠٠ فى مسجد فى إحدى الواحات فى شمالى كانم .

جاء بعده ابنه الماى شو Mai Shu Rigumi اى الماى شو بن أركو ، وكان يحكم حوالى عام ١٠٧٥ م ، ولكن عهده لم يطل ، فيقال إنه حكم أربع سنوات . وتنعته الأساطير بأنه كان وسيم الطلعة .

وأما ختام الملوك الذين اختلطت أخبارهم بالأساطير ، فهو الماى جيل أو جر Jil or Jir بن شو ، ويعرف كذلك باسم سالما Selma ،

---

(١) راجع ما سبق

كان يحكم حوالى عام ١٠٨٠ م ، وتفسير كلمة جيل أو جير فى لغة الكانورى «السلف» ، على أنه بعد انتشار الإسلام واعتناق الأسرة الحاكمة له ، غيرت الأسماء الوثنية إلى أسماء إسلامية فصار اسم جيل : عبد الجليل (١) .

ويكاد تاريخ برنو وماياتها يتحقق منذ بداية عهد الملك الثانى عشر وهو الملك أوم Umme أو هيوم بن عبد الجليل (١٠٨٥ - ١٠٩٧ م)

* * *

أما النسبة إلى سيف بن ذى يزن الحميرى ، وهى التى تمسك بها مايات برنو ، وسجلتها وثائقهم ورسائلهم ، ونشرها كتابهم ومؤرخوهم ، فهذه لم تظهر فى عهد هؤلاء الملوك الأوائل ، وإنما سجلت بعد ذلك فيما يبدو . ولاشك أنها ظهرت قبل نهاية القرن الرابع عشر الميلادى، بدليل أن الماى عثمان بن إدريس (١٣٩٢ - ١٤٢٤ م) ، وهو الملك الثالث والثلاثون فى سلسلة مايات برنو ، ذكر فى رسالة إلى برقوق سلطان مصر المملوكى عام ٧٩٤ هـ : ١٣٩٢م ، حين كان يشكو من اعتداءات عرب جذام فى بلاده ، أنه من سلالة سيف بن ذى يزن وعبارته : «ونحن بنو سيف بن ذى يزن والد قبيلتنا ، العربى القرشى ، كذا ضبطناه عن شيوخنا» (٢) وفى زمن الماى إدريس الوما (ت ١٦٠٢م) سجل مؤرخ البلاط الإمام أحمد بن فرتوا هذا النسب وربطه بقريش ، وأشاعه (٣) .

ومن أجل ذلك جاءت قوائم أنساب مايات برنو ودواوين ملوكها ، وهى مسلسلة عن سيف بن ذى يزن ، باعتباره أول ملوكهم وجدهم الأكبر .

---

(١) عن أخبار الملوك الأسطوريين الأوائل ، راجع: The Bornu Sahara, pp. 90-95, 112-155 ; Sudanese Memoirs, II, pp. 90-92, 103-107 ; Barth, II, pp. 633-635 ; Yver, I, p. 751, II, p. 714 ; L. Lugard, p. 262 ; Hogben, pp. 35-36 ; Shinnie, p. 69; Meek, p. 78.

(٢) صبح الأعشى جـ ٨ ١١٧ ؛ انظر نص الرسالة بالملاحق .

(٣) De Pedrals, pp. 135-136 ; The Bornu Sahara, p. 6

لقد أدعى ملوك البرنو أنهم ينحدرون عن سيف بن ذى يزن ، وقالت سجلاتهم إن أسرته حكمت أولا فى كاوار حوالى عام ٨٥٠م ثم تحالفت هذه الأسرة مع قبائل التيبو أو التدا ، وفتحوا معا الجزء الجنوبى من الصحراء ، واتسعوا تدريجيا حتى شمل نفوذهم من واداى شرقا إلى النيجر غربا (١) .

وقد أورد بالمر Palmer تحليلا لهذه الدعوى الأسطورية وأصولها وما ارتبط بها من أحداث وقصص، نقلا عن مخطوطة عربية كتبت فى تنبكت ، فى القرن السابع عشر الميلادى ، وعن المخطوطات العربية التى كتبها مؤرخو بلاط برنو .

وخلاصة هذا التحليل ، أن سيف بن ذى يزن كان متزوجا من إحدى سيدات التوماغوريين أى من القبيلة التى ينسب إليها مايات البرنو ؛ ومن هنا جاءت الصلة بين سيف وبين الأسرة الحاكمة فى برنو ، وللتوفيق بين سيف ابن ذى يزن الحميرى وبين قريش ذكر بالمر ، أن مقابلة حدثت بين عبد المطلب جد النبى (ص) فى مكة وبين سيف بن ذى يزن على أثر انتصار ابن ذى يزن على الأحباش بمساعدة الفرس حوالى عام ٦٠٢ م وأن عبد المطلب هنأ سيفاً بهذا النصر بسبب كراهة عبد المطلب وقريش للأحباش الذين كانوا يرومون هدم الكعبة من قبل فى عام الفيل المشهور (حوالى عام ٥٧٠م) ولما سأله سيف عن أصله ونسبه أجاب عبد المطلب أنه « عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف وحينئذ عقب سيف : « إذن أنت ابن أخينا »

ومن هذه المقابلة الأسطورية جاءت الصلة بالنسب القرشى ، كما جاء ادعاء التوماغوريين الطوارق من البربر من سكان تيبستى أنهم من عرب بنى وهب بن عبد مناف القرشى (٢) .

---

(١) Meek, pp. 70-76; The Bornu Sahara, pp. 90, 179 ; Sud. Mem., I, pp. 6-7, II, pp. 93-95, 103-107, 119 ; Hogben, pp. 35-36 ; Davidson, p. 101 ; Yever, I, p. 751, II, p. 714 ; Barth, pp. 262-68, 633.

(٢) The Bornu Sahara, pp. 7 8 ; Sud. Mem., III, pp. 90 92, 119.

والحقيقة أن قصة النسبة إلى سيف بن ذى يزن والصلة بقريش، خرافة ، وقد روجها مؤرخو بلاط برنو وهى جزء من عدد كبير من الأساطير التى احتفظت بها مملكة البرنو وحرصت عليها لأنها تتعلق بأصولها ، ومن هذه الأساطير ما يقول : إن الطبقة الحاكمة فى برنو ، وهى طبقة الماغوميين النبلاء قد انتقلت من شواطئ البحر الأحمر ، ومن الشرق إلى أرض شام Sham أى كانم .

والمعروف أن سيف بن ذى يزن قتل فى اليمن على أثر طرد الأحباش ، وذلك على يد أحد الحراس الأحباش الذين استبقاهم سيف فى خدمته (١) كما أن قصة النسبة القرشية خرافة : يقول القلقشندى معلقا على هذا الادعاء السيفى اليمنى القرشى : « إلا أنه لم يحقق النسب ، فذكر أنه من قريش وهو غلط فإن سيف بن ذى يزن عن أعقاب تبابعة اليمن من حمير» (٢) .

وبالإضافة إلى أسطورية النسبة السيفية القرشية وما فيها من تناقض ، هناك الادعاء إلى النسب العلوى ، فقد ذكر العمرى والقلقشندى ، بصدد حديثهما عن كانم « وقد جاء منهم من ادعى النسب العلوى فى بنى الحسن » (٣) .

والملاحظ فى تاريخ الدول الإسلامية التى نهضت فى بلاد السودان الغربى والأوسط عامة ، أن الأصول العربية والنسب العلوى قد انتحلهما الكثير من الأسر الحاكمة فضلا عن القبائل التى اشتهرت فى التاريخ فى تلك البقعة ، ومن أمثلة ذلك ، ملوك مالى وملوك التكرور ، بل إن قبائل التورا Tura ، فى منطقة تشاد تقول : إنها تنحدر عن النبى (ص) مباشرة(٤)، وادعت قبيلة جوبير من (الهوسا) وقبائل اليوروبا والبيدا Bede والبوسا Busa والبروم Brum بأنها وفدت أصلا من ضواحى مكة (٥) .

---

(١) جواد على : العرب قبل الإسلام ج ٣ ص ٢١١ — ٢١٤ ، The Bornu Sahara, pp. 8, 121.

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ج ٨ ص ١١٧

(٣) مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٢ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨١

(٤) The Bornu Sahara, pp. 46 47

(٥) Meek, p. 69

على أن مثل هذه الادعاءات لم تظهر إلا بعد انتشار الإسلام والحضارة العربية الإسلامية فى تلك الجهات ، وبعد أن ظهرت تلك القبائل القوية الأفريقية على مسرح التاريخ القومى الأفريقى ، وكونت لها إمبراطوريات واسعة متقدمة ، فاقت فى مدنيتها بلاد أوربا المعاصرة فى العصور الوسطى ، باستثناء الأجزاء التى نهضت فيها الحضارة العربية الإسلامية مثل الاندلس وصقلية ، وبعد أن كثرت اتصالاتها بالبلاد الأصلية التى أمدتها بالعقيدة والمدنية والعلوم ، فأصبح من باب الفخر لديها ، ورغبة فى تدعيم الصلة وتأصيلها ، أن توجد لها نسبة عربية أو أصلا عربيا ، كذلك من آثار انتشار الإسلام ، إضعاف الكثير من التقاليد الوثنية الموروثة ، مثل الوراثة عن الأم ، وهى الشائعة عند الطوارق من البربر بصفة خاصة حتى العصر الحاضر ، وعند كثير من الدول الافريقية ، فى العصور الوسطى ؛ ولما كان الماغوميون ، وهم مايات برنو ، قد ورثوا الحكم أصلا عن طريق الأم ، أضحى من الضرورى بعد انتشار الإسلام والعروبة ، إيجاد نسبة أبوية ولتكن عربية عريقة ، سواء أكان ذلك مبنيا على حقيقة أم خرافة ، فكانت النسبة السيفية (١) .

الخلاصة ، أن الأسرة الحاكمة التى قامت فى كانم ثم فى برنو ، ترجع إلى البربر الطوارق سواء أكانت من الزغاوة أم من الماغوميين . ويقول السلطان بللو : (٢) : « إن أول ملوك برنو من البربر أصلا » (٣) ؛ ويطلق الهوسا على أهل برنو اسم البربر ، وتسمى كل رجل من برنو بالبربرى Ba-Bérberche (٤) .

غير أن هذا لا يمنع من بروز الأثر العربى والدماء العربية فى منطقة تشاد :

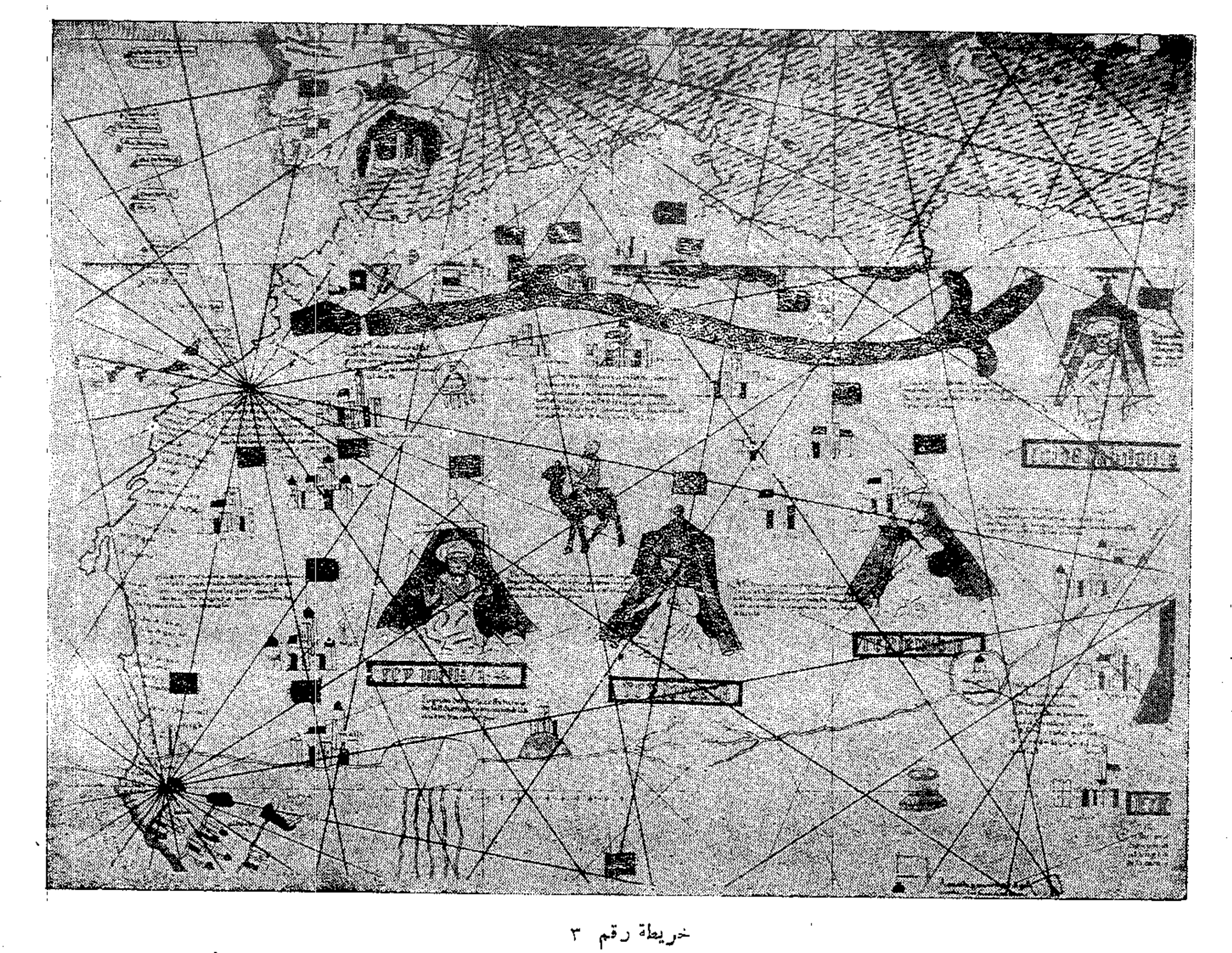
---

(١) Memorandu, p. 10; The Bornu Sahara, p. 6

(٢) الشيخ محمد بللو Bello سلطان سوكوتو الفولانى فى القرن التاسع عشر (انظر الفصل الأخير)

(٣) Barth, pp. 269 272

(٤) Ibid



خريطة رقم ٣

الخريطة القطالونية (محفوظة بمكتبة إستنس بمدينة مودينا بإيطاليا صدرت فى القرن الخامس عشر) – وعليها صورة « ملك أورجانا » وهوماى البرنو

هذه الخريطة جزء من خريطة للعالم ، محفوظة فى مكتبة استنس Biblioteca Estense بمدينة مودينا بايطاليا ، صدرت خلال القرن الخامس عشر الميلادى لأول مرة ، وليس هناك تاريخ محدود لظهورها ، كما أنه ليس من المعروف صاحبها ، وكل ما هو معروف عنها ، أنها أعتمدت فى بياناتها على المعلومات التى أوردها الرحالة الأسبانى الفرنسسكانى ، الذى جاب أفريقية من غربها الى دنقلة الى القاهرة فدمياط ، وانتهى فى الكتاب الذى أصدره بعنوان : Libro del Conoscimiento ، الى حوادث عام ١٣٤٨ م ، ومن العجيب ، أن هـذا الرحالة الأسبانى الفرنسسكانى ، لم يذكر اسمه ، وكل ما ذكره ، هو أنه من مواليد عام ١٣٠٥ م ، وكان اعتماده ، فى تدوين كتابه ، فضلا عن مشاهداته ، على المراجع العربية والعلماء العرب الذين توفر عدد كبير منهم فى الأندلس الاسلامية ، حيث كتب كتابه ٠

وقد نشر هذا الكتاب فى مدريد عام ١٨٧٧ ، مع تعليق وشرح ، قام بها مرقس خمينيث دولا أسبادا Marc s Jiménez de a Espada وظهرت ترجمة انجليزية لهذا المؤلف فى لندن عام ١٩١٢ م ، وقام بهذه الترجمة سير كليمنت ماركام Sir Cement Markham

اعتمدت الخريطة كذلك ، على ما ورد بخرائط العالم Mappae Mundi التى سـبقتها فى الظهـور ، مثـل خريطـة دلكرت Dulcert عام ١٣٣٩ ، والأطلس القطالونى الذى أصدره أبراهام كرسك Abr. Cresques لشارل الخامس ملك فرنسا عام ١٣٧٥ م ، وهذه الخرائط من انتاج علماء مدرسة جـزيرة ميورقه لرسم الخـرائط وكانت المراجع العربية التاريخية والجغرافية أهم مصادرها ٠

والخريطة ، المصورة هنا ، مكتوبة باللغة القطالونيه ، ومن هذا ، كانت التسمية لها ولغيرها من الخـرائط التى صـدرت بهـذه اللغة الأسـبانية ٠ صدر من هـذه الخـريطة طبعة ملونة ، أخـرجها كونراد كرستشيمر Konrad, Krestschimer فى برلين عام ١٨٩٧ م ، وطبعة عادية ، أخرجها بولى L. Pulle الفرنسسكانى فى بولونيا بايطاليا عام ١٩٠٨ ٠

يبدو فى هذه الخريطة من الجهة اليسرى « مانسا مالى » أو ملك مالى Rey Melli ، والى يساره ، يجلس « ماى البرنو » أو ملك أورجانا Rey d'Organa ، والى الشرق يظهر ملك النوبة Rey de Nubia

وتبين الصورة العليا من الجهة اليمنى ، سلطان مصر ، باسم : « سلطان بابل Solda Babilonia ، نسبة الى حصن بابليون • ولا شك فى أن صورة سلطان مصر ، ترمز فى ذلك الوقت لسلطان المماليك ، وفوق صورة سلطان مصر ، توجد كلمةمصر Egipta

وفى أعلى الخريطة ، توجد سلسلة جبال أطلس ، كما صورتها هذه الخريطة ، يخترقها وادى درعة ، المدخل الرئيسى للصحراء والى بلاد السودان •

وفى أسفل الخريطة ، تقترب أعالى النيل الغربية من أعالى نهـر النيجر الشرقية • وترمز المبانى الواضحة بالخريطة ، الى المدن الافريقية الكبرى •

الفصل الثالث

الإسلام في إمبراطورية البرنو

تمهيد في قدم الاسلام في بلاد السودان الأوسط والغربي ومنابع التأثير لاسلامي ـ وصول الاسلام الى كانم وبرنو منذ القرن الثامن الميلادي ـ الأمويون ـ المسلمون من شمالي أفريقية ـ الماي أوم بن عبد الجليل و « المحرم » الذي أصدره عن انتشار الاسلام في بلاده ـ محمد بن ماني داعية الاسلام في برنو والمايات الذين عاصرهم ـ نشاط مايات برنو في نشر الدعوة الاسلامية ـ تمسكهم بقواعد الدين وبناء المساجد وتحطيم معابد الوثنية ـ الهادي العثماني ـ برنو جزء من العالم الاسلامي ـ العناية بأداء فريضة الحج ـ مدرسة ابن رشيق بالفسطاط ومهمتها ـ المذهب الغالب في برنو ـ الطرق الصوفية ـ أثر الاسلام : استبدال الأسماء والألقاب الوثنية بأسماء وألقاب اسلامية ـ ما ورد في «انفاق الميسور» بصدد اسلام برنو ـ اللغة العربية والتراث العربي الاسلامي ـ مدى تمسك أهل برنو بروح الاسلام ومظاهره كما يصورها كتاب « انفاق الميسور » .

الإسلام قديم فى غرب أفريقية عامة ، أى أنه لم يدخل تلك البلاد لأول مرة على يد المرابطين فى القرن الحادى عشر الميلادى ، كما هو مشهور ، بل إن الصلات المتنوعة القديمة القائمة بين بلاد السودان الأوسط والغربى ، وبين البلاد الإسلامية فى وادى النيل وما والاه شرقا ، وشمالى أفريقية ، كانت ذات أثر كبير فى وصول الإسلام والتعريف به فى بلاد السودان ، وذلك قبل عهد المرابطين بما لا يقل عن أربعة قرون(١)

وهناك ثلاثة منابع رئيسية وفد منها الاسلام ولغته وحضارته ، إلى بلاد السودان :

١ – من مصر إلى النوبة إلى برنو إلى بلاد الهوسا .

٢ – عن طريق الحبشة إلى اليوروبا والأشانتى .

٣ – من شمالى افريقية عبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والغربى . (٢)

وعن المنبع الأول ومن مصر مباشرة ، وصل الإسلام إلى كانم وبرنو (٣) ، فقد كانت مصر من أسبق الأقطار فى اعتناق الإسلام ، كما أن وادى النيل عامة كان ولا يزال أهم المراكز التى زحفت منها الدعوة الإسلامية . (٤)

---

(١) قيام إمبراطورية مالى الإسلامية للمؤلف ص ٢٦ – ٢٧ ، الإسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ٩ وما يليها . انظر كذلك : Le Chatelier, p. 341

(٢) Blyden, p. 5

(٣) L. Lugard, p. 66

(٤) ديشان : Deschamps الديانات فى افريقية السوداء ص ١٣٢

وتبعا لرواية متداولة عند الهوسا ، يقال ان شخصاً يعرف باسم : «أبي يزيد الفزاري ، كان يدعو للإسلام في كانم وبرنو في نهاية القرن السابع ومطلع القرن الثامن الميلادى (١) ، وقد ارتبط اسمه فى برنو باسم أسرة مسبعرمة » Masbarma (٢) وهى الأسرة التى وفد عدد كبير من أعضائها إلى برنو حوالى القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادى ، ويقال إنها جاءت من فزان أومن وادى النيل ، وكانت اسلاف عدد كبير من العلماء المسلمين فى برنو ومن الوزراء البرنويين ، ويطلق على جميع أفراد هذه الأسرة : مسبعرمة — وهذه التسمية لقب ، معناه فى برنو « الوزراء الوراثيون (٣)

وعن مخطوطة عربية ترجع كتابتها إلى الفترة ما بين ١٦٥٧ ، ١٦٦٩ م فى تمبكتو ، عثر عليها الفرنسى دوميزيير M. Bonnel de Mezières : هناك أربعة جنود من جيش عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى (٩٩ — ١٠١ ﻫ / ٧١٧ — ٧٢٠ م) جاءوا من اليمن : إلى برنو واستطاعوا أن يكونوا أسرا مالكة فى برنو وغيرها من بلاد السودان (٤) وقد اختلطت أخبار هذه المخطوطة بالأساطير ، وذكر البكرى ، أن قوماً من بنى أمية هاجروا إلى كانم عند محنتهم ببنى العباس ، ويشك ياقوت فى هذه الرواية حين تحدث عن كانم وأهلها فى قوله :

«وهم سودان مشركون ويزعمون أن هناك قوماً من بنى أمية صاروا إليها عند محنتهم ببنى العباس »

وخلال القرن التاسع الميلادى وما يليه ، جاءت وفود المسلمين المهاجرين

---

(١) Yver, p. 714

(٢) الصيغة العربية والضبط عن نسخة محرم عربى برنوى (انظر الملاحق) كلمة مسبعرمة ومسبرمه يحتمل أنها نسبة إلى مدينة قديمة تعرف باسم سابرو Sabru قرب واحة العوينات . راجع :
Sud. Mem., III, pp. 132-43 ; The Bornu Sahara, p. 39.

(٣) Sud. Mem., III, p. 146 ; The Bornu Sahara, p. 39

(٤) The Bornu Sahara, pp. 6 7

(٥) معجم البلدان ج ٧ ص ٢١٠ ، انظر كذلك ; The Bornu Sahara, p. 126

عبر الصحراء نحو الجنوب ، منهم قبائل التيبو أو التدا ، الذين هاجروا إلى كانم بعد حوالى عام ٨٠٠م ، واستأذنوا سلطان الصو فى الإقامة(١) .

يقال إن هؤلاء التيبو كانوا من المسلمين الذين استطاعوا أن يحتلوا جزءا من كانم وان يهزموا الزغاوة وأن ينشروا الإسلام . ويعاصر استقرار التيبو فى كانم قيام الأسرة السيفية التى اعتبرت نفسها حامية الإسلام(٢) .

والواضح من هذه الشواهد أن الشطر الشرقى من امبراطورية البرنو وهو كانم ، قد اعتنق الإسلام قبل القسم الغربى وهو برنو يقول بفر : اعتنق أهل كانم الإسلام قبل البرنويين ،ويقول أرفوى Urvoy انتشر الإسلام فى كانم وبرنو حوالى عام ١٠٠٠ م ، ويضيف : أن الإسلام دخل برنو على يد الغزاة الكانميين الذين كانوا يعتنقونه منذ مدة طويلة ، وان عدد الداخلين فى العقيدة الجديدة كان يزداد يوما بعد يوم ، وأن مدناً إسلامية اشتهرت مثل مدينتى مارغى Marghi وماندرا Manadara (٣)

أورد بالمر Palmer ، ترجمة مخطوطة عربية فى كتابيه (٤) ، وهذه المخطوطة عبارة عن رسالة أصدرها الملك أو الماى أوم بن عبد الجليل (حكم من حوالى عام ١٠٨٦ إلى عام ١٠٩٧) (٥)موجهة إلى ابنائه وخلفائه من بعده ، وتعرف هذه الرسالة أوهذا المنشور أوالمرسوم فى المصطلح العربى البرنوى باسم « مَحْرَم » وتتضمن معلومات عن دخول الإسلام فى برنو .

ومما جاء فى هذا « المحرم » بعد البسملة والحمد له ، أن أول بلد دخله الإسلام فى السودان ، هو برنو ، وأن ذلك كان على يد الداعية المسلم الفقيه محمد بن مانى ، وهو السلف البعيد للامام أحمد بن فرتوا ، مؤرخ بلاط برنو زمن (الماى إدريس ألوما) ت حوالى ١٦٠٢م (٦)

(١) راجع ما سبق وانظر : Burns, p. 50 ; The Bornu Sahara, p. 126

(٢) Yver, p. 714

(٣) Urvoy, p. 21

(٤) هما : (1) Sudanese Memoirs (2) The Bornu Sahara and Sudan.

(٥) الملك أوم ، هو الماى الثانى عشر فى سلسلة ملوك الأسرة السيفية (راجع قائمة المايات بالملاحق) .

(٦) الماى إدريس ألوما هو الثالث والخمسون فى سلسلة مايات برنو

يقول « المحرم » إن الداعية أو المعلم محمد بن مانى كان معمرا ، فقد عاش ١٢٠ سنة وعاصر خمسة من مايات برنو ، أولهم : الماى بولو الذى كان يحكم حوالى عام ١٠٢٠ م . (١) وآخرهم الملك أوم الذى كتب هذا المحرم عنه .

وأن محمد بن مانى قرأ مع الماى بولو الجزءين الأخيرين من القرآن الكريم من أول سورة الملك إلى نهاية سورة الناس ، وكما جاء فى نصوص المحرم أنه قرأ معه من « سورة تبارك الذى بيده الملك . . « إلى » . . من الجنة والناس » وأن الملك بولو منحه مكافأة على ذلك ، عبارة عن خمسين جملا .

وأن محمد بن مانى قرأ مع الماى أركى (كان يحكم حوالى عام ١٠٣٥م) (٢) ، من أول سورة يس إلى نهاية سورة الناس ، فكافأه بستين جملا ، وكذلك الشأن بالنسبة للماى الذى خلفه وهو كادأوشو (كان يحكم حوالى عام ١٠٧٥م) فكافأه بسبعين جملا ، كذلك كافأه الماى عبد الجليل بثمانين جملا بعد أن أقرأه من سورة الأعراف إلى مابعدها . وأما الملك أوم فقد قرأ معه القرآن كله من سورة البقرة إلى نهاية سورة الناس ، وقرأ معه كذلك سيرة النبى «ص» وأمر بمنحه مائة بعير ومائة قطعة ذهبية ومائة قطعة من الفضة ومائة عبد . (٣) .

جاء فى هذا « المحرم » كذلك ، أن الماى أوم ، قام بنشر الإسلام مع محمد بن مانى ، وأنه استحرمه عليه كما استحرم عدداً من القبائل والأسر ، وأوصى بحرمة أموالهم ودمائهم ، ودعا على من يعتدى عليهم بالحرق فى نار جهنم ، وأنهى المحرم بعبارة : والسلام علينا وعليكم . (٤)

يتضح من هذا المحرم : أن الملك أوم ، لم يكن أول من اعتنق الإسلام من مايات البرنو ، فقد سبقه مايات آخرون ؛ فضلا عن أن

---

(١) الماى بولو Bulu هو الثامن فى سلسلة مايات برنو

(٢) الماى أركى أوأرجى Arki Argi هوالتاسع فى سلسلة مايات برنو

(٣) The Bornu Sahara, pp. 10, 14, 155 156, 163; Sud. Mem., III, pp. 3 5 انظر كذلك : ديشان ص ١٣١ ، Meek, p. 78; Yver, p. 714 ; Okafor p. 33.

(٤) Sud. Mem., III, p. 5 ; The Bornu Sahara, pp. 14 15

الإسلام انتشر بين كثير من أبناء قومه ، وكان الماى أوم أول ملك معروف قام بدور كبير فى نشر الإسلام ، وهو مدفون فى مصر ، وافته منيته حين كان فى طريقه إلى الحج أو فى طريق عودته منه (١) .

ازداد انتشار الإسلا م بعد ذلك فى برنو ، وتمسك المايات به وبمظاهره فضلا عن الدعاية له بشتى الوسائل ؛ ففى زمن الماى دونمه (٢) بن أوم ٤٩١ – ٥٤٥ هـ/ ١٠٩٨ – ١١٥٠م ازداد عدد الداخلين فى الإسلام، وخلال حروب هذا الماى وتوسعه ، كان الإسلام ينتشر ، وقد اشتهر الماى دونمه بتقواه والتمسك بالدين ، وأدى فريضة الحج أكثر من مرة ، (٣) وأول مسجد معروف بنى فى برنو ، كان فى زمن دونمه ابن أوم الذى بناه فى مدينة بالاك Balak شرق كانم (٤) . ثم إن الماى بيرى بن دونمه (١١٥١ – ١١٧٧ م) اشتهر بأنه كان فقيها مثقفا (٥) ، غير أنه عندما حاد عن بعض قواعد الدين والشرع فى حكمه ، سجنته أمه الملكة فاساما أو جومسو فاساما Gumsu Fasama . (٦)

استمر انتشار الإسلام وازدياد معتنقيه باطراد ، كما ازداد بناء المساجد ، فى زمن الماى سالما من حوالى (١١٩٤ إلى ١٢٢٠ م) ، وكان أحد علماء الدين قد قرأ نحو ١٥٠ كتابا دينيا مع مايرادو ابن الماى سالما وأشار « المحرم » الذى أصدره الماى سالما إلى اسم هذا العالم وهو الإمام أبوعبد الله ديلى بن بدر من الكانمبو ؛ وإنه من أجل ذلك كافأه بجعله إماما فى المسجد الذى بناه ، ومنحه امتيازات مادية ، فأعفاه من الضرائب ، وجميع الالتزامات هو وسلالته من بعده ، كما أعفاه وسلالته من الخدمة الحربية (٧). والملاحظ أن الاسم الإسلامى للماى سالما هو

(١) The Bornu Sahara, pp. 91, 155 156

(٢) الصيغة العربية والضبط عن محرم عربى برنوى (انظر المحرم المنشور بالملاحق)

(٣) Yever, p. 751

(٤) Shinnie, p. 75 ; The bornu Sahara, pp. 15, 124, 127, 163, 164, 174, 184, 186, 209.

(٥) Yeʌer, p. 75

(٦) جومسو بمعنى ملكة

(٧) The Bornu Sahara, p. 19 ; Shinnie, p. 70

« عبد الجليل » ، وأن سالما صفة معناها « أسود » ، ووصف بذلك لأنه ، كما تقول تاريخ برنو ، كان « شديد السواد » على خلاف مايات برنو الذين سبقوه ، فجميعهم كانوا بيضا أو شقرا مثل العرب (١) .

ثم إن الماى دونمه بن دابال — نسبة إلى أمه دابال — وهو الماى السابع عشر فى سلسلة مايات برنو (١٢٢١ هـ ١٢٥٩م) هو الذى حطم المعبد الوثنى الضخم المعروف باسم ميون Mune وكانت عبادته لا تزال قائمة فى بعض أجزاء كانم وتيبستى ؛ ومنذ تحطيم هذا المعبد ؛ لم يستطع أحد من الكفار أن يقف فى وجه مايات بنى سيف ، كما يقول أحمد بن فرتوا لأنه ، لم يجرؤ أحد من المايات قبله على الاقتراب من هذا المقدس الوثنى . ويقول ديوان برنو إن أحدا غير الله لا يستطيع أن يعرف ماهية ميون هذا ؛ فقد حدثت اضطرابات من قبل الوثنيين ، لكنها لم تؤثر على انتشار الإسلام . (٢)

ويقال إن الماى دونمه هذا هو أول من أخذ لقب « أمير المؤمنين » ، تأسياً بالسلطان الحفصى المنتصر (١٢٤٩ — ١٢٧٧ م) ، وكان يعاصره ، كما كان المنتصر أول من اتخذ هذا اللقب من آل حفص فى شمالى افريقية . (٣)

ويشتهر عهد الماى كاداى أو عبد القديم (١٢٥٩ — ١٢٧٨ م) بضعف الوثنية وأشياعها (٤) كما اقترن عهد خليفته الماى عثمان بن زينب (١٢٧٩ — ١٣٠٠ م) بنشاط الدعوة الإسلامية ، حتى قيل إن هذا الماى هو المقصود بالشخصية المعروفة فى الكتب العربية باسم « الهادى العثمانى » يقول العمرى :

أول من بث الإسلام فيهم — أى أهل كانم — الهادى العثمانى — ادعى أنه من ولد عثمان بن عفان — وصارت — أى الدعوة الإسلامية — بعد ذلك لليزنيين من ولد بنى ذى يزن (٥)

يقول بالمر : ادعى الماى عثمان بن زينب أنه من سلالة عثمان بن

---

(١) The Bornu Sahara, pp. 91 2, 179

(٢) Ibid., pp. 92,184

(٣) Ibid., pp. 184, 186

(٤) Ibid., pp. 92, 187

(٥) مسالك الأبصار جـ٢ ق٣ ورقة ٤٩٢ انظر كذلك Barth., p. 635

عفان ، وورد فى نصوص المخطوطات العربية التى خلفتها برنو ، أن عثمان بن زينب هذا هو خليفة المسلمين ، وأن ترتيبه فى الخلافة الإسلامية يأتى بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وفى قوائم أنساب برنو أى فى الجرجام Girgams أن الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز قد انتقلت إلى برنو عام ١٠١هـ/٧٢٠م (١) وجاء فى ديوان (مايات برنو) أن أول من لقب بخليفة منهم ، هو الماى العاشر كادى بن أرجى أوشو (١٠٧٥ م (٢) .

وسواء صح الادعاء أو صحت التسمية أو لم تصح ، فإنها على أية حال تدلنا على اهتمام مايات برنو بنشر الدعوة الإسلامية وتفانيهم ، وقد جاء إلى برنو اثنان من علماء الفولانيين المسلمين ، من مالى ، زمن عثمان بن زينب ودخلا فى طاعته فشجعهما على نشر الدعوة الإسلامية فى بلاده (٣) . وأشار دولا رونسير de la Roncière بصدد حديثه عن خرائط مدرسة ميورقه إلى أن ملك أرجانا Lo Rey Organa يقوم بنشر الإسلام فى مساحة واسعة بين فزان شمالا والنوبة شرقا . (٤)

أما جهود الماى إدريس الوما (ت ١٦٠٢ م) أعظم مايات برنو على الاطلاق ، فقد خلدتها كتابات الإمام أحمد بن فرتوا مؤرخ بلاط برنو فى زمنه ، شن الماى إدريس حربا ضد الصو الوثنيين ، ولقى مقاومة عنيفة ، لكنه نجح فى حملاته بفضل استخدام الأسلحة النارية (٥) وكان يهدف إلى بث الوحدة الدينية الإسلامية بين رعاياه ، بجانب تدعيم الوحدة السياسية ، لأن كثيراً من رعاياه كانوا لايزالون على الوثنية ، بينما كان المايات والطبقة العليا تعتنق الإسلام منذ قرون سابقة ، ويشبه هذا الوضع ما كان سائداً بين رعايا غانه ومالى وصنغى (٦)

عنى إدريس ألوما بتدعيم حكم الشرع الإسلامى وأوكل للقضاة

---

(١) The Bornu Sahara, p. 189

(٢) Ibid., p. 90

(٣) The Bornu Sahara, p. 189; Barth, p. 636; L. Lug., p. 270

(٤) La DeCouverte de l'Afrique au Moyen Age, T. I, p. 136

(٥) Lug., L. p. 286

(٦) Shinnie, p. 75

المسلمين حراسة العقيدة وأحكامها ، كما أكثر من بناء المساجد وشجع على أداء فريضة الحج (١)

وبانتشار الاسلام، تصبح إمبرطورية البرنو ، جزءاً من العالم الاسلامى ، وقد نعمت بهذا الرباط ، إذ انتشرت فيها التعاليم الإسلامية والعلوم الدينية والمدنية الإسلامية ، كما حفلت بالكثير من علماء المسلمين الذين استقروا فى بلاد البرنو واختلطوا بالمواطنين (٢)

هذا وقد عنى مايات برنو بأداء فريضة الحج ، والطريق المألوف لحجاج بلاد السودان الأوسط والغربى عامة ، هو طريق مصر (٣) حيث كانت السلطات المعاصرة تعمل على تيسير أداء هذه الفريضة ، وأول من حج من مايات برنو المسلمين المعروفين ، الماى أوم (حوالى ١٠٩٧م) وقد مات فى مصر وبها دفن ، وليس من المؤكد إن كانت وفاته قد وقعت بعد أدائه فريضة الحج أو قبلها . حدث ذلك فى زمن الخليفة الفاطمى المستعلى أحمد (٤٨٨- ٤٩٥هـ/ ١٠٩٥-١١٠١م) (٤) وحج الهادى دونمه بن أوم ، أكثر من مرة ، وبهرت مواكب حجة أهل مصر كما بهرتهام بعده ، مواكب حج ملوك مالى وملوك صنغى المسلمين ، وجاء فى « ديوان » مايات برنو » أن الماى دونمه هذا ترك فى مصر خلال حجته الأولى ثلثمائة عبد ومثلها خلال الحجة الثانية ، وقد غرق عند عيذاب أو عند السويس وهو فى طريقه إلى مكة فى حجته الثالثة أو الرابعة (حوالى عام ١١٥١م) ، واتهمت مصادر برنو حكومة الفاطميين بتدبير غرقه خشية من بطشه ، أو لأنه انحاز إلى الأحزاب الداخلية المصطرعة فى مصر (٥) ، وكان ذلك زمن الخليفة الفاطمى الظافر بأمر الله أبى منصور (٥١١ -٥٤٩ هـ / ١١٤٩ - ١١٥٤ م) .

ولم يقتصر أداء الحج على المايات ، ولكن جميع المسلمين من أهل برنو ، كان

---

(١) Ibid., p. 75

(٢) Ibid., p. 71

(٣) Trim., pp. 85,88

(٤) فى زمن خلافة المستعلى الفاطمى ، كانت الأحوال مضطربة فى الشرق الأوسط بسبب الاحتلال الصليبى الاستعمارى لبيت المقدس عام ١٠٩٩ م ، وبسبب الاضطرابات الداخلية فى مصر الفاطمية نتيجة الصراع حول منصب الوزارة .

(٥) The Bornu Sahara, pp. 91, 163,164; Barth, p. 636 ; Hogben, p. 36.

القادر منهم يؤدى هذه الفريضة ، وكثرت وفودهم إلى مصر فى طريقهم إلى الحج ، حتى احتاجت هذه الوفود إلى مكان ينزلون فيه خلال رحلتهم ، ومن أجل هذا بنوا مدرسة فى فسطاط مصر ، عرفت باسم مدرسة ابن رشيق ، لتدريس المذهب المالكى ، فضلا عن استخدامها نزلا للوافدين ، عن العمرى والقلقشندى أن أهل كانم « بنو مدرسة للمالكية بالفسطاط ينزل بها وفودهم(١).

ويقول المقريزى عن هذه المدرسة :

« مدرسة ابن رشيق بخط حمام الريش من مدينة مصر ، كان الكانم من طوائف التكرور ، (٢) لما دخلوا من مصر ، فى سنة بضع وأربعين وستمائة(٣) قاصدين الحج ، دفعوا للقاضى علم الدين بن رشيق مالا ، بناها به ودرس بها فعرفت به وصارلها فى بلاد التكرور سمعة عظيمة ، فكانوا يبعثون إليها فى غالب السنين بالمال » (٤)

وكان بناء هذه المدرسة فى أواخر العهد الأيوبى (٥) ، وفى زمن الماى البرنوى دونمة بن دبالا (ت حوالى عام ١٢٥٩ م).

وكما بنيت مدرسة ابن رشيق بمصر لأهداف التعليم وإقامة حجاج برنو ، بنيت كذلك فنادق فى مكة لنزول حجاج برنو ، ومن المايات الذين اشتهروا بهذا العمل ، الماى إدريس ألوما (ت ١٦٠٢ م) ، كما اشتهر بالإكثار من بناء المساجد (٦).

---

(١) مسالك الأبصار جـ٢ ق٣ ورقة ٤٩٢ صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨١

(٢) أطلق أهل مصر فى العصور الوسطى على جميع الوافدين من غربى افريقية كلمة التكاررة ، كما عرفوا بلادهم باسم «بلاد التكرور» لسبق شهرة هذه التسمية من الناحية التاريخية .

(٣) البضع وبضع ، مابين ثلاث وتسع (المختار)

(٤) المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٣٦٥

(٥) خلال الفترة التى ذكر المقريزى أن مدرسة ابن رشيق بنيت فيها وهى مابين عامى ٦٤٣ ، ٦٤٩ هـ ١٢٤٥ ، ١٢٥١م ، حكم الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ - ٦٤٧ هـ ١٢٤٠-١٢٤٩م وابنه المعظم توران شاه الذى قتله المماليك فى المحرم من سنة ٦٤٨ هـ أبريل ١٢٥٠ م ، ثم شجرة الدر التى خلفته ، وحكم معها بعد ذلك زوجها المعز أيبك التركمانى .

(٦) Shinnie p. 75, ; Barth, pp. 636,640; The Bornu Sahara, p. 209.

والمذهب الغالب فى إمبرطورية البرنو هو مذهب الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ ه / ١٠٩٥ م) والقلة على مذهب الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى (ت فى مصر ٢٠٤ ه / ٨١٩ م) :

يقول القلقشندى عن الكانم :

« وسلطان الكانم من بيت قديم فى الإسلام ، وقد جاء منهم من ادعى النسب العلوى فى بنى الحسن ، وتمذهب بمذهب الشافعى » (١)

وفى موضع آخر يقول :

« والعدل قائم فى بلادهم ، ويتمذهبون بمذهب الإمام مالك رضى عنه . . . وهم ، . . يابسون فى الدين » (٢)

على أن أغلب المسلمين فى أفريقية السوداء عامة ، يسيرون وفق طرق صوفية مختلفة ، وكل هذه الطرق على مذهب مالك . (٣)

ولاشك أن للطرق الصوفية دوراً كبيرا فى نشر الإسلام ، فى أفريقية السوداء ، فقد نشط دعاة هذه الطرق فى الدعوة إلى الإسلام ، وفضلا عن خصائص الإسلام الذاتية من سهولة ويسر ، فهو دين الفطرة ، وما ينعم به معتنقه من مساواة وعدالة واحترام ذاتى ، فإن مواطنى بلاد السودان ، رأوا فى شيوخ الطريقة إماما مزودا بقوى علوية ، واجتذبتهم حلقات الذكر وما فيها من روحانية وتجل وتسام . (٤)

ومع أن أقدم الطرق الصوفية انتشاراً فى أفريقية السوداء ، هى الطريقة القادرية التى أسسها سيدى عبد القادر الجيلانى بالعراق (١٠٧٩ – ١١١٦م) على مذهب مالك ، فإن أتباعها كانوا قلة فى إمبراطورية برنو ، مع العلم أنها انتشرت فى السودان الغربى فى حوض النيجر ، ولكنها زحفت بعد ذلك إلى السودان الأوسط فى بلاد الهوسا ، وأكثر معتنقيها من الفولانيين ، وهى طريقة

---

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨١ ، انظر كذلك مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٢

(٢) المراجع السابقة

(٣) Gouilly, p. 94

(٤) ديشان ص ١٣٤ – ١٣٥

الشيخ عثمان دان فوديو الفولانى ، (١) ولها فروع محلية أنشأها الافريقيون، مثل شعبة المريدين التى تكثر فى السنغال ، وزعيمها أمادو بامبا من الولوف. (٢)

أما الطريقة التيجانية ، وهى التى أسسها أحمد بن محمد التيجانى (١٧٣٧ — ١٨١٥ م) فى شمالى افريقية ، فهى الغالبة فى برنو، ويتبعها المايات والطبقة الحاكمة ، وتتميز هذه الطريقة بالتزمت الشديد وشدة وطأتها على الوثنية ، وكما انتشرت التيجانية بكثرة فى برنو ، كذلك انتشرت فى بعض جهات السودان الغربى ، وتفرع عنها شعبة الحمالة فى نيورو ، نسبة إلى مؤسس الشعبة أو زعيمها الشيخ حما الله ، وقد تأسست زوايا التيجانية فى مدن برنو ووادای ، فضلا عن مدن الهوسا .(٣)

ومن الطرق التى انتشرت فى منطقة تشاد ، ولكن على نطاق ضيق ، الطريقة العروسية التى أسسها العباس بن عروس (ت ١٤٦٠ م) وقد أعاد تنظيمها عبد السلام الفترى (ت ١٧٩٥ م) نسبة إلى بحيرة فترى ، وتعرف هذه الطريقة كذلك باسم « العروسية السلامية » غير أن أتباع هذه الطريقة ، سرعان ما تحولوا إلى السنوسية ثم إلى التيجانية .(٤)

أما السنوسية ، فهى التى أسسها محمد بن على السنوسى (١٧٨٧ — ١٨٥٩ م) واكتسب السنوسى سمعة وشهرة بين أهل وادای ، وانتشرت زوايا السنوسية فى جغبوب التى صارت مركز الدعوة الرئيسى ، وفى كل نواحى فزان وأير وفى كاوار وتيبستى وبوركو واندى Ernedi وكانم ووادای وباجرمى ، ولايزال إلى اليوم أتباع قليلون للسنوسية فى كانم ووادای وأير .(٥)

---

(١) انظر مايلى

(٢) ديشان ص ١٣٤—١٣٥ ، ١٤٦—١٤٨ ؛ Trim., pp. 91,96 ; Gouilly, pp. 96,107 ; Le Chatellier, pp. 159,166.

(٣) ديشان ص ١٣٥ — ٣٤٦ ، ١٤٨—١٥٠ ؛ Gouilly, pp. 108.115; Le Chatellier, pp. 167.202; Trim., pp. 97,100.

(٤) Trim., p. 91

(٥) Ibid., pp. 100,101

واتتشرت طريقة المهدى لفترة قصيرة ، خلال تحكم رابح فى برنو (١٨٩٢ – ١٩٠٠ م)(١) .

* * *

أما عن أثر الإسلام فى إمبراطورية البرنو ، فقد كان عميقاً ، وأول هذه الآثار ، أن الملوك الماغوميين شعروا فى القرن الرابع عشر الميلادى بالخجل من الأسماء والألقاب الوثنية التى علقت بأسمائهم وأسماء أسلافهم ، فعملوا على استبدالها بألقاب وأسماء إسلامية من هذه الأسماء :

– جيل Jil أوكل أوكر ، Kel Ker صار عبد الجليل
– دُونمة أصبح محمد أو إدريس
– بيرى Biri استبدل باسم « عثمان »
– كاد أو خاط أوكِبْت أوجاد ، استبدل باسم عبد القادر ، أو عبد القديم.
– أوم أو ميديلا استبدل باسم أحمد
– دارمان أو أمان تار استبدل باسم عبد الرحمن
– بيكور تغير إلى أبى بكر أو بكر وهكذا(٢) .

وفى إنفاق الميسور لمؤلفه محمد بللو بن عثمان دان فودى الفولانى سلطان صكت ، أن أهل برنو تمسكوا بالقرآن وشريعة الإسلام ، وحافظوا على ذلك ، وأن الإسلام قد انتشر فى طول البلاد وعرضها حتى عم جميع الطبقات من الحكام والوزراء والرعايا « والواقع لايوجد فى بلادنا – أى بلاد محمد بللو – حفاظ للقرآن ومتعلمون بقدر ما يوجد فى برنو(٣) » .

ثم إن الإسلام ،هو الأساس فى قوة إمبراطورية برنوالسياسية والحربية ، فضلا عن اتساعها وازدهارها ، وهذا هو الشأن فى جميع الدول الأفريقية الإسلامية .

---

(١) قداح ص ٨٥ – ٨٦ ، Yver, p. 753;The BornuSahara, p.269 ; Memo randum, pp. 7 8.

(٢) The Bornu Sahara, pp. 92, 159

(٣) Ibid., p. 270

يقول دوبدرال De Pedrals :

« الإسلام هو الأصل فى قيام الدول الافريقية الإسلامية وازدهار حضارتها القومية (١) » .

بل إن المؤرخ الفرنسى جويي Gouilly يقول :

« إنه بالاسلام يبدأ العصر التاريخى لأفريقية السوداء (٢) »

عمل الإسلام على تهذيب العادات القائمة ، وقضى على التقاليد الوثنية ، ومع الإسلام انتشرت العلوم الإسلامية والمدنية الإسلامية ، وازداد اتصالها بأرقى الحضارات المعاصرة ، وهى الحضارة الإسلامية يومئذ (٣) .

وبجانب الإسلام والعلوم الاسلامية ، انتشرت اللغة العربية وهى لغة القرآن ، والعبادة والعلوم الاسلامية ، وصارت اللغة العربية اللغة الرسمية لحكومة البرنو ، وبها كانت تصدر المراسيم وجميع المكاتبات ، سواء فى الشئون الداخلية ، أم فى العلاقات الخارجية ، وربما كانت شهرة إمبراطورية البرنو فى التاريخ ، ليست فقط راجعة إلى عظمتها وطول عمرها ، وطول العمر والبقاء للدول دليل العظمة والقوة ، وإنما كذلك لكثرة ما خلفت هذه الامبراطورية من وثائق ومؤلفات وكتابات عربية ، رغم ما فقد منها ، ولاسيما خلال حركة الفتح الفولانى لبلاد الهوسا (٤) .

كذلك أثرت اللغة العربية فى جميع اللغات المحلية ، مثل لغة الولوف وصنغى ولغة الهوسا بصفة خاصة ، فهذه مليئة بالألفاظ العربية وأكثر من هذا استخدمت الحروف العربية فى كتابة لغة الهوسا (٥) .

* * *

وعن مدى تمسك أهل برنو بالإسلام وروحه وشرائعه ومظاهره ، فهذا ما أوضحه محمد بللو سلطان سوكوتو الفولانى فى كتابه « إنفاق

(١) Manuel Scientifique de l'Afrique Noire, p. 137

(٢) L'Islam dans l'Afrique Occidentale, p. 45

(٣) Shinnie, p. 71

(٤) Yver, p. 750 ; The Bornu Sahara, p. 261

(٥) الإسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ٣٦ Trim., p. 83.

الميسور » (١) ، وذلك خلال المناقشات الأكاديمية ، بينه وبين الشيخ محمد أمين الكانمي (١٨٣٥ م) القطب الروحي لأواخر مايات برنو الضعاف ، وكادت دولتهم تدول .

تبودلت هذه المناقشات والرسائل خلال فترة « الجهاد » التي بدأها الفولانيون بزعامة الشيخ عثمان دان فوديو وابنه محمد بللو ، لإصلاح العقيدة الإسلامية وتطهيرها من شوائب الوثنية ، ولنشر الإسلام بين من لم يعتنقه بعد ولتبرير الهجوم على أراضي برنو والهوسا .

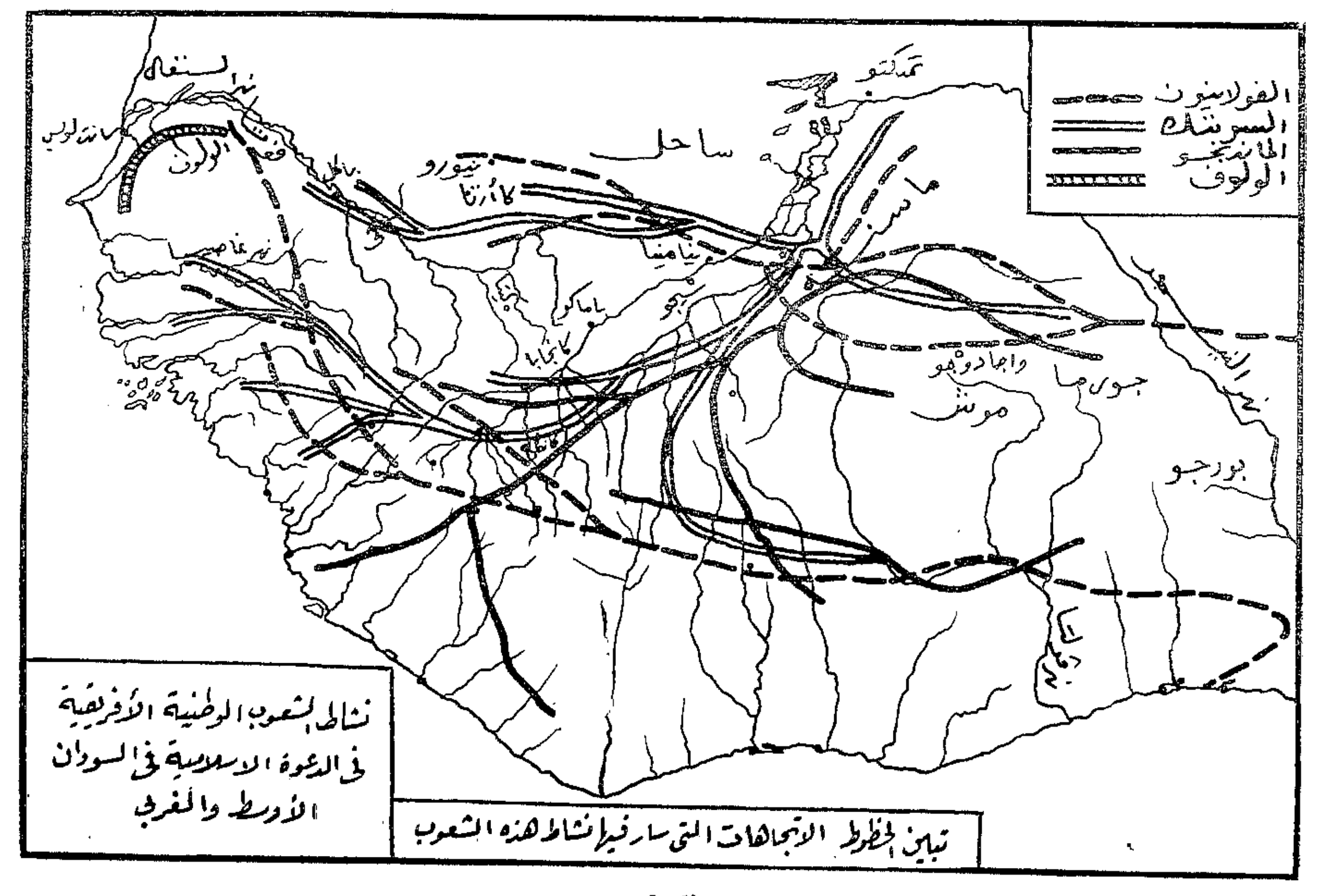
جاء في هذه المراسلات أنه قد نما إلى علم محمد بالو وأبيه الشيخ عثمان دان فودبو ، إن رؤساء برنو يركبون إلى أماكن معينة ، حيث يقومون بذبح الذبائح ، وتقديمها قرابين لآلهة وثنية قديمة ، وأنهم يصبون دماء هذه الضحايا على أبواب مدنهم ، وأن بقصور هؤلاء الرؤساء ثعابين وزواحف أخرى ، يقدمون لها القرابين ، ويقومون بطقوس معينة نحو الأنهار التي تجري في بلادهم ، كما كان يفعل المصريون في جاهليتهم ، ولهم أعياد خاصة لا يحضرها إلا كهنتهم ، ثم إنهم يبررون هذه الأعمال بأنها مجرد صدقات لجلب البركة ، ودفع الضر والشر ، وإن لم يفعلوا ذلك ، أصابهم القحط والضعف .

كذلك كتب محمد بللو في « إنفاق الميسور » أنه لم يسمع عن أحد من علماء برنو المسلمين حال دون قيام هؤلاء الرؤساء بهذه الأفعال الوثنية ، رغم وجود عدد كبير من هؤلاء العلماء المسلمين في برنو من العرب والفولانيين — وهؤلاء لا يشاطرون أولئك الرؤساء في هذه الأعمال الوثنية — مما يؤكد رجعة إلى الوثنية ، ومع ما يقوله العلماء في برنو من أنه لا توجد أية ممارسة لعبادة الأوثان ، فإن الأعمال التي يقوم بها أولئك الرؤساء هي أعمال وثنية لأن هذه الأخشاب والمياه التي يقدمون لها القرابين ليست سوى أوثان أسلافهم القديمة ، وهذا لا ينفي وجود المسلمين المتمسكين بعقيدتهم روحاً ومظهراً . (٢)

---

(١) كتاب إنفاق الميسور في التاريخ ، للسلطان محمد بللو ، كتب في الفترة ما بين ١٨١٠ م ، ١٨٢٥ م

(٢) فقرات ٤ ، ٥ ، ٧٩ إلى ٨٧ من كتاب إنفاق الميسور (The Bornu Sahara, pp 259 267, 270 272)



خريطة رقم ٤

نشاط الشعوب الوطنية الأفريقية في الدعوة الإسلامية في السودان الأوسط والغربي

الفصل الرابع

إمبراطورية البرنو فى ذروة مجدها في العهد الكانمى (١٠٨٦ - ١٣٠٠م)

الماى أوم بن عبد الجليل (ت ١٠٩٧م) رأس سلسلة المايات العظام ـ كفاحه ـ دونمه بن أوم (ت ١١٥١ م) وقوته وتوسعه ـ مواكب حجه وغرقه فى مصر ـ خطر البولالا ـ الماى سالما (ت ١٢٢١ م) وخطر الصو ـ المـاى دونمه دباليمى (١٢٢١ ـ ١٢٥٩) وعظمـة امبراطورية برنو فى زمنـه ـ توسعه فى بلاد الهوسا ـ علاقته بآل حفص بتونس ـ اتخاذ القاب الخلافة ـ حدود الامبراطورية فى زمنه ـ عثمان بن زينب (ت ١٣٠٠ م) آخـر عظماء المـايات فى عصر سيادة كانم ـ عواصم الامبراطورية فى بالاك ـ مير ـ ماثان ـ جيمى •

يشمل هذا العصر نحو قرنين ، من بداية عهد الماى أوم (حوالى عام ١٠٨٦) إلى نهاية عهد الماى عثمان بن زينب (ت حوالى عام ١٣٠٠ م)

وخلال تلك الحقبة ، بلغت إمبراطورية البرنو ذروة عظمتها ولاسيما فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ويعتبر عهد الماى دونمه دباليمى (ت حوالى عام ١٢٥٩ م) الذروة التى بلغتها إمبراطورية البرنو فى العصر الكانمى ، كما يعتبر عهد مانساموسى سلطان مالى (ت ١٣٣٧ م) عهد الذروة التى بلغتها إمبراطورية مالى الإسلامية ، وعهد أسكيا الحاج أمير المؤمنين (ت١٥٢٩) ذروة العظمة لامبراطورية صنغى الإسلامية . وأول مايات هذه الفترة الماى أوم بن عبد الجليل (من حوالى ١٢١٠ إلى حوالى ١٠٩٧ م) وقد نظر إليه فى تاريخ برنو وسجلاتها باعتباره رأس سلسلة عظيمة من المايات السيفين (١) ، فلم يكن كسابقيه مجرد فوجو Fugu ، أى شيخ أو رئيس قبيلة فى لغة الكانورى (٢) ، وإنما كان منظما وإداريا ، (٣) ولعل شهرته هى التى حملت بعض الكتاب على اعتباره أول ملك مسلم فى برنو(٤) ، وفى عهده ظهر خطر قبائل البولالا Bulala(٥) ، لأول مرة ، وتقول تاريخ برنو : إنه بعث إليهم بجيش بقيادة عبد الله بن أخيه ، انتصر عليهم (وأجبرهم على دفع الجزية ، إلا أنهم نقضوا عهدهم ، واستنصروا ببعض الجيران ، لكنهم هزموا ، وقتل منهم نحو ثلاثة

---

(١) Barth, p. 636

(٢) The Bornu Sahara, p. 156

(٣) انظر مايلى

(٤) راجع ماسبق

(٥) انظر الفصل الخامس فيما يلى

آلاف ، وقد تنبأ هذا الجار الذى حالفهم بأن الحرب بين الماغوميين أو السيفيين و بين البولالا سوف تتجدد ، كما تقول الرواية ، وقد صدقت نبوءته (١) .

وفى عهد دونمه بن أوم (١٠٩٨–١١٥١ م) بلغت برنو درجة كبيرة من القوة والاتساع ، فيقال : إن خيوله بلغت نحو مائة ألف فرس ، وإن عدد جنوده كان نحو ١٢٠ ألفا ، وذلك غير الجنود المرتزقة ، ويعتبر دونمه من أعظم حكام بنى أوم ، فقد طبقت شهرته وسمعته الآفاق (٢).

ويحتمل أن مدينة سامينا عاصمة الزغاوة فى منطقة بحيرة فترى ، قد هوجمت و دمرت زمن دونمه على يد « البلاكما Balakma » أى حاكم منطقة بالاك(٣) وأنه أحرقها وشتت سكانها ، وربما كان هذا فى أواخر عهد دونمة ، إذ يقال إن مملكة الزغاوة الحوضيين ظلت حتى عام ١١٥٠م. (٤)

واتسعت إمبراطورية البرنو زمن دونمه ووصلت حدودها الشرقية والشمالية الشرقية إلى قرب حدود مصر .(٥)

وحج دونمه ثلاث مرات ، وترك فى مصر فى المرتين الأوليين ، فى كل مرة ثلاثمائة عبد ، وقد أدهشت المصريين مواكب حجه وعظمته وقوته ، (٦) إلا أنه غرق فى المرة الثالثة عند عيذاب فى البحر ، وذكر ديوان سلاطين برنو أن الفاطميين خشوا بطشه إذا ماعاد من حجه ، فخرقوا سفينته ؛ ويختم ديوان سلاطين برنو الحديث عنه بعبارة « رحمه الله »(٧) . وكان خليفة الفاطميين المعاصر الظافر أبو المنصور إسماعيل (١١٤٩–١١٥٤) ، ومصر حينئذ تموج بالاضطرابات بسبب الصراع حول منصب الوزارة .

(١) The Bornu Sahara, p. 163
(٢) Ibid., p. 163
(٣) انظر المواصم فيما يلى
(٤) The Bornu Sahara, p. 163
(٥) Hogben, p. 36 ; Barth, p. 636
(٦) Barth, p. 635
(٧) The Bornu Sahara, pp. 91, 164

وفى عهد دونمه هذا بنيت مدرسة أبن رشيق فى فسطاط مصر(١) .

وتابع خلفاء الماى دونمه العمل فى سبيل تأمين حدود الإمبراطورية وقمع الفتن والضرب على أيدى الخارجين ، فهذا عبد اللاه بكر حفيد دونمه (من حوالى ١١٧٧ إلى حوالى ١١٩٤م) داهم البولالا فى منطقة بئر كابيلا أو كبر Kabila or Kabar قرب صخرة النبي موسى أى فى واحة العوينات (٢)

وأصدر الماى عبد اللاه « محرمين » أو منشورين أو مرسومين (٣) أحدهما فى عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م والثانى عام ٥٨٨هـ / ١١٩٨ م وكلا المحرمين خاص بقبيلة بنى المختار وعلاقتهم ببرنو . (٤)

وفى زمن الماى سالما بن بكر (١١٩٤ ١٢٢١) ظهر خطر الصو So، وامتازت جيوشه بقوة فرسانه ، مما مكنه من مكافحة هذا الخطر ، لكنه قتل فى الحرب ضدهم ، واسمه الإسلامى عبد الجليل ، أما سالما Salma أو تسيليم Tsilim ، فمعناها أسود، واشتهر بهذه التسمية لسواد لونه بعكس أسلافه (٥) .

واشتهر ابنه الماى دونمه (١٢٢١ — ١٢٥٩ م) بقوة فرسانه ؛ وجاء فى ديوان سلاطين برنو ، أن خيوله بلغت نحو ٤١ ألف رأس ، ويعرف دونمه هذا باسم دونمه دباليمى ، أى دونمه بن دابال Dabale ودابال هى أمه ، والنسبة إلى الأم مألوف ومشهور ، فى إمبراطورية البرنو .

كان دونمه محاربا قويا ، قاد أكثر من حملة للتوسع غربى بحيرة تشاد أى فى بلاد الهوسا ، وذلك عام ١٢٥٢ م ، ووصفته تآريخ بورنو بأنه

---

(١) راجع ماسبق ص٧٣

(٢) The Bornu Sahara, pp. 91, 167

(٤) عرفت هذه المراسيم أو المناشير باسم «المحارم» فى اللغة العربية ، ويلاحظ أن جميع المراسيم كانت باللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة ، اللغة الرسمية لحكومة البرنو الإسلامية ، وتؤرخ عادة بالتاريخ الهجرى ، وليس بالميلادى .

وقد ترجم بالمر Palmer : عددا كبيرا ، من هذه الوثائق .

(٥) (٦) انظر : The Bornu Sahara, pp. 17-18, 91-92, 167, 169; Shinnie, p. 70.

«أشد إحراقا من النار»(١) وتقول هذه التآريخ كذلك،إنه حارب البولالا سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام، (٢) ويتزعم البولالا في عهده جايوبن لافراد Gayu Ibn Lafrad

ظفر الماى دونمه دبالمى بمساعدة آل حفص بتونس فى بعض حروبه، وكانت هناك علاقات ودية بين بلاط برنو وبلاط تونس، ومن الهدايا المتبادلة بين البلاطين ، ماأرسله ماى برنو الى المنتصر الحفصى أبي عبدالله محمد (٦٤٧–٦٧٥هـ / ١٢٤٩–١٢٧٧م) (٣) : من هدايا فاخرة من بينها زرافة وصلت عن طريق طرابلس إلى تونس (٤) .

والمعروف أن السلطان الحفصى تلقب بأمير المؤمنين ،وهو أول ملوك آل حفص يأخذ هذا اللقب ، فتأثر به مايات برنو ، واتخذوا هذا اللقب كذلك من لدن دونمة وبالمى ان سائر خلفائه من بعده ، وظهر هذا اللقب فى الوثائق والسجلات وتآريخ بورنو (٥) .

وتقول قوائم أنساب برنو أى «الجرجام» Girgams ، بأن الخلافة قد انتقلت بعد عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى الى برنو ، لتبرير اتخاذ ألقاب الخلافة وتدعيمها (٦) وتشبه ماعرف فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى باسم « هبة قنسطنطين » لتبرير ما ادعته البابوية من سلطة سياسية بجانب سلطتها الروحية، ومثل هذه الهبة ليس لها وجود تاريخى ، فهى مجرد دعوى أشاعتها البابوية لأهداف سياسية .

غير أن عهد هذا الماى اقترن بحروب أهلية واضطرابات داخلية بسبب شراهته وشراهة أبنائه وبعض أبناء أسرة المايات وكبار الحكام (٧) ومع ذلك فإن عهده يعتبر الذروة التى بلغتها امبراطورية البرنو فى العهد الكانمى ،فقد وصلت حدود الإمبراطورية من ناحية الشرق الى مشارف

---

(١) ، (٢) The Bornu Sahara, pp. 179-180, 184

(٣) زامباور : معجم الأنساب جـ ١ ص ٥

(٤) ، (٥) ، (٦) The Bornu Sahara, pp. 184-185, 189

(٧) Sudanese Mem., II, p. 69

وادى النيل الأوسط ،ومن الغرب وصلت الى قرب نهر النيجر ،أى أن بلاد الهوسا كلها كانت تحت سيادة برنو ،وكانت بلاد الهوسا تدفع الجزية فى فترات من تاريخها ، مرة الى برنو وأخرى الى صنغى ولم تكن قوة دول الهوسا قد ظهرت بعد، (١) ومن الناحية الشمالية ، وصلت حدود برنو الى قرب فزان ، واقتربت مساحتها من مساحة امبراطورية صنغى الإسلامية ، ويصف مؤرخو صنغى امبراطوريتهم بأن مساحتها طولا تستغرق ستة شهور لعبورها ، ووصف اتساع كانم أو عرضها بأنه يستغرق نحو ثلاثة شهور (٢)

ويقول محمد بللو فى « إنفاق الميسور »واصفاً برنو ، بأنها كانت قبل عهد الجهاد، الذى أعلنه الفولانيون بزعامة الشيخ عثمان بن فوديو وابنه محمد بللو فى القرن التاسع عشر ، دولة عظيمة تتمتع بالرفاهية وتخضع لها من ناحية الشرق واداى وباجرمى ومن ناحية الغرب بلاد الهوسا (٣)

ورغم عدم وضوح معالم الحدود، وعدم ثباتها ، فإن امبراطورية البرنو ، نجحت فى القرن الثالث عشر الميلادى فى ربط تلك المساحات الشاسعة بالأقاليم الشرقية والشمالية الشرقية لحوض النيجر(٤) .

وبهذه القوة والنفوذ ، استطاعت برنو أن تتحكم فى الطرق التجارية الصحراوية حتى فزان ، مما أفادها اقتصاديا ، إذ نشطت تجارتها وكثرت حركة التبادل (٥) .

واشتهر مايات برنو فى القرن الثالث عشر الميلادى باسم «سلاطين كانم وسادات برنو » (٦) Kings of Kanem and Lords of Bornu ، وتقول إحدى مخطوطات الفولانيين ، كان سلطان كانم سيد برنو ، ويقال ان هذا الوصف أو المصطلح هو الذى أطلقه العرب وأشاروا به الى دونه هذا .(٧)

---

(١) دول الهوسا للمؤلف (تحت الطبع)

(٢) (٣) (٤) (٥) La. Lug., PP. 269-270 ; Hogben, p. 36; Davidson, p. 103; Shinnie, p. 70; Yver, p. 714.

(٦) Yver, p. 714; The Bornu Sahara, p. 185; Hogben, p. 36; L. Lug., pp. 205-220.

(٧) Shinnie, p. 71

كانْ تطور إمبراطورية برنو فى عصر سيادة كانم إلى مصاف الدول السودانية الإسلامية العظيمة، ثمار جهود أربعة قرون أو خمسة، وذلك فى ظل الملوك المسلمين، وتشبه فى حكومتها حكومات غانا ومالى وصنغى، فلها طبقة حاكمة من أسرة معينة، ومع هذه القوة والاتساع فإن سلطان ملوكها لم يكن تاماً على الرعايا لأن الخاضعين لنفوذهم لم يكونوا أكثر من ولايات أو ممالك أو مجموعات من القبائل تدفع الجزية أحياناً، وتمنعها أحياناً أخرى وتتمتع بحكم ذاتى . (١)

وآخر عظماء برنو فى العصر الكانمى هو الماى عثمان بن زينب (١٢٧٩—١٣٠٠)، وهو الماى التاسع عشر فى سلسلة الملوك السيفيين، وأبوه دونمه دباليمى؛ والماى عثمان هذا هو الذى قيل إنه المقصود بالهادى العثمانى الذى ورد بالمراجع العربية (٢) ، واعتبر خليفة المسلمين ، وفى عهده جاء اثنان من علماء الفولانيين من مالى للدعوة للإسلام . (٣)

وقام عثمان بن زينب بحروب طاحنة ضد قبائل التيبو أو التدا البربر (٤) كما أن حدود بلاده الشرقية من ناحية النوبة ، كانت مهددة من قبائل أطلق عليها الكانورى اسم ميتى ميتى Miti Miti ، وربما كانوا من طوارق هجر، فإن الكانورى يطلقون على هؤلاء الطوارق اسم : ميتى ميتى (٥)

أما عواصم امبراطورية برنو فى عصر سيادة كانم ، فأقدم عاصمة معروفة اتخذها الماغوميون مدينة بالاك Balak شمال شرقى مدينة جيمى أو شمالى بحيرة فترى(٦)، وتقع على خط ١٤ شمالا تقريبا (٧)

وقد ظهرت مدينة بالاك على الخرايط الفرنسية باسم اوراك Aarak

(١) Shinnie, p. 70

(٢) راجع الفصل الثالث وانظر : مسالك الأبصار حـ ٢ ق٣ ورقة ٤٩١ ، صبح الأعشى حـ٥ ص ٢٨١

(٣) راجع الفصل الثالث

(٤) Carbou, I, p. 15

(٥) Barth, p. 636

(٦) انظر الخريطة

(٧) The Bornu Sahara, pp. 109, 124

فى كانم الفرنسية فى العهد الأستعمارى (١) وتعرف هذه المدينة كذلك باسم كوة Kowwa أو باجال Bagale أو باراك Barak اتخذها مايات الأسرة السيفية مركزا لهم زمن الماى بيوما (كان يحكم حوالى ١٠٠٠ م) وهو الماى السابع فى سلسلة مايات برنو ؛ وقد خرب الماى ادريس ألوما (ت حوالى عام ١٦٠٢) ، هذه المدينة وهو فى طريق عودته من الحج (٢)

انتقل مركز الأسرة السيفية بعد ذلك إلى مدينة مير Mir زمن الملك شو ، وهو الماى العاشر (كان يحكم حوالى عام١٠٧٥) ، وتقع مدينة مير فى منطقة كوتوشى شمال غربى بحيرة تشاد ، وعرفت كذلك باسم ميريا Mirria ، واشتهرت مير بأنها كانت المركز الرئيسى لتجارة الرقيق (٣)

وهناك أنشودة تتغنى بصفات وشخصية اليريمة Yerima ، أى حاكم الشمال ، وتشير إلى مدينة « مير » التى جرت العادة أن يقيم فيها اليريمة ، وتصفه الأنشودة بأنه« المحارب العظيم وحاكم مير الثرى » (٤)

كذلك اشتهرت مدينة مانان Manan كمركز للأسرة الماغومية ، فى نفس الفترة التى كانت فيها مدينة جيمى تنمو ، وتقع مدينة مانان شمالى غربى مدينة جيمى ، وتسمى أحيانا مالان أو ماتان أو مادان Madan-Matan-Malan (٥) .

أما مدينة جيمى N'jimi فهى أشهر عواصم برنو فى عصر سيادة كانم ، وقد أشار إليها كتاب العرب ورحالتهم ، ولم تكن سوى قرية صغيرة زمن الماى الثالث عشر وهو دونمه بن أوم (ت حوالى ١١٥١ م) ، ثم اتسعت تدريجيا ، ونمت حتى اشتهرت زمن الماى الثامن عشر ، وهو كادى أو عبد القادر (ت حوالى عام ١٢٧٨ م) . (٦)

وتعرف مدينة جيمى كذلك باسم سيما Sima أو شام Sham كما يسميها الكانورى ، كما اشتهرت أيضا باسم نجور وكايوا N'Guru Kayi-Awa ،

---

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) The Bornu Shara pp. 25 ,127, 156, 159 , 162,-63, 179-181, 184, 186, 209, 213.

(٦) Ibid. pp. 184, 187

ومعنى هذه العبارة : مدينة الكى أو الماغوميين أى مدينة الأسرة الماغومية الحاكمة . (١)

وتقول أساطير برنو ، إن مدينة جيمى عاصمة منذ القدم ، حتى منذ عهد سيف بن ذى يزن (٢) ؛ ومكانها غير معروف بدقة ، ويحتمل أنها كانت تقع على الشاطئ الشرقى لبحيرة تشاد أو بالقرب منه ، (٣) أو أنها تقع تقريبا إلى الشرق من خط طول طرابلس .

وتقول الرواية المتواترة عن جيمى ؛ إنها كانت تضم قصورا حجرية، وقد عثر على كثير من الطوب المحروق فى المنطقة التى تقع فيها هذه المدينة ، ويحتمل أن بعض هذه الأطلال ، كانت لقصور المايات فى جيمى ، ويحتمل كذلك أن البنائين كانوا قد وفدوا من وادى النيل ، فإن استعمال الطوب الأحمر يعتبر تطوراً وتقدماً فى منطقة تشاد (٤)

عن ابن سعيد :

« جيمى هى قاعدة بلاد الكانم ، وفيها سلطان الكانم المشهور بالجهاد وهو من ولد سيف بن ذى يزن » (٥)

وعن الإدريسى والعمرى والقلقشندى أن جيمى بها مقر السلطنة (٦)

وفى تقويم البلدان :

« جيمى قاعدة بلاد الكانم ، وفيها سلطان الكانم . . . » (٧)

---

(١) Ibid., p. 20

(٢) Ibid., p. 112

(٣) انظر الخريطة

(٤) Shinnie, pp. 69-70 ; L. Lug., p. 270; Gravière, Recherches sur les Navigations Europeénes au moyen Age aux Cotes Occidentales d'Afrique, p. 17.

(٥) المقريزى : الالمام ص ٢٧

(٦) نزهة المشتاق ص ١١ — ١٣ ، مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٠ — ٤٩٢ صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨١

(٧) أبو الفداء تقويم البلدان ص ١٥٨ — ١٥٩

الفصل الخامس

انتقال مركز الامبراطورية من كانم إلى برنو

(١٣٠٠ - ١٣٩٠م)

بوادر الضعف منذ عهد دونمة دباليمى (ت ١٢٥٩) - الفتن والانقسامات بين أبناء الأسرة الحاكمة - البريمة ونفوذه - استمرار الصراع العائلى زمن الماى داود بن فاطمة (ت ١٣٨٦) - بروز خطر الصو وقتل أربعة من المايات - الأخطار الخارجية - بروز خطر البولالا : من هم البولالا ؟ - دلالة الاسم واشتقاقه - أصول البولالا - استقرارهم فى منطقة العوينات - قيام امارات البولالا فى العاصمة ماسيو - خضوعهم للماغوميين - مهمة كيغامة فى اقطاعه فى فترى - دونمة دباليمى والبولالا - ازدياد خطر البولالا - ظهور عبد الجليل ابن سيكوما البولالى (ت ١٤١١ م) - عبد الجليل يقتل أربعة من المايات - طرد أسرة المايات من كانم زمن الماى عمر ابن ادريس (ت ١٣٩١) - حكومة البولالا فى كانم ومناوأتهم للأسرة السيفية الشريدة فى برنو - بداية عصر سيادة برنو .

بلغت إمبراطورية برنو ذروة مجدها فى العصر الكانمى زمن الماى دونمة (١) دباليمى (١٢٢١ – ١٢٥٩ م) ، وخلال المائة سنة التالية تقريبا ، أخذت قوة برنو فى كانم تضعف وتتدهور تدريجيا ، ويمكن تلخيص أسباب هذا الضعف والتدهور فى الصراع الداخلى الذى شبّ بين أبناء البيت المالك ، وفى المنافسات الدموية بين السادة الإقطاعيين من الأرستقراطية ، وقد استمرت هذه المنافسات نحو قرنين ، وبجانب هذين العاملين ، هناك خطر قبائل الصو التى ثارت على سلطان الماغوميين أكثر من مرة ، ثم خطر البولالا من ناحية الشرق ، وهؤلاء هم الذين أجهزوا على سلطان بنى عمومتهم فى كانم (٢) ؛ وقد استطاع الماى دونمة دباليمى أن يتغلب على هذه المشاكل مما أتاح الفرصة للهدوء والاستقرار مدة محدودة ، استغرقت عهد اثنين من خلفائه المباشرين ، غير أن هذه العوامل سرعان ما انفجرت ، وأدت فى نهاية الأمر إلى تدمير كيان إمبراطورية البرنو فى كانم .

فأما الشقاق والفتن الداخلية ، فهى أخطر أداة للهدم ، لأنها تفتح الباب على مصراعيه للطامعين من الخارج ، ويمكن أن يقال إن الحروب الأهلية فى إمبراطورية البرنو ، فى العصر الكانمى بدأت فى عهد دونمة دباليمى ، وبدأها أبناؤه الطامعون المتنافسون ، ولولا قوة جيشه وشدة بأسه ، لانهارت حكومته (٣) .

(١) الصيغة الإملائية والضبط عن وثيقة عربية كتبت عن الملك دونمة بن على (انظر « المحرم » فى الملاحق)

(٢) Davidson, p. 104 ; Shinnie, pp. 71-72

(٣) Sud. Mem., II, p. 96

ثم إن الماى الحاج إبراهيم بن بيرى (١٣٠٠ — ١٣٢١ م) اضطر إلى قتل ابنه وربما كان أرل من قتل ابنه من مايات برنو (١) ، وتعرض الماى إبراهيم نفسه للقتل على أيدى اليرءة (٢) — أى حاكم الشمال — وهو محمد ابن كاداى ، ثم ألقى بجثته فى بحر الغزال .

وحدث أن انتشل الناس جثتـــه فى مدينة دسكام Diskam ، ولما علم بذلك الماى الذى خلفه فى الحكم وهو عبد الله بن كادى ، (١٣٢١ — ١٣٤٢) ، أعلن أنه سوف يكافىء الذين انتشلوا جثة الماى القتيل الغريق ، ولكنه أمر بقتلهم جميعا عندما أحضروا لديه ، لأنهم رأوا عورة السلطان القتيل ، ويقال إن عبد الله بن كادى ،عندما رأى جثة سلفة العارية ، شاح بوجهه بعيدا عنها (٣) ، وفى عهد الماى السابع والعشرين من سلسلة مايات برنو وهو داود بن فاطمة — نسبة إلى أمه — (١٣٧٦ — ١٣٨٦م) قامت حرب بينه وبين أمراء البيت المالك ،وكان ابن الماى قد بدأ هذه الحرب ضد أبيه (٤) .

وتنافس خليفتا هذا الماى على العرش وهما ولداه : عثمان وأبو بكر ؛ إذ ادعى كل منهما ، العرش لنفسه ، ولم يظفر أحدهما بالرضاء والتأييد الكامل من جميع الرعايا ، وزاد من خطر هذا التنافس،أن خطر البولالا فى ذلك الوقت كان قد اشتد ، وقتل الاثنان فى هذه الحرب ضد البولالا (٥) .

وهكذا كانت هذه الفتن والانقسامات فى البيت المالك من أخطر ما تعرضت له إمبراطورية بزنو فى العصر الكانمى ، مما شجع كبار الأرستقراطية الإقطاعية ، التى استحوذت على أكبر مناصب الدولة ، ممثلة فى مجلس « الاثنى عشر ضابطا العظام » (٦) ، وقد تشجعت هذه الأسر

(١) الديوان ص ٩٢(The Bornu Sahara)

(٢) انظر الألفاظ الاصطلاحية

(٣) ، (٤) The Bornu Sahara, pp. 29-93, 194, 216

(٥) انظر مايلى عن البولالا .

(٦) انظر النظم فيمايلى :

بحالة الفوضى القائمة ، بجانب الأخطار من ناحية الصو والبولالا ، على تدبير المؤامرات لانتزاع العرش (١) .

وهذه الأخطار نفسها من نتائج الانقسام الداخلى بين أبناء البيت المالك ، فأما الصو ، وهم القبائل التى استقرت منذ القدم فى كانم(٢) فقد خرجوا أكثر من مرة على طاعة المايات ، وذلك منذ نهاية القرن الثالث عشر واشتبكوا فى صراع مرير استمر نحو قرن ، وأول خروجهم كان زمن الملك سلما (ت حوالى ١٢٢١ م) ، ومع أنه داهمهم بقوة فرسانه ، إلا أنه قتل فى الحرب ضدهم ، وكان لكثرة خروجهم أثر كبير فى إضعاف حكومة المايات (٣) .

ومع أن الصو لم يستطيعوا القضاء نهائيا على حكومة المايات ، إلا أنهم ساهموا بنصيب كبير فى هذا القضاء ، وكانوا معولا له خطره ، ومما يدل على خطورتهم أنهم قتلوا أربعة من المايات فى خلال نحو عشر سنوات ، وهم سالما وتسليم بن حوا (من حوالى ١٣٤٢ — ١٣٤٣ — ١٣٤٨ م) وأخوه كور الصغير (١٣٤٨ — ١٣٤٩) وأخوه كور الكبير (١٣٤٩ — ١٣٥٠ م) ثم أخوهم الرابع وهو محمد (١٣٥١ — ١٣٥٢م) ، وجميع هؤلاء المايات من أبناء الماى عبد اللاه بن كادى(٤) .

ومع خطر الصو ، يبدو أن مايات البرنو كانوا لا يزالون على درجة من القوة بحيث استطاعوا مقاومة هذه القبائل ، حتى إنه خلال زيارة ابن بطوطة لمالى (١٣٥٢ — ١٣٥٣م) ، كانت كفة « ملك كانم وسيد برنو » وهو إدريس بن إبراهيم أو إدريس بن حفصة (١٣٥٣ — ١٣٧٦م(٥)) راجحة على كفة الصو ، مما يدل على أن قبائل الصو قد بدأت

---

(١) Keck, I, p. 79 ; Okafor, p. 33

(٢) راجع الفصل الأول

(٣) ليو الأفريقى : الكتاب السابع ص ١٩٣ — ٢٩٤ ، Shinnie, p. 70; L. Lug., pp. 271-272.

(٤) The Bornu Sahara, pp. 92, 196-97

(٥) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٤١ — ٤٤٢

تفقد أهميتها تدريجيا رغم إحداث الفتن التي قاموا بها ، وكانوا حجر عثرة في توسع برنو نحو الشرق فترة من الزمن (١) .

ولم يحل كفاح الصو دون وقوع حروب خارجية ضد جيران برنو ؛ من هذه الحروب ماوقع زمن الماى كادى بن ماتالا (ت حوالى ١٢٨٧ م ، فقد حاربه دونمة رئيس عشيرة نجالما ديكو N'Galma Diku ، وقتله (٢)

أما الخطر الذى أدى إلى إنهاء حكم الماغوميين من العاصمة جيمى فى كانم ، فهو خطر أبناء عمومتهم البولالا .

والبولالا Bulala فرع من الأسرة ، المقول بأنها سيفية ، وهى الأسرة الماغومية التي حكمت برنو منذ مطلع القرن التاسع الميلادى تقريبا (٣)

وكلمة بولالا مكونة من لفظين : بو Bu أو بول Bul وإيلالا أو ايلالا Ilala or Ilalla ومعناها : أحرار الطوارق أو نبلاء الطوارق(٤) ، أى أنهم من الطبقة التي تنسب إليها الأسرة الماغومية (٥) ، ويعرفون كذلك باسم : كى إيلالا Kayi Jlala أى أحرار الطوارق(٦)

ويقال إن البولالا من العناصر التي نتجت عن مصاهرة الشوا Shuwa وهم العرب المقيمون فى منطقة تشاد (٧) مع الوطنيين الزنوج (٨) أو عن المصاهرة التي تمت بين طوارق أوجيلا وفزان ، ويعرفون باسم الكندن أو الكينيين أو الكيين Kindin -Kinin — Kayi من جهة ، وبين قبائل الكوكا Kuka المتعددة فى منطقة بحيرة فترى من جهة أخرى (٩)

---

(١) L. Lug. pp. 271-72 ; Okafor, p. 33 ; Keck, I, p. 79

(٢) The Bornu Sahara, pp. 92, 187

(٣) Keck, I, p. 79; Carbou, I. p. 5; Sud. Mem., I., pp. 1-2

(٤) يعرف البولالا فى سودان وادى النيل باسم « بلاله » ؛ انظر الألفاظ الاصطلاحية .

(٥) Sud. Mem., I, pp. 1-2, 11

(٦) The Bornu Sahara, p. 127

(٧) راجع ماسبق

(٨) Trim., p. 17; Carbou, I, p. 1

(٩) تعرف قبائل كوكا كذلك باسم : نجزيم أو جاوجا أو جوغا : — N' Gizin Gaoga — Gaogha ومن فروعها : قبائل نديما أونديا : N'Dina — N'Dima وقبائل نديفو N'Difu وقبائل نجير ونجال : N'Gal ، N'Jir (المراجع السابقة)

ولاشك أن الاختلاط والمصاهرة أمر مألوف وقديم ومؤكد بين العرب والبربر والزنوج ، والراجح أن أصول البولالا بربرية مع التأثر بالدماء العربية، مما يفسر مساعدة العرب للبولالا فى صراعهم مع مايات برنو . وقد تمسك البولالا بالأصول البربرية ، وهناك أغان وأناشيد تغنوا بها لملوكهم أومايانهم Mais توضح وترجح الأصل البربرى ، كما أنهم كأبناء عمومتهم السيفيين ، انتحلوا لأنفسهم أصولا عربية شرقية ، وادعوا أنهم من سلالة سيف كذلك (١) .

وصلة البولالا وثيقة بأبناء عمومتهم الماغوميين ، حتى قيل إن الفريقين كانا يزحفان معا حوالى القرن التاسع الميلادى ، نحو الجنوب الغربى وانتشروا فى المنطقة الممتدة من وادى ساشا (شارى) عند سابينا إلى بلاك فى شمالى كانم (٢)

على أن أخبار البولالا لم تتضح إلا منذ القرن الثانى عشر الميلادى ، وبدأ خطرهم منذ ذلك الوقت على الأسرة الماغومية الحاكمة ؛ وتحالف البولالا مع قبائل نجيزام N'Gizam (٣) وهى من القبائل الوطنية المستقرة فى منطقة بحيرة فترى على إقامة مملكة مستقرة فى أرض كانم، واستقروا فى مدينتى بالاك وماسيو أو ماساوا Balak and Masiu or Masawa شمالى بحيرة فترى وشرقى كانم (٤) ، كان ذلك قبل أن يتخذ الماغوميون مدينة بالاك عاصمة لهم (٥) .

---

(١) جاء فى المخطوطات العربية التى عثر عليها فى بلاد البرنو ، أن أصل البولالا من العرب اليمنيين ، وأن أول سلاطينهم شخص يسمى محمدا ؛ قيل إنه جاء إلى الغرب ، ومن سلالته زعماء البولالا الذين تحكموا فى جزء من بلاد كانم .

(Hogben, p. 37; Carbou, I, p. 5, Sud. Mem., III, pp. 28-29, 51)

(٢) The Bornu Sahara, p. 127

(٣) تعرف هذه القبائل كذلك باسم : أبوسمين : Abu-Seminl وهذه التسمية أطلقتها قبائل البولالا والكانورى ؛ ويحتمل أنها تحريف لكلمة « أنوسمان » Anu-Saman أو النسوميين Nasamones ، والمعروف أن الطوارق ؛ كانوا يطلقون هذه التسمية الأخيرة على أسلافهم من الرعاة فى الصحراء ؛ وكان كتاب الإغريق والرومان يطلقون كلمة النسوميين على بعض قبائل البربر (Sud. Mem. II, p. 23)

(٤) Dvidson, p. 104; Okafor, p. 34; Barth, p. 460; Carbou, I. pp. 337-348 ; Sud. Mem., II, pp. 32-34.

(٥) Sud. Mem., II, pp. 36-38

ومعنى هذا أن البولالا أقاموا مملكة لهم شرقى كانم وشمالى بحيرة فترى ، وأطلقوا على الطبقة الحاكمة منهم اسم : ماجى أو ماجود Magge or Maggode .

وبازدياد مطامع البولالا وخطرهم على الماغوميين انبرى الماى دونمة دباليمى (١٢٢١ – ١٢٥٩م) لحربهم وقام بنفسه على رأس جيش وداهم البولالا ، وقتل منهم نحو ٣٠٧٠ شخصا ، كما ورد فى بعض المخطوطات ، وهرب أميرهم إبراهيم جانا ، مشردا فى مستنقعات بحيرة فترى (١) .

وتنسب مخطوطات برنو العربية إلى دونمة دباليمى حروبا طاحنة ضد البولالا ، استغرقت ، كما تقول هذه المخطوطات ، سبع سنوات وسبعة أشهر وسبعة أيام ، وذكرت هذه المخطوطات كذلك ، أن الزعيم البولالى الذى انبرى لمحاربة ماى برنو ، هو جايو بن لافراد Gayu Ibn Lafrad (٢) .

والمعروف أن دولة الماغوميين بلغت ذروتها فى العصر الكانمى خلال القرن الثالث عشر الميلادى (٣) ، ولذلك لم يستطع البولالا أن يتغلبوا عليها ، ولكن عندما ضعف المايات ، بعد عهد دونمة دباليمى ، كانت قوة البولالا تزداد بازدياد هذا الضعف . . .

وخلال الفترة من حوالى عام ١٣٦٦ – ١٣٨٦ م ، ظهر بين البولالا زعيم قوى اسمه عبد الجليل بن سيكوما Ji Sikumami (حكم من حوالى ١٣٦٥ الى حوالى ١٤١١ م) ، وعاصر تسعة من مايات برنو ، أولهم الماى إدريس بن حفصة (١٣٥٣ – ١٣٧٦) ، وآخرهم الماى عثمان بن إدريس (١٣٩٢ – ١٤٢٥ م)

---

(١) Sud. Mem., II, pp. 42-3

(٢) Barth, p. 640

(٣) راجع ماسبق

خريطة رقم — ٥ —

انتشار الإسلام في غربي إفريقيه

كان عبد الجليل البولالاى ، قد هرب من كانم حيث اشتد الصراع بين أبناء الأسرة المالكة ، واشتدت وطأة المايات على البولالا ، واختفى بين قبائل كوكا ، فترة من الزمن ، وبعد أن تمكن من تدعيم سلطته فى ماسيو Masiu عاصمة البولالا ، أخذ يغير على أملاك المايات ويوسع من أملاكه ، وتذكر مخطوطة برنوية ، أنه كان مشهورا بالفروسية والقوة والشجاعة فضلا عن المغامرة ،وخاض كثيرا من الحروب و ظفر بانتصارات كثيرة(١) .

وفى ذلك الوقت ، كان سلطان الكوكا فى منطقة بحيرة فترى ، على ندينا Aly N'Dina(٢) .

ويعرف كذلك باسم « على الكوكى » وعاصمته مدينة يارأوجاو Yau or Gao وكان مشهورا بالقسوة على رعاياه ، حتى كرهوه ودبروا مؤامرة للقضاء عليه ؛ تحالف رعايا على ندينا مع عبد الجليل ، واستطاعوا القضاء على دولته ، وحينئذ نقل عبد الجليل عاصمة ملكه إلى ياوأوجاو قرب بحيرة فترى . ومنذ ذلك الوقت ، اشتد بطش البولالا بالماغوميين (٣) .

اصطدم عبد الجليل بالماى إدريس بن حفصة (ت حوالى عام ١٣٧٦م) ، ولما لم يقو الماى إدريس على مقاومة عبد الجليل ، هرب من عاصمته جيمى ، ولجأ إلى مدينة كيريك ناجو Kirik Nagu بين قبيلة وولا Wula ، وهى فرع من قبيلة داجيرا أودناكير Dagira or Danakir ، التى يقال : إنها الأصل فى تأسيس دول الهوسا السبع (٤) .

كان العرب يساعدون البولالا فى حروبهم ضد الماغوميين ، واستطاع عبد الجليل أن يقتل أربعة من مايات برنو فى كفاحه معهم ، وهؤلاء المايات هم داود بن فاطمة (١٣٧٦ - ١٣٨٦ م) وعثمان بن داود ١٣٨٦م ومنافسة عثمان بن إدريس (١٣٨٦) ثم أبو بكر بن داود (١٣٨٦) (٥) .

---

(١) Burns, p. 50; Davidson, p. 104; Okafor, p. 34; L. Lug p. 272 ; Sud. Mem., II, pp. 33-34 ; Carbou, I, pp. 337-348.

(٢) معنى « على ندينا أو على نديما » : حاكم قبيلة ندى N'Di

(٣) The Bornu Sahara, pp. 210-212

(٤) دول الهوسا للمؤلف (تحت الطبع)

(٥) The Bornu Sahara, pp. 93, 209, 216

ويرجع نجاح البولالا فى حربهم ضد مايات برنو ، الى مساعدة العرب من ناحية الشمال ومن ناحية الشرق ، ولاسيما من قبل عرب جذام(١).

حتى اذا كان عهد الماى الثلاثين فى سلسلة الملوك السيفية وهوعمر بن ادريس ، (١٣٨٦ — ١٣٩١م) ، لم تستطع الأسرة الماغومية البقاء فى العاصمة جيمى ، فقد وضحت استحالة التغلب على البولالا وزعيمهم عبد الجليل ، لذلك جمع الماى عمر مستشاريه من العلماء ، وبحث معهم فيما ينبغى عمله ازاء هذا الخطر المحدق ، فنصحوه بالهجرة نهائيا من كانم لأنهم يشعرون أن عهد بقائهم فى العاصمة جيمى فى كانم قد انتهى (٢)

توجه الماى عمر بن إدريس إلى إقليم برنو غربى بحيرة تشاد ، واستقر فى مدينة كاغا أو كاجا Kagha or Kaga، وكانت هذه المدينة، تعتبر دائما ملجأ لكل هارب أو مهزوم أو مطرود من أمراء ومايات الأسرة السيفية خلال الحروب والفتن ، وفى هذه المدينة استطاع الماى عمر أن يستعيد قوته وأن يستقر ، ولكنه لم يستطع أن يعود إلى كانم ، بسبب تحكم البولالا الذين شملت مملكتهم كل إقليم كانم ، وصاروا قوة يصعب التغلب عليها (٣) .

ومنذ عهد الماى عمر بن إدريس ، يبدأ حكم البولالا الشامل فى كانم ، وتبدأ فترة كفاح الملوك الماغوميين الجافلين من كانم لتدعيم عروشهم واستعادة سلطانهم فى كانم .

وبمعنى آخر ، طردت أسرة سيف الحاكمة فى كانم من العاصمة جيمى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى ، بعد سلسلة طويلة من الكفاح

(١) عرب جذام فرع من القحطانية من جنوب شبه الجزيرة العربية ، انتقلت أعداد كبيرة منهم إلى مصر حيث استقرت فى شرقى الدلتا ؛ فيما عرف باسم « الحوف » ، ومن مجموعة جذام ؛ طائفة تعرف باسم « بنى عقبة » انضمت إلى العرب الهلالية فى غزواتهم لفزان حوالى عام ١٠٥٠ م ؛ ثم بدأت جذام وكذلك جهينة تتجه نحو بلاد السودان منذ حوالى عام ١٢٠٠ م .

(٢) Barth, p. 641; L. Lug., p. 272; Hogben, p. 37; Okafor, p. 34; Carbou, I. pp. 337-348 ; Davidson, p. 104 ; Burns, p. 50.

(٣) Barth, p. 641

ضد أبناء عمومتهم البولالا ، واستقر المايات السيفيون فى برنو ، حيث انتقل مركز الحكم ، وأما عاصمتهم الجديدة فى إقليم برنو فهى مدينة كاغا أوكاجا . وهذه وردت باسم كاكا ، فى المراجع العربية باعتبارها عاصمة مملكة « البرنو » فى ذلك الوقت ، والدليل على ذلك أن القلقشندى ، صاحب كتاب صبح الأعشى ، كان قد سأل سفير الماى عمر بن إدريس (ت حوالى ١٤٢٥ م) ، إلى السلطان برقوق فى مصر للشكوى من عرب جذام (١) عن عاصمة بلاده ، فأجابه بأنها « كاكا » .

يقول القلقشندى :

« وقاعدتهم » أى البرنو — مدينة كاكا ، بكافين بعد كل منهما ألف ، فيما ذكر لى رسول سلطانهم الواصل إلى الديار المصرية ، صحبة الحجيج فى الدولة الظاهرية « برقوق » (٢) .

وفى إقليم برنو ، أخذ المايات يكافحون للعودة إلى كانم والقضاء على البولالا ، الذين أقاموا دولتهم فيها (٣)

* * *

بهذا ينتهى عصر سيادة كانم ويبدأ عصر سيادة برنو ، يقول الإمام أحمد ابن فرتوا ، مؤرخ بلاط برنو زمن الماى إدريس الوما (ت حوالى ١٦٠٢) :

« لقد أراد الله ، أن تحتل كانم ، قبيلة البولالا وسكان فترى وسكان واداى ، واستحال طردهم منها حتى عهد السلطان إدريس بن على بن أحمد (٤) (ت حوالى ١٥٢٦ م) .

---

(١) انظر الفصل التالى وراجع نص الرسالة بالملاحق

(٢) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٧٩

(٣) The Bornu Sahara, pp. 210-211

(٤) Ibid., p. 212

الفصل السادس

العصر البرنوي

أو

عصر سيادة برنو

مطلع العصر البرنوي والمشاكل التي واجهت مايات الأسرة السيفية ـ الحروب الأهلية بين أبناء الأسرة السيفية ـ بروز سلطة « كيغامة » وخطرها ـ الماي عثمان بن ادريس ورسالته الى السلطان برقوق ومضمونها ـ استمرار الفتن الداخلية ـ الماي عثمان كاراديما (١٤٢٥) وتشرده في بلاد الهوسا ـ ظهور شخصية الماي علي بن زينب الملقب بالغازي (ت ١٥٠٣م) ـ صانع الملوك ـ القضاء على الفتن الداخلية ـ بناء العاصمة بيرني ـ حروبه ضد الهوسا ـ جهوده في محاولة استرداد كانم ـ ليو الأفريقي وزيارة برنو ـ الماي ادريس بن عائشة (ت ١٥٢٦) ودخول جيمي العاصمة القديمة في كانم ـ جهود خلفائه ـ الحاج ادريس ألوما (ت ١٦٠٣ م) ووصاية الماجيرا عائشة ـ أحمد بن فرتوا مؤرخ بلاط برنو زمن ادريس ألوما ـ ادريس ألوما أعظم سلاطين برنو ـ ما سجله الامام أحمد ابن فرتوا عن حروب ألوما في كانم وتعيين الحدود بين كانم وبرنو ـ حروب ادريس ضد الطوارق والصو ودول الهوسا ـ جهاده ضد القبائل الوثنية في جزائر بحيرة تشاد ـ عظمة برنو في عهده ·

منذ طرد الماى عمر بن إدريس (ت حوالى ١٣٩١ م) من العاصمة جيمى فى كانم على يد عبد الجليل البولالى ، بدأت أهمية إقليم برنو السياسية تظهر ، وبدأ تاريخ مملكة برنو يختلط بتاريخ دول الهوسا المجاورة لها من ناحية الغرب ، كما تداخل تاريخ برنو مع تاريخ البلاد الوثنية فى الجنوب ولاسيما فى منطقة أعالى نهر بنوى فرع النيجر الشرقى ؛ ولقد كانت بلاد الهوسا حاجزا بين برنو وبين جيرانها الغربيين فى مالى وصنغى ، حتى إنه خلال فترات الضعف التى تعرضت لها برنو ، كانت بلاد الهوسا ، تدفع الجزية أحياناً إلى مالى وأخرى إلى صنغى (١) .

تعرض السيفيون إلى كثير من المحن فى فجر هذه الفترة التى تبدأ من أواخر القرن الرابع عشر الميلادى ، نتيجة صراعهم المستمر لاستعادة إقليم كانم من البولالا ، ونتيجة للفتن والانقسامات الداخلية ، بين أبناء الأسرة الحاكمة ، صراعاً حول العرش ، فضلا عن المنافسات الدموية بينهم وبين الطبقة الإقطاعية الأرستقراطية من كبار الحكام والأسر .

وبعد نحو سبعين سنة من الاضطرابات والكوارث ؛ بدأت برنو تستعيد مجدها وقوتها وشهرتها وأهميتها ، وذلك خلال النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى ، وكانت ذروة مجدها فى هذا العصر البرنوى الأخير من تاريخها ، خلال القرن السادس عشر الميلادى .

* * *

قضى مايات برنو الأوائل فترة عصيبة امتلأت بشتى أنواع المصاعب والكوارث وذلك من لدن عمر بن إدريس الذى طرد من كانم إلى أوائل عهد الماى على بن زينب (تولى عام ١٤٧٦ م) .

---

(١) Hogben, p. 31

فهذا الماى سعيد الذى خلف عمر بن إدريس ، قتل فى حرب البولالا ، بعد حكم دام سنة واحدة ، وكذلك كان مصير خليفته الماى كادى ابن إدريس (١) .

أما الماى عثمان بن إدريس (١٣٩٢ — ١٤٢٤ م) وهو الماى الثالث والثلاثون فى سلسلة مايات الأسرة السيفية ، فقد تعرض لحرب أهلية ضارية ضد كَيْغَامة(٢) Kaigam ، محمد بن دالاتو Dalatu ، كما تعرض لعبث واعتداءات قبائل جذام العربية المستقرة فى برنو ، وعثمان ابن إدريس هو صاحب الرسالة المشهورة إلى برقوق سلطان المماليك فى مصر ، يشكو فيها من اعتداءات أولئك العربان ويذكر فى هذه الرسالة أنهم ، أخذوا جماعة من أقاربه وباعوهم فى الأقطار ، « وسأل الكشف عن خبرهم والمنع من بيعهم بمصر والشام »(٣) والمعروف أن عرب برنو كانوا يساعدون البولالا فى حركاتهم ضد الماغوميين .

ويقال : إن هناك صلة دموية بين البولالا وبين العرب المعروفين باسم التنجور Tunjur(٤)

بعث الماى عثمان بن إدريس بهذه الرسالة مع ابن عمه إدريس بن محمد ، ومعها هدية إلى السلطان برقوق ، وذلك صحبة الحجيج الذين سافروا ، ووصلت الرسالة إلى مصر فى شهور عام ٧٩٤ هـ — ١٣٩٢ م ، وكانت قاعدة برنو فى ذلك الوقت مدينة كاكا Kagha or Kaga ، وقد نعت ماى برنو مصر فى هذه الرسالة باسم « أم الدنيا » ونص عبارته « إلى ملك مصر الجليل ، أرض الله المباركة ، أم الدنيا »(٥) .

وقد أجاب السلطان برقوق على هذه الرسالة ، وكتب الرد بخط زين الدين

---

(١) The Bornu Sahara, p. 220

(٢) كيغامة لقب كانورى معناه : حاكم الجنوب ، والصيغة العربية والضبط عن محرم بونوى عربى (راجع نصوص هذا المحرم فى الملاحق والألفاظ الاصطلاحية والفصل السابع) .

(٣) صبح الاعشى جـ ٨ ص ٨

(٤) The Bornu Sahara, pp. 190, 209-210, 218

(٥) انظر الرسالة بالملاحق وراجع صبح الأعشى جـ ٨ ص ١١٦ — ١١٨ .

طاهر أحد كتاب الدست (١) بمصر ، ويلاحظ أن الرد كتب على ظهر رسالة الماى ، وأعيد إليه بعد سنتين مع رسول ورد صحبة الحجيج (٢) .

كذلك تعرض الماى عثمان كارادما Karadima ابن داود (١٤٢٥ م) ، إلى مثل ما تعرض له سلفه ، فقد ثار عليه كيغامه نيجال Nigale الذى تحالف مع يريمه (٣) Yerima or Yarima : كادى كاكو Kaki Kaku ، وطردا الماى عثمان بعد أن أمضى تسعة شهور فى الحكم ، فاضطر الماى الطريد إلى التشرد فى بلاد الهوسا ، وكانت سيدة بلاد الهوسا فى ذلك الوقت « دولة كانوا » وملكها حينئذ الساركن داود بن كانا جيجى Sarkin Dauda dan Kanajjiji (١٤٢١ — ١٤٣٨ م (٤)

تقول تاريخ كانو عن هذا الحادث :

« وصل فى زمن هذا الساركن أمير برنوى عظيم فى صحبة عدد كبير من العلماء ، ومعه عدد كبير من الخيول والبنادق والأعلام والطبول ، وبعد أن حياه ملك كانو فى المكان الذى توقف فيه الملك الشريد ، أخذ يفكر فيما عساه يفعله معه، وكان قد هاله منظره وموكبه وفخامة حاشيته وقوته وسلاحه، استشار ساركن كانو وزيره الأكبر غلديمه بابا Ghaladima Baba (٥) ،

---

(١) كتاب الدست طائفة من كتاب ديوان الإنشاء بمصر ، ويتمتع أفرادها بمنزلة رفيعة بدليل إضافتهم إلى دست السلطان ؛ وهو مرتبة جلوسه ؛ وذلك للجلوس للكتابة بين يديه أحيانا ، وكان عددهم بديوان الإنشاء زمن السلطان برقوق وابنه فرج ، أكثر من عشرين (صبح الاعشى ج ١ ص ١٤٧ ، ج ١١ ص ٤٣٣ — ٤٢٥ ، السلوك ج ١ ص ٤٨٩ — ٤٩٠ ، إنباء الغمر ج ١ ص ٨٦ ، ٩٥)

(٢) صبح الأعشى ج ٨ ص ٨ ، انظر مقدمة رد السلطان برقوق بالملاحق

(٣) الصيغة العربية والضبط عن محرم برنوى مربى . وكلمة يريمة لقب برنوى معناها حاكم الشمال (انظر الفصل السابع والألفاظ الاصطلاحية)

(٤) ساركى Sarki أو ساركن Sarkin بمعنى ملك فى لغة الهوسا (انظر الألفاظ الاصطلاحية ؛ وراجع :

Sud. Mem., III, p. 103 Barth, pp. 97-117; Meek, I, p. 77

(٥) الغلاديمة Ghaladima أحد كبار الموظفين فى بلاط دول الهوسا ، ويشترك فى انتخاب الساركن الجديد ؛ وهو نفس المصطلح المستخدم عند البرنو ، ومعناه حاكم الغرب ، دول الهوسا للمؤلف (تحت الطبع)

فأشار عليه برفض السماح للملك برنو بالإقامة فى أية مدينة من مدن الهوسا الخاضعة لنفوذ ساركن كانو ، خشية أن يعمل ماى برنو على الاستيلاء عليها ؛ لذلك استقر الرأى على السماح له فقط بالإقامة فى منازل مؤقتة أو خيام خارج كانو ، مع حاشيته ، وكان هذا المكان خلاء تملؤه أشجار الخروب ، ومع ذلك فإن ساركن كانو ، أظهر احترامه وتقديره للملك برنو الشريد وبالغ فى إكرامه (١) .

ظل ماى برنو الشريد فى كانوا حتى وفاته ؛ ونظرا لأن ساركن كانوا كان مشغولا فى ذلك الوقت فى محاربة جارته دولة زاريا من دول الهوسا ، وملكتها أمينه التى اتسع سلطانها ونمت قوتها ، يقال إن ساركن كانوا ، عهد إلى ماى برنو الشريد برعاية شئون الحكم والسلطة فى كانو خلال غيابه فى حرب زاريا ، وحكم ماى برنو فى كانو ، على هذا النحو ، لمدة خمسة شهور (٢) ..

حدث كذلك أن خرج كيغامة عبد اللاه ديجالما (٣) ، على الماى عبدالله بن عمر (١٤٢٧ - ١٤٣٦م) وعزله وأقام مكانه إبراهيم بن عثمان ، وبعد وفاة كيغامة عبد اللاه ، تنازل الماى الجديد عن العرش لسلفه المطرود ، وظل الأمر على ذلك ، حتى عاد إبراهيم إلى عرش برنو (١٤٣٦ - ١٤٣٤ م) ، لكنه قتل فى حرب عائلية ؛ وهكذا استمر الصراع العائلى بعده (٤) .

ومع هذه الانقسامات الداخلية والفتن الدموية ، فإن خطر البولالا فى كانم لم يزل قائما ، ولم يزل البولالا قوة يخشى بأسها ، كما لم يزل مايات

---

(١) L. Lug., pp. 272-273,; Hogben, pp. 70-71

(٢) دول الهوسا للمؤلف (تحت الطبع) Sud. Mem., III, p. 109

(٣) كلمة ديجالما Digalma لقب معناه : حارس الستارة ، أو صاحب الباب ، يقوم دون سيده الماى إذا جلس على سرير الملك فى المقصورة خلف الستار . وكلمة ديجال Digal معناها مقصورة وكلمة ما Ma معناها السيد (انظر الفصل السابع والألفاظ الاصطلاحية)

(٤) The Bornu Sahara, p. 220

برنو يواصلون كفاحهم لقمعهم والضرب على أيديهم ومحاولة استعادة الشط الشرقى من إمبراطورية البرنو .

وقتل فى حرب البولالا ، الماى جاجى بن إمالاها (١) (١٤٥٥ - ١٤٦١ م) أمام حاكم كانم البولالى سالما أو محمد بن عبد الكبير (١٤٤٧ - ١٤٦٥ م) ، واشتهر الحاكم البولالى هذا فى كانم بلقب «كانم - ما » Kanem ma أى « سيد كانم » ؛ وكان نفوذه وغزواته قد امتدت غربا إلى مشارف تمبكتو على النيجر (٢) .

وفى وسط تلك الأحداث ، ظهرت شخصية بارزة فى بيت مايات برنو ، تلك هى شخصية على جاجى بن دونمه ، نسبة إلى أبيه أو ابن زينب نسبة إلى أمه ، وهذا هو الأشهر .

قام على بن زينب بدور يشبه الدور الذى قام به الكيغامات فى عزل مايات برنو وتوليتهم ، وهو دور له نظير فى الغرب المسيحى أواخر عهد روما ، حين ظهرت طائفة من الحكام المستبدين بالأباطرة الضعفاء ، اصطلح مؤرخو الغرب على نعتهم بصناع الملوك Emperor Makers .

عزل على بن زينب ، الماى عثماى بن كاداى بعد أن حاربه وانتصر عليه ، وولى مكانه ماياً آخرا متقدما فى السن ، لم يحكم سوى سنة واحدة ، كما أن الماى الثالث الذى جاء بعده ، اضطر إلى الهرب إلى تيبستى أمام ضغط على بن زينب وأفراد البيت السيفى ، وحينئذ وجد على بن زينب الفرصة مواتية ، فولى عرش برنو عام ١٤٧٦ م(٣) .

---

(١) إيمالاها Imalaha أسم أم الماى وهى من نبيلات الطوارق ، ولهذا الماى أسم آخر هو جانا Gana

(٢) ، (٣) ليو الإفريقى : الكتاب السابع ص ٢٩٣ .L ; Okafor, p. 34
L. Lug., p. 273 ; Barth, pp. 643,44

الماى على بن زينب

١٤٧٦ ــ ١٥٠٣ م

هو الماى السابع والأربعون فى سلسلة مايات برنو ، طال حكمه ، وإليه يرجع الفضل فى إعادة هيبة إمبراطورية البرنو ، بعد تلك الاضطرابات والفتن ، التى عانتها نتيجة طرد الأسرة الماغومية من كانم .

ولى على بن زينب عرش برنو باتفاق أهل مملكته ، ليعيد مجد البلاد ، فقد تمثلت فيه آمال برنو ، كما أن الكوارث السابقة لم تؤثر على ذكريات تاريخ برنو الحافل ، ولذلك جاءت ولاية على بن زينب بداية عهد جديد زاهر للامبراطورية ، وقد أوتى من الكفاية وسعة الوقت ، ما يسر له مهمته .

إستطاع الماى على ، أن يوسع من رقعة مملكته ، التى كانت فى مطاع حكمه لا تزيد كثيرا عن مساحة إحدى الولايات الكبرى ، مثل ولاية جيدام Geidam (١) .

قضى على الحروب الأهلية التى مزقت البلاد ، واستعاد النظام ، كما حد من نفوذ كبار الضباط الذين كانوا ينازعون المايات نفوذهم وسلطانهم ، وكانوا أساس الانقلابات والمنافسات الدموية ، وأخطر هؤلاء الضباط شخصية الضابط الكبير « كيغامه » فقد بلغ من سعة نفوذ حاملى هذا اللقب وقوة بطشهم ، أن كان الواحد منهم يلقب أبناءه بالأمراء « ماى ــ

(١) انظر الخريطة وراجع : Hogben, pp. 37, 39; Burns, p. 50

نا) Mai Na وبناته بالأميرات (ماى - ران) Mai Ran ، كما هو الشأن عند المايات أنفسهم ؛ بل حاول بعض هؤلاء أن يستقل بشئون ولايته(١)

ومن دلائل أهمية عهد الماى على بن زينب ،أنه بعد أن اطمأن إلى سلامة الأمن الداخلى ، اتجه إلى بناء عاصمة جديدة مستقرة ، بعد أن كان أسلافه يقيمون فى مدن مؤقتة أو فى معسكرات أو خيام ، فمثلاكانت مدينة كاكا (٢) أول عاصمة للمايات فى إقليم برنو ، بعد أن طردوا من كانم على يد البولالا أواخر القرن الرابع عشر ، وهى التى كان يقيم فيها الماى عثمان ابن إدريس (ت حوالى ١٤٢٤ م) صاحب الرسالة المشهورة إلى برقوق(٣)

يقول القلقشندى :

« وبين كاكا وجيمى أربعون ميلا (٤)

كذلك من أمثلة هذه العواصم المؤقتة فى إقليم برنو ، مدينة نانيغام N'Anigham . ولما لم تكن هذه العواصم من الاستقرار والثبات بحيث تمكن المايات من التفرغ لإعادة هيبة دولتهم ومجدها (٥) اتجه الماى على ابن زينب حوالى عام ١٤٨٨ م ، لبناء عاصمة ، وبنى مدينة بيرنى ، Birni لتكون العاصمة الكبرى الثابتة للمايات . وكلمة بيرنى معناها « المدينة الحصينة(٦) وتقع غربى مدينة كوكا أو كوكاوا Kuka or Kukawa على مسيرة نحو ثلاثة أيام منها ، وهى على نهر يوأو واو Ye-u or Yo or Wau (٧) واسمها بالكامل بيرنى نجازار جامو Birni N'Gazargamu أو « قصر إيجومو » Kasr Eggomo أو Ghasreggomo (٨)

---

(١) Yever, p. 752; Okafor, p. 34; Barth, pp. 643 44

(٢) Barth, p. 641

(٣) راجع ماسبق وانظر صبح الأعشى حـ ص ٢٨٩ ، ٢٨١

(٤) صبح الأعشى حـ ص ٥ ٢٧٩ ، ٢٨١

(٥) Hogben, p. 37; Barth, p. 640

(٦) Sud. Mem, I, p 1; Hogben, p 37

(٧) انظر الخريطة

(٨) Yever, p 752

استمرت هذه المدينة عاصمة لإمبراطورية البرنو حتى استولى عليها الفولانيون فى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى (١٨١١) (١) ؛ وتشاهد أطلالها اليوم فى شمال برنو على الحدود بين نيجيريا وجمهورية النيجر ، ومساحة الموقع نحو ١¾ ميل ، وبه أطلال قصر ، تدل على أنه كان شامخا ، وأنه كان مبنيا من الطوب الأحمر ، فضلا عن أطلال مبان حجرية أخرى كثيرة ، والسور الخارجى يضم خمسة أبواب ، وهناك مكان منخفض حول السور يحتمل أنه كان خندقا ، وتصور هذه الأطلال مدى ما كانت عليه عاصمة برنو من عظمة ، وقوة ومناعة ، حتى وصفت بأنها كانت أكبر مدينة فى زمنها فى إفريقية السوداء . (٢)

من هذه العاصمة الجديدة الثابتة المنيعة ، بدأت مشروعات الماى «على» التوسعية ، فشن حربا على دولة كانو من بلاد الهوسا ، بسبب اعتداءاتها على قبائل ونقاره Wangara التابعة لبرنو ، وكانت هذه القبائل تقيم فى جنوب شرقى دولة زامفارا Zamfara - من دول الهوسا - ومما يذكر لقبائل ونقاره أن لها فضلا فى الدعاية للإسلام ، فى بلاد كانو منذ القرن الثالث عشر الميلادى .

حدث أن اعتدى ساركن كانو على هذه القبائل وأحرق إحدى مدنها ، وساركن كانو يومئذ هو عبد الله بن رمفا Rimfa (١٤٩٩ - ١٥٠٩ م) ، طلب الماى على بن زينب من ساركن كانو أن يبرر ما قام به ، ولكنه رفض ، فاضطر ماى برنو إلى محاربته حتى هزمه وطرده عن كانو وولى مكانه عبداً من عبيده (٣) .

ولما كانت الحدود غير واضحة بين برنو وبلاد الهوسا ، فإن الاشتباكات لم تنقطع ، كما أن الصراع كان يتجدد بين وقت وآخر (٤) ؛ هذا

---

(١) انظر ما يلى :

(٢) Shinnie, p 72

(٣) Hogben, p 71; Yever, p 752; L. Lug, pp 254, 273 4; Sud. Mem., III, p 112

(٤) Burns, p 50

وكانت بلاد الهوسا منطقة صراع دائم بين إمبراطوريتى البرنو وصنغى .

عاصر على بن زينب أعظم ملوك صنغى الإسلامية ، وهما سنى على (ت ١٤٩٢) وأسكيا الأكبر (١٤٩٣ – ١٥٢٩ م) ، والأخير أعظم وأشهر الأساكى فى صنغى على الإطلاق(١) ، وكان اسكيا قد انتصر على جميع بلاد الهوسا الغربية حتى باتت الأقاليم الشرقية من بلاد الهوسا محل صراع وخصام بين برنو وصنغى ؛ ونجحت برنو زمن الماى على بن زينب فى فرض الجزية على بعض بلاد الهوسا ، ولكن ذلك لم يستمر دائماً(٢) .

شنّ على بن زينب الحرب على إحدى دول الهوسا القوية حينئذ وهى دولة كبى Kebbi وملكها كوتال Kutal المشهور بلقب كانتا Kanta — أى ملك — (٣) ؛ وكانتا هذا كان من القواد العسكريين فى صنغى الإسلامية ، لكنه خرج عليها واستقل بمدينة « كبى » التى تعرف كذلك باسم « جاندى Gandi » ، واتسع فى بلاد الهوسا حتى استولى على كاتسنا وجوبير وكانو وزازو Zazu وامتد نفوذه إلى أهير Ahir (٤) ، ومع أن الماى على بن زينب حاصر مدينة كانتا وهى سيريم Surame(٥) ، بالقرب من سوكوتو ، إلا أن كانتا أنزل به هزيمة كبرى خلال انسحابه وعودته إلى بلاده ، وذلك فى وقعة نجورو N'Guru(٦) .

وقيل فى سبب اشتباك ماى برنو بكانتا كبى ، أن سلطان أهير أو ساركن أهير استغاث بصاحب البرنو ضد كانتا الذى اعتدى على بلاده (٧) ، فكانت غزوة الماى التى انتصر فى أولها وهزم فى آخرها .

---

(١) إمبراطورية صنغى الإسلامية للمؤلف (تحت الطبع)

(٢) L. Lug., p. 280 ; Urvoy, p. 6714

(٣) كانتا لقب بمعنى ملك عند قبائل كوكو ويقال له لذلك كاندا (Kanda, Templep. . 228)

(٤) Bovill, p. 108; Temple, p. 528; Meek, pp. 57 58

(٥) تعرف هذه المدينة كذلك باسم سيرمى Surmai

(٦) Hogben, p. 34

(٧) The Bornu Sahara, p. 229

وتابع الماى على بن زينب سياسة أسلافه فى محاولة استرداد إقليم كانم من سادتها البولالا ، وواتاه التوفيق حين أباد جيشا بولاليًّا بقيادة يارى البولالى ، إلا أنه لم يستطع أن يدخل جيمى ، واكتفى بما أظهره البولالا من خضوع ، لكنه خضوع مؤقت (١) .

وعن حسن بن محمد الوزان المشهور باسم « ليو الافريقى » (٢) ، أن الماى على ، أول من اتخذ لقب الغازى من مايات البرنو ، وذلك على أثر إحرازه لعدة انتصارات(٣) ،وكانت شهرة على بن زينب وأعماله قد مكنت لخلفائه من بعده زيادة الاتصال بالعالم الإسلامى ، بل إقامة علاقات ودية مع سلاطين آل عثمان بالقسطنطينية (٤) .

---

(١) Ibid., p. 222

(٢) ولد ليو الافريقى حوالى عام ١٤٩٣ م وتوفى حوالى عام ١٥٤٠ م وهو من أسرة مغربية شريفة كان قد وقع أسيرا فى أيدى المسيحيين الأوربيين قرب تونس فأهدوه إلى البابا ليو العاشر الذى حوله إلى المسيحية وأطلق عليه اسم جيوفانى ليونى Giovani Leoni لكنه اشتهر باسم ليو الافريقى Leo Africanus وكان مع الوزان مسودة كتابه باللغة العربية عن تاريخ ووصف إفريقية وأشهر ما فيها من عجائب (راجع المدخل)

(٣) Barth, p. 45; Yever, p. 752; L. Lug. pp. 273.274

(٤) فتح العثمانيون القسطنطينية عام ١٤٥٣ م وسلطان البرنو المعاصر هو محمد ابن كادى (١٤٥٣ — ١٤٥٥ م) ، وسلطان مصر المعاصر هو إينال (١٤٥٣ — ١٤٦٠ م)

الماى أدريس بن على دونمه
أو
ادريس بن عائشة
١٥٠٣-١٥٢٦ م

أكمل الماى إدريس بن على سياسة أبيه الغازى ، وبدأ بمشروع ظل أثيرا عند مايات برنو ، منذ طردهم من جيمى ، وهو إخضاع البولالا واستعادة كانم ، فخرج على رأس جيشه بعد ولايته العرش بقليل ، وأنزل هزيمة كبرى بالحاكم البولالى القائم فى كانم وهو دونمة بن سالما ، وذلك حوالى عام ١٥٠٤م ، ودخل العاصمة جيمى ، فلم يسع الحاكم البولالى إلا إعلان الدخول فى طاعة برنو ودفع جزية ، ومع ذلك اضطر إدريس إلى العودة مرة أخرى إلى كانم لتدعيم سيادة برنو عليها ، وعاد محملا بالغنائم . (١)

يقول الإمام أحمد بن فرتوا مؤرخ بلاط برنو :

« بعد أن أصبح ادريس بن على خليفة فى أرض برنو ، حشد جيشاً من الحمر (٢) والسود وتوجه إلى أرض كانم ، وحارب السلطان دونمه ابن سالما وانتصر عليه ، فهرب دونمه مع فلول جيشه ، ودخل إدريس شيما Sima — وهى جيمى الشهيرة عند الملوك السيفيين ، وأقام فيها فترة (٣) .

(١) Sud. Mem., I, p. 1; Barth, pp. 259, 645 6; Okafor, p. 37 L. Lug., p. 226; Urvoy, p. 714.

(٢) المقصود بالحمر : البيض ، أى العرب فى برنو

(٣) Bornu Shara p. 226

على أن الاستيلاء على جيمى ، لم يؤد إلى نقل عاصمة برنو إليها ، أو إلى إقامة المايات فيها ، بل ظلوا فى عاصمتهم الحديدة ، لأنها كانت أصلح من ناحية الموقع والأهمية التجارية ، فضلا عن أن البولالا لم ينقرضوا أو أن سلطانهم قد دال نهائيا ، بل ظلوا تابعين تبعية إسمية لمايات برنو ، ويدفعون لهم الجزية ، وفى نفس الوقت ظل البولالا شوكة فى جنب برنو ، فلم يتعد نفوذ برنو الحديد فى كانم : مساحات محدودة تحف بالشواطىء الشرقية لبحيرة تشاد ، رغم انتصارات برنو ، ورغم حملاتها المتكررة على كانم(١).

وكما ظل البولالا شوكة فى جنب برنو ، ظلت كذلك مملكة كبى ، ومع أن ادريس بن عائشة ظفر ببعض الانتصارات على كبى ، الا أنه هزم هزيمة ساحقة أمام كانتا . (٢)

ولم تحل هذه المشاكل الداخلية دون استمرار الاتصال بالعالم الاسلامى ؛ ويذكر عن الماى إدريس أنه أرسل بعثة إلى طرابلس عام ١٥١٢ م(٣) .

استمر خلفاء ادريس بن على المباشرون على سياسته ، فى متابعة الضرب على أيدى البولالا وإنزال الهزائم بهم حتى إن الماى على بن ادريس (ت حوالى ١٥٤٦ م) لقى حتفه وهو يحارب البولالا بعد أن أذلهم ، حتى لقب بأنه دخان البولالا « Aly Kang Bulalabe » ؛ ويقول أحمد ابن فرتوا : إن أهل كانم جميعهم قد خضعوا للماى على وبذلوا له الطاعة(٤)

وخلال هذه الفترة ، وهو القرن السادس عشر الميلادى ، بدت مطالع خطر جديد يهدد امبراطورية البرنو ، ذلك هو خطر الفولانيين ، الذين استقروا بأعداد كبيرة فى برنو خلال ذلك القرن ، ولاسيما منذ عهد الماى عبد الله بن دونمه (ت حوالى ١٥٦٣ م) (٥) .

على أن أعظم مايات هذه الفترة الأخيرة من القرن السادس عشر الميلادى ، بل أعظم مايات برنو على الاطلاق ، هو الماى ادريس بن على .

(١) Urvoy, p. 714; Okafor, p. 34

(٢) L. Lug. pp. 276,277; Burns, p. 50

(٣) Barth, pp. 645,646

(٤) Barth, p. 646; The Bornu Sahara, pp. 230,321

(٥) Le Chatelier, p. 111; Barth, pp. 649,650; Hogben, p. 39; Memorandum, p. 6.

الماى ادريس بن على
أو
الحاج أدريس الوما
(١٥٧٠-١٦٠٣ م)

ولى الماى إدريس ألوما العرش ، بعد فترة خلو ، تحكمت فيها أمه عائشة ، التى كان ينسب إليها كذلك ، فعرف باسم ادريس بن عائشة ألوما؛ اشتهرت الماجيرا(٢) عائشة ١٥٦٣- ١٥٧٠م) بالعقل والحكمة وحسن التدبير والحزم ، وغرست فى ابنها الشجاعة وحب الجهاد ، فضلا عن العدل(٣) وينسب الى الماجيرا عائشة بناء القصر الحجرى الذى لاتزال أطلاله قائمة إلى اليوم ، فى مدينة جامبارو Gambaru ، وكانت قد أمرت ببنائه لابنها إدريس(٤) وكذلك شيدت مسجد فى نفس هذه المدينة ، لاتزال أطلاله قائمة .

وكما كان للماجيرا عائشة الفضل فى توجيه ابنها ادريس وارشاده ، كان للإمام أحمد بن فرتوا ، رئيس العلماء ومؤرخ بلاط برنو ، زمن إدريس ، الفضل فى تخليد أعمال الماى وتسجيلها .

والإمام أحمد بن فرتوا سليل أسرة دينية لها أثرها الكبير فى نشر الاسلام والعلوم الإسلامية فى برنو ، وجده البعيد هو داعية الإسلام

---

(١) ألوما نسبة إلى مكان دفنه قرب بحيرة ألو بضواحى مدينة . مدجورى Maidguri

(٢) الماجيرا لقب الملكة الأم ، وتتمتع بسلطة واسعة سواء أ كانت وصية على العرش أم لم تكن (انظر مايلى ، وراجع الألفاظ الاصطلاحية)

(٣) Hogben, p. 39; Barth, p. 650

(٤) أنظر صورة أطلال هذا القصر- لوحة رقم ٧

المعروف ، محمد بن مانى ، الذى كان يعيش فى القرن الحادى عشر الميلادى (١) .

وكلمة فرتوا أو فورتوا Fartua or FÙrtua or Forto لفظ كانورى معناه « الظبي » ،ومؤلفات الإمام أحمد مكتوبة باللغة العربية ، ونشرت فى عام ٩٣٠ على يد أمير كانو (٢) . كتب الامام أحمد جزءا من كتابه عام ٩٩٠/٩٩١هـ ١٥٨٢/١٥٨٣ م فى العاصمة بيرنى ، ثم أكمل الجزء الأخير بعدذلك بقليل ، وتناولت كتابته جميع عصرادريس وتاريخ الأسرة السيفية (٣) .

فى زمن الماى إدريس ألوما ، شهدت برنر نموا عظيما وقوة فائقة، تقارن بما كانت عليه زمن دونمة بن دابال (ت : ١٢٢٤ م) فى العصر الكانمى ، فقد خضعت لسيادة برنو جميع القبائل المجاورة ، كما قامت علاقة ود وصداقة بين برنو والبولالا حكام كانم ، لارتباط البيت البولالاى بالأسرة الماغومية بالمصاهرة ، إذ كان عبد اللاه ، حاكم البولالا حينئذ ، خال إدريس ألوما ، (٤) والعجيب أن برنو فى السودان الأوسط وفى نهاية القرن السادس عشر الميلادى ،كانت على عكس صنغى الإسلامية فى السودان الغربى ، فى نفس الفترة ، إذ كانت صنغى قد انهارت أمام الغزو المراكشى حينئذ .

سجل الإمام أحمد حروب إدريس ألوما فى شتى الميادين : ضد كانم وضد الطوارق وكاوار وضد القبائل العربية فى الجنوب وضد الصو ، (٥) وفى الجزء الذى أصدره الإمام أحمد وعنوانه: الاثنتا عشرة سنة الأولى من حكم الماى إدريس ألوما ، (٦) فصل فى الحملات الحربية التى شنها على كانم وحكامها البولالا ، وسبب هذه الحروب رغم الصلة القائمة ، أن

---

(١) راجع الفصل الثالث وانظر Shinnie, p. 72

(٢ ، ٣) عثر الرحالة بارث على مخطوطة الكتاب خلال رحلته (أنظر : (Barth, p. 650)

(٤) The Bornu Sahara, pp. 233,234

(٥) Barth, p. 650

(٦) أورد بالمر فى كتابه Sud. Mem ترجمة لمضمون هذا الجزاء من كتب أحمد ابن فرتوا

مغتصبا من البيت البولالى استولى على العرش فى كانم ، وطرد السلطان القائم، فاضطر ادريس إلى شن الحرب عليه ، ورغم انتصاره ، فإنه منى بخسائر فادحة، لكنه نجح فى إعادة السلطان المخلوع، وإرجاع كانم إلى الهدوء والتبعية (١).

ومما جاء فى وصف الحملة السابقة التى شنها على كانم وتاريخها حوالى عام ١٥٩٢ م ، عن أحمد فرتوا :

« وصلتنا أنباء بأن السلطان عبد الجليل – السلطان البولالى المناوىء – قد فقد جيشه أمام السلطان محمد بن عبد اللاه حليف وصهر الماى إدريس شمالى كانم فى يوم الأربعاء من شهر جمادى الآخر ، والنصر من عند الله، وبلغنا أن سلطاننا الحاج ادريس هاجم السلطان عبد الجليل فى مدينة كيايا كا Kiyayaka ، فلاذ عبد الجليل بالهرب إلى الصحراء ، ونجح سلطاننا فى ضم القبائل البدوية إلى جانب السلطان محمد بن عبد اللاه ، لتكون عضداً ضد عبد الجليل ، وقد ناصرته هذه القبائل ، وأقام سلطاننا ثلاثة أيام أو أربعة فى مدينة كاسودا Kasuda ، واستدعى السلطان محمد بن عبد اللاه ، فقدم عليه بجيشه ، واتفقا على رسم حدود بينهما توضح معالم كانم وبرنو ، وتم الاتفاق على الحدود وبمقتضى هذه الاتفاقية ضمت إلى برنو مناطق : كاجوستى Kagusti وسيرو Siru وباباليا Baba îya فى باغرمى ، وهذه كلها كانت تابعة لكانم ، ومنح سلطاننا بقية أجزاء كانم إلى السلطان البولالى محمد بن عبد اللاه وأخذ عليه وعلى قومه قسما على القرآن الكريم أن يظلوا على الولاء لسلطاننا ، ثم عاد سلطاننا » (٢)

ومما تجدر ملاحظته، فى هذا النص ماورد بشأن المفاوضات حول الحدود بقصد تعيينها ورسمها ، وربما كانت هذه أول ظاهرة من نوعها فى تاريخ هذه البقعة من افريقية، حيث يتفق على تعيين حدود رسمية بين مملكتين؛ أيا كانت العلاقة بينهما .

---

(١) Barth, p. 657-658; Sud. Mem., I, pp. 15,72

(٢) هذه خلاصة ماكتبه الإمام أحمد بن فرتوا عن هذه الحملة ونحن نفتقد مع الأسف – النص . العربى الأصلى ومانقل هنا عن الترجمة الانجليزية للمخطوطة العربية ، التى أوردها بالمر فى كتابيه : The Bornu Sahara — Sud. Mem

كذلك خلد الإمام أحمد بن فرتوا فى كتاباته، حروب إدريس ألوما ضد الطوارق وإقليم كاوار ، شمالى برنو ، فذكر أنه شن ثلاث حملات حربية قادها بنفسه ، وهناك حملات أخرى قادها أمراؤه ، وانتهت هذه الحملات بإخضاع قبائل التيبو أو التدا من الطوارق ؛ ومن الحملات التى قادها رجاله ، تلك الحملة التى قادها وزيره كرسوا بن هارون Kursiwa Ibn Harun ، (١) وقد استغرقت حملاته ضد الطوارق من عام ١٥٧٠ م إلى ١٥٨٢ م .

وجاء فى وصف الإمام أحمد لبعض هذه الحملات :

« وعندما سار سلطاننا أمير المؤمنين ، هاجمهم فى الليل وقتل تسعة من كبار محاربيهم ، وسبى نساءهم وذراريهم ، وغنم متاعهم وأموالهم وعاد إلى برنو حيث خمس الغنيمة بينه وبين رجاله » (٢) .

وذكر كذلك : أن الحاج إدريس كان يستخدم فى نقل أمتعته ومعداته ورجاله ، الثيران والحمير والبغال والجمال والخيول (٣) .

وأدت هذه الحروب إلى فتح طريق القوافل وتأمينها وتيسير الاتصال بشمالى افريقية، وكانت من قبل مضطربة بسبب ، اعتداءات قبائل التيبو (٤) .

التفت الماى إدريس ألوما إلى قبائل الصو ، وكانت لاتزال قوية مشاغبة وبحاجة إلى الرقابة المستمرة، وكان الصو فى ذلك الوقت يتحكمون فى مساحات كبيرة من الأراضى الخصبة ولهم معاقل وحصون ولا يكفون عن مهاجمة برنو متى لاحت الفرصة ، وعاصمتهم فى ذلك الوقت هى مدينة داما ساك D'Amasak .

انتصر الماى إدريس عليهم ، وبنى على مقربة من عاصمتهم حصنا منيعاً شحنه بالمقاتلين والسلاح كما بنى حصنا آخر من ناحية أخرى ، وظل

(١) Barth, pp. 652,653; The Bornu Sahara, p. 240

(٢) ، (٣) The Bornu Sahara, pp. 240,1

(٤) Hogben, p. 40

يشغلهم بالغزو من هذه المعاقل ودمر مزارعهم من القمح كما دمر أشجارهم، وأخيرا فتح عاصمتهم (١)

وفى الجانب الغربى من إمبراطورية البرنو، تقوم دول الهوسا، وكانت مسرحا لصراع مستمر بين مايات البرنو وسراكنة الهوسا، استولى على كثير من بلاد الهوسا وكانت أقوى دول الهوسا فى ذلك الوقت «كانو» فدمر عددا كبيرا من معاقلها فى كلما سارا Kelmasara وكازارا Kazara ودولوا Duluwo وأوزاكى Auzaki وسآيا Saaya وغيرها، غير أنه فشل فى الاستيلاء على المدينة الكبرى بيرنى دالا Birni Dala وهى مبنية على سفح جبل صخرى معروف بهذا الاسم، وتكون هذه المدينة اليوم، الحى الغربى أو القسم الغربى من مدينه كانو الحالية فى نيجريا الشرقية. ولكنه عموما، نجح فى إذلال دولة كانو. (٢)

واتجه فى جهاده إلى القبائل الوثنية فى جزائر بحيرة تشاد، وكانت هذه القبائل شديدة التعصب لمعتقداتها ولاسيما قبيلة تلاله، ويناصبون المسلمين العداء السافر؛ وبلغ من بغضهم للمسلمين أنهم كانوا لايؤاكلون من يعجز منهم عن قتل أحد من المسلمين؛ ونجح إدريس فى طرد هذه القبيلة إلى مستنقعات تشاد(٣).

ولم تشغل إدريس ألوما كثرة حروبه عن أداء فريضة الحج، فقد أدى هذه الفريضة فى السنة التاسعة من حكمه، أى حوالى عام ١٥٨٠ م، وعاد باسم الحاج إدريس (٤).

واشتهر عهد الماى ادريس ألوما بالرخاء والازدهار فى شتى الميادين؛ وكان ساعده الأيمن فى جميع مشروعاته وزيره ادريس بن هارون، وخليفته فى الوزارة أخوه كرسوا بن هارون، فقد تفانى هذان الوزيران فى تدعيم برنو وإشاعة الأمن والرخاء فضلا عما عرف به الماى من حسن الادارة (٥)

---

(١) Hogben, p. 40 ; Barth, p. 651

(٢) Barth, p. 652

(٣) Barth, pp. 652, 656

(٤) Barth, p. 655; Hogben, p. 40

(٥) Barth, pp. 658,659

وأكثر ادريس ألوما من بناء المساجد فى العاصمة بيرنى ، ونظراً لجهوده المستمرة ، بلغت إمبراطورية البرنو فى القرن السادس عشر ذروة مجدها وعظمتها ؛ ومع أن إدريس لم يضف كثيرا إلى رقعة بلاده نتيجة هذه الحروب ، إلا أنه نجح فى تحقيق الأمن والنظام داخل حدود دولته كما نجح فى اخضاع الرعايا التابعين له تبعية إسمية ولايربطه بهم سوى دفع الجزية له ، كذلك نجح فى حماية بلاده من الغزو الخارجى (١) .

ويقارن عهد ادريس ألوما(ت ١٤٩٢م) بعهد أسكيا الأكبر(ت ١٥٢٩م) فى صنغى ، فقد ظفر كل منهما بكثير من المديح والثناء ، والإشادة وهى التى نشرها مؤرخوهم أمثال : محمود كعت صاحب الفتاش فى صنغى والإمام أحمد بن فرتوا فى برنو .

ومما قاله علماء برنو وكتابها عن أدريس ألوما :إن نشاط ألوما الحربى قد اقترن بالعدالة والذكاء ، كما اقترنت شجاعته بالحرص والحذر والأناة ، واقترنت قسوته بالمشاعر الرقيقة . (٢)

وجاءت وفاته حوالى عام ١٦٠٢ فى احدى المعارك الحربية ، إذ أصابه أحد الوثنين بسهم فى صدره ، وكان هذا الوثنى مختبئا خلف شجرة حين كان الماى يحارب قبيلة باغرمى Bagiri ودفن فى بحيرة ألو Alo فى منطقة أوجى Uji قرب مدجورى Maidguri ، ومن ثم كانت شهرته بلقب ألوما Alooma or Alawoma ، نسبة إلى بحيرة آلو هذه ، ويعرف كذلك باسم إدريس أنسامى Ansami(٣) .

وقد ترك إدريس ألوما برنو بعد وفاته ، دولة عظيمة منظمة قوية ، بل تركها أعظم دولة فى السودان الأوسط ، يحميها جيش قوى ، وعندما زار الرحالة الأوروبيون برنو أمثال بارث Barth فى النصف الأول من

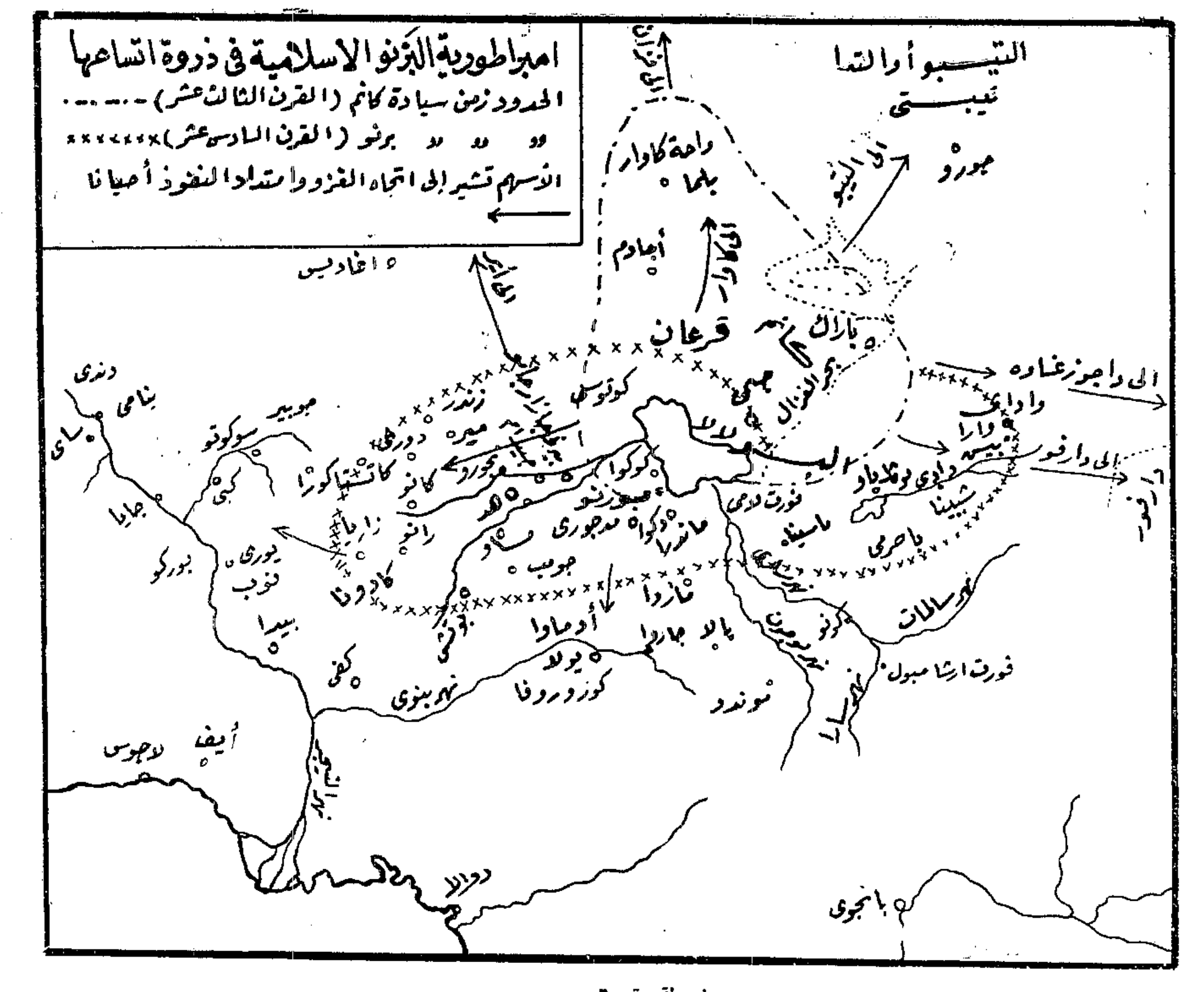
(١) Shinnie, p. 73

(٢) Hogben, p. 40

(٣) Hogben, p. 40; Barth, p. 658

القرن التاسع عشر ، كان الكثير من مظاهر الفخامة والقوة لاتزال آثارها باقية ، وعن إرفوى Urbvoy الفرنسى : « لقد قامت كانم وبرنو فى السودان الأوسط بنفس الدور الذى قامت به غانه ومالى وصنغى فى السودان الغربى ، فلقد كانت هذه الدول صاحبة الفضل فى تطوير الحضارة السودانية وترقيتها (١) .

(١) The Bornu Sahara, p. 243; Shinnie, p. 75



خريطة رقم ٦

امبراطورية البرنو فى أقصى اتساعها فى عهديها : الكانمى والبرنوى

الفصل السابع

نهاية إمبراطورية البرنو

خلفاء ادريس ألوما ـ مظاهر الضعف ودلالة كثرة المجاعات ـ أخطار القبائل الوثنية في الجنوب ـ الحرب مع كانو ـ ظهور الفولانيين وأصولهم وتحركاتهم ـ انتشارهم في برنو ـ نبوءة أحد علماء الفولانيين بظهور عثمان دان فودى الفولانى ـ ظهور عثمان دان فودى (١٧٥٤ ـ ١٨١٧) ـ صراعه مع أمير جوبير ـ عثمان يعلن الجهاد المقدس ـ موقفه من بلادالهوسا ـ حملة الأعلام وجهادهم ـ وسيطرتهم على معظم بلاد الهوسا وبعض أجزاء برنو ـ تهديد عاصمة برنو ـ ظهور الشيخ الأمين الكانمى (ت ١٨٣٥) ومساندته لمايا برنو ـ سقوط عاصمة برنو في يد الفولانيين عام ١٨٠٨ م واستعادتها عام ١٨١١ م ـ رسائل ومناقشات أكاديمية بين الكانمى وشيهو Shehu (الشيخ) عثمان دان فودى وابنه محمد بلو ـ ازدياد قوة الفولانيين وازدياد ضعف برنو ـ استبداد أسرة الشيخ أمين الكانمى بمايات برنو الضعاف ـ عزل آخر مايات الأسرة السيفية ١٨٤٦ م ـ حكام برنو الجدد يلقبون بالشيوخ ـ كوكا العاصمة الجديدة لبرنو ـ الاستعمار الأوربي والبعثات الكشفية الاستعمارية ـ استقبال الشيخ عمر الكانمى الرحالة الألمانى بارث عام ١٨٥٢ م وغيره ـ الشيخ هاشم الكانمى (ت ١٨٩٣ م) يستقبل الرحالة الفرنسى شارل مونتى عام ١٨٩٢ م ـ هجوم رابح قائد الزبير باشا ـ رابح يكافح الاستعمار الانجليزى والفرنسى ويسيطر على برنو نحو ست سنوات ـ اتخاذ مدينة داكو جنوب بحيرة تشاد عاصمة له ـ تقسيم برنو في عام ١٨٩٤ م بين انجلترا وفرنسا وألمانيا

ـ مقتل رابح على أيدى الفرنسيين عام ١٩٠٠ بقيادة لامى ـ شـيوخ برنو ، يتولون مناصبهم تحت سـيطرة الاسـتعمار الأوربى ـ اعادة تقسـيم برنو بين المسـتعمرين ـ تلاشى امبراطورية البرنو التاريخية ـ الدول الافريقية الحديثة التى قامت على أنقاض برنو ٠

●

يؤرخ لتدهور إمبراطورية البرنو ، منذ بداية القرن السابع عشر الميلادى تقريبا ، فإن خلفاء إدريس بن عائشة (ت ١٦٠٣ م) لم يكونوا مثله قوة وكفاءة وحزما ، كما أن بداية تسرب النفوذ الاستعمارى الأوربى عن طريق الكشوف الجغرافية ، ثم الحروب الاستعمارية المكشوفة ، أضحت صاحبة القول الفصل فى القضاء النهائى على برنو وغيرها من الدول الافريقية القومية الإسلامية التى قامت فى بلاد السودان الأوسط والغربى .

خلف إدريس ألوما خمسة عشر مايا من سلالة الأسرة الماغومية السيفية الحاكمة فى برنو ، وذلك خلال الفترة من ١٦٠٣ م إلى عام ١٨٤٦ م ، حين طرد وقتل على بن دلاتو آخر مايات الأسرة السيفية على يد أبناء الشيخ محمد أمين الكانمى بعد حكم ٤٠ يوما .

استغرقت عملية التدهور لإمبراطورية برنو نحو قرنين ونصف قرن ، على أن هذا التدهور أضحى سريع الخطى منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادى .

* * *

فى عهود المايات التسعة (١) الذين خلفوا إدريس ألوما مباشرة ، بدأت مظاهر التدهور والضعف ، وتتلخص أهم هذه المظاهر ، فى كثرة المجاعات المتلاحقة ، إذ وقعت خمس مجاعات : الأولى زمن الماى إبراهيم بن إدريس (ت ١٦٢٥ م) واستمرت سنة ، ووقعت الثانية زمن الماى الحاج على طاير (ت ١٦٨١ م) واستمرت أربع سنوات ، وعرفت هذه المجاعة باسم (دالاداما) Dala Dama ، والثالثة زمن الماى دُونمه بن على (ت ١٧١٧ م) واستمرت سبع سنوات ، والرابعة لمدة سنتين وعرفت

(١) أرقام هؤلاء المايات فى سلسلة ملوك الأسرة السيفية من ٥٤ إلى ٦٢ (راجع القائمة)

باسم «على شوا» Aly Shuwa زمن الماى محمد بن الحاج حمدون (ت ١٧٤٧م) وكانت المجاعة الخامسة زمن الماى دونمه جانا (ت ١٧٥٠ م)، ووصفت بأنها كانت قاسية عنيفة. (١)

وتدل هذه المجاعات، ويدل تكرارها، على التدهور السريع المستمر، والضعف العام الذى أصاب الامبراطورية، نتيجة نقص المحصول وإهمال الزراعة وكثرة الفتن والاضطرابات وتعطيل أبواب الإنتاج، فضلا عن ظهور أخطار جديدة.

ومن هذه الأخطار ظهور قوة قبائل كوارارافا يوكون Kwararafa Jukon، فى منطقة جومب Gombe، فقد نهضت هذه القبائل ونهبت كانو واجتاحت الأقاليم الغربية فى برنو، (٢) زمن الماى الحاج على طاير، وقد حاربهم ماى برنو، وتقول تأريخ بورنو، فى شىء من المبالغة الأسطورية، إن الحاج على طاير قتل منهم نحو ألف وجرح نحو ألف وأسر نحو ألف، وهناك أغنية تشيد بهذا العهد، وتتحدث عن انتصاراته على الوثنيين؛ وقد نعتته الأغنية بأمير المؤمنين، ودعت له بحسن الجزاء لما قدمه من خدمات للإسلام. (٣)

ومن قبله قتل الماى محمد بن إدريس (ت ١٦١٨ م) فى حرب القبائل الوثنية، ونعتته وثائق عصره بأنه اشتهر بالصيد، وقالت: إنه استشهد فى حرب مقدسة. (٤)

وحدثت حروب أخرى بين برنو وجيرانها، لم تؤد إلى نتيجة، منها الحروب الطويلة التى خاضها الماى الحاج عمر بن إدريس (ت ١٦٤٤م)، كما أن الماى محمد بن الحاج حمدون (ت ١٧٤٧ م) هاجم كانو، وذلك

---

(١) The Bornu Sahara, pp. 244,255

(٢) De Pedrals, pp. 173.175

(٣) De Pedrals, pp. 173,175; Hogben, p. 40; Burns, p. 51; The Bornuaa Shara, pp. 246,247.

(٤) The Bornu Sahara, p. 244

زمن حاكمها سار كن كومبارى Kumbira (١٧٣١ — ١٧٤٣م) ، لكنه عاد من غير نتيجة حاسمة . (١)

على أن أخطر ماتعرضت له إمبراطورية البرنو فى عهدها الأخير ، خلال القرن الثامن عشر ، هو خطر الفولانيين .

وهؤلاء الفولانيون أو الفلاتا (٢) ، يعتبرون أنفسهم من الشعوب البيضاء ولاسيما الطبقة الحاكمة منهم ، رغم تأثرهم بالدماء الزنجية ، عن طريق الاندماج والمصاهرة ، ويسمى الفولانيون بلغة اليوروبا : « إياإيبو نيفولانى » Eya Oibo ni Fulano ، ومعنى هذه التسمية : أن الفولانيين قبيلة أو قوم جاءوا من وراء البحار ، وبمعنى آخر ، إنهم شعب أبيض . (٣)

وقد اختلف فى أصلهم ، فقيل : إنهم من الهنود ، أو من اليهود أو من شعوب الملايو ، أو من الفينيقيين ، يقول تمبل Temple — حاكم نيجريا الشمالى فى العهد الاستعمارى الانجليزى — ان شباب الفولانيين يشبهون صور الهكسوس التى صورها المصريون ، ويشبهون اليهود وهم فى سن الكهولة (٤) . ويقول بالمر Palmer ، إن لغة الفولانيين تشبه لغة المواطنين فى جزر كنارى ، ولكن الفولانيين أنفسهم ، يدعون أنهم من سلالة عربية ، وأن جدهم الأكبر هو عقبة بن نافع أو عقبة بن عامر ، الذى تزوج من ابنة ملك قبائل التورود Turud ، وأنجب أربعة أولاد تركهم مع أمهم حين عاد إلى مصر ، ومن سلالة هؤلاء الأولاد كان الفولانيون . (٥)

وهناك من يقول إن الفولانيين من مصر العليا ، هاجر أوائلهم غرباً عبر شمالى افريقية ، إلى ساحل المحيط الأطلسى ، حيث استقر بعضهم ،

---

(١) Ibid., p. 235

(٢) انظر الألفاظ الاصطلاحية بالملاحق

(٣) Bovill, pp.224,225 ; Bursn, p. 23n

(٤) Temple, p. 390

(٥) Burns, p. 45 ; Le Chatelier, pp. 107,132; The Bornu Sahara, p. 275.

واستمر البعض الآخر فى الرحلة جنوبا حوالى القرن الثالث عشر الميلادى ، واختلطوا بالهوسا واعتنقوا الاسلام ، وكانوا يتفوقون على الوطنيين فى الثقافة ، مما جعل لهم مركزا خاصاً بين الوطنيين فى غربى افريقية ، وظلوا فترة طويلة ، فى بلاد الهوسا من الرعايا المعاندين ، الذين لايمتثلون بسهولة لحكم الهوسا أو غيرهم . (١)

بدأ خطر الفولانيين يظهر خلال الفترة من ١٥٥٠ الى ١٥٧٠ م ،وكانوا قد انتشروا فى الأقاليم الغربية من برنو وفى أداماوا وموری Muri ،وقد استقروا بين قبائل اليوكون فى تلك المناطق . (٢)

على أن الكثير من هؤلاء الفولانيين كان خاضعا لنفوذ ماى برنو ، كما أن الكثير من العلماء فى برنو ، كانوا من الفولانيين ، وهؤلاء كان لهم دور كبير فى نشر الإسلام فى برنو وفى القيام بتدريس العلوم الدينية الإسلامية العربية ، وظفر كثير منهم بامتيازات كبرى من جانب المايات ، بمقتضى الوثائق العربية التى كتبها لهم المايات وتعرف فى المصطلح باسم « محرم » ومن أمثلة هذه المحارم « المحرم » الذى أصدره الماى دونمة إدريس بن على عام ١٧٠٤ م ، وكان تجديدا لما منحه أسلافه منذ القرن الخامس عشر الميلادى . (٣)

وجاء فى كتاب « انفاق الميسور » للسلطان محمد بللو ، أن الماى عمر بن إدريس (ت ١٦٤٤ م) كان قد أساء الى بعض علماء الفولانيين الذين وفدوا الى

---

(١) هناك رسالة منسوبة إلى العالم المحدث الفولانى الشيخ عبد الله بن فودى ، أخو الشيخ عثمان بن فودى (ت ١٨١٧ م) ، مؤسس إمبراطورية الفولانيين الإسلامية فى القرن التاسع عشر الميلادى .

تتحدث هذه الرسالة عن أصول الفولانيين ، وخلاصتها أن الفولانيين من طورسيناء : انتقلوا إلى الغرب وانتشروا فى كثير من جهات أفريقة ، وهذه الرسالة منقولة عن بعض مؤلفاه عن الشعوب والقبائل والأنساب ، وفيها تفصيلات وافية عن تحركات الفولانيين وأسلافهم. ويلاحظ فى هذه الرسالة حرص الشيخ عبد الله على اللغة العربية والحث على التمسك بها ، بجانب اللغة الفولانية . (الاسلام واللغة العربية فى السودان الاوسط والغربى ص ٤٦ — ٤٧ ، إمبراطورية الفولانيين الإسلامية ، للمؤلف —(تحت الطبع) — ؛ الفاهاشم الفوتى : تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان ، راجع الفصل الأول)

(٢) The Bornu Sahara, p. 258

(٣) انظر الملاحق

بلاده ، للدعوة إلى الاسلام ، وتنقية العقيدة الإسلامية من الشوائب الوثنية ، حدث أن وقتل أحد العلماء ونجا عالم آخر بالهرب ، وهو والديد Waldede ، إذ وصل إلى باجرمى حيث عاش حتى وفاته ، ويقال إن هذا العالم الذى نجا ، قد دعا على مايات برنو بالدمار على أيدى الفولانيين .

ويقول محمد بللو ، أيضا ، ان هذا الشيخ العالم ، قد تنبأ بظهور الشيخ عثمان دان فودى ، وأنه سوف يتزعم حركة جهاد مقدس وسوف يكثر أتباعه ، وسوف يخوض حروبا مقدسة ، وينصح فى نبوءته ، بأنه إذا ظهر هذا الشيخ المنتظر ، يجب أن يتبعه المسلمون وأن يناصروه وأن يلتفوا حوله ؛ وقال فى نبوءته كذلك ، إن هذا الشيخ سوف ينتصر على برنو وسوف يطرد الماى ، « كما طردنا من دورنا » (١)

وفى عهد الماى على بن الحاج حمدون (١٧٥٠ – ١٧٩١ م) أصبح الفولانيون عنصرا خطيرا ، فقد انضموا إلى القبائل التى حاربها الماى ، وهى قبائل : مانادارا Mandara وأراوندالا Ara Wandala وجامارجو Gamargu ، ويسبب مساعدة الفولانيين لهذه القبائل ، منى الماى على بهزائم مشينة ، بل إن العرب فى منطقة داكوا Dikwa ، كانوا يساعدون هذه القبائل ضد ماى برنو ، ومع هذا الفشل الذريع ، هناك أنشودة تتغنى بأعمال هذا الماى وتنعته بأنه أشجع الأمراء ، وأنه أسد . (٢)

ولذلك يعتبر عهد الماى على بن الحاج حمدون ، البداية الفعلية لتدهور برنو وسقوطها النهائى ، بل ولزوال الأسرة الماغومية السيفية .

فى تلك الأثناء كان الفولانيون يزدادون قوة ، بفضل ظهور زعيم دينى عظيم بينهم ، ذلك هو الشيخ عثمان دان فودى الفولانى (١٧٥٤ – ١٨١٧ م) وهو فقيه عالم ، حج إلى مكة ، وله نفوذ روحى عظيم بين قومه ، وقد التف حوله الفولانيون .

The Bornu Sahara, pp. 245,246 (١)

Ibid., pp. 255, 258 (٢)

ينسب عثمان دان فودى لأعظم عشائر الفولانيين نفوذا وتأثيرا وقوة ، وهى عشيرة تورنك Toronke أو الترنكوا Toronkowa ، أى سكان منطقة تورو Toro فى حوض السنغال ، وهذه المنطقة أقدم موطن معروف للفولانيين فى غربى افريقية ، وفى هذا الموطن كانت ألوانهم قد تغيرت نتيجة الامتزاج الطويل مع الوطنيين ، وقد تحرك فرع من هذه العشيرة إلى أداماوا فى حوض نهر بنوى الرافد الشرقى الكبير لنهر النيجر .

وهناك فرع توجه إلى جوبير ، وهى إحدى دول الهوسا الوثنية ، وعرف هذا الفرع باسم تورونك جوبير Toronke of Gobir ، وكان هذا الفرع من أشد فروع الفولانيين تحمسا للاسلام ، ويدين بالمذهب المالكى ، وفى هذه المنطقة أسلم عدد كبير من الهوسا والتفوا حول الفولانيين ويتزعم هذا الفرع عثمان دان فودى ، وكان ملك جوبير الوثنى فى ذلك الوقت ، ويعرف باسم « نافاتا » Nafata ، قد أصدر أمرا يحرم اعتناق الإسلام على من يولد وثنيا ، كما منع لبس العمامة وأمر بإعادة السفور للنساء اللاتى اعتنقن الإسلام وتحجبن ، وجاء فى حكم جوبير بعد نافاتا ، ابنه يونفا Yunfa ، الذى صار من أتباع الشيخ عثمان ، غير أنه أدرك نمو قوة الشيخ وقوة أنصاره التى صارت خطراً يهدد عرشه ، فدبر مؤامرة لقتل الشيخ ،لكنها فشلت مما زاد فى حماسة الفولانيين كثيراً . كان الشيخ عثمان يقيم فى ذلك الوقت فى مدينة ديجل Degel

ألح ملك جوبير فى تعقب الشيخ عثمان وأنصاره ،و هاجم المدينة التى يقيم بها ، فهرب عثمان مع قومه ؛ وفى تاريخ الفولانيين ، يعتبر تاريخ هذا الهرب أو هذه الهجرة ، كما يسميها الفولانيون ، وهو ٢١ فبراير ١٨٠٤ م ، حادثا خطيرا أعقبه النصر ، وازدياد صولة الفولانيين وقوة الدعوة الإسلامية .

وقد استقر الشيخ عثمان فى مدينة جودو Gudu ، حيث تضاعف عدد أنصاره وقويت شوكته ، ومن هذه المدينة ، أعلن الشيخ عثمان الجهاد المقدس (١)

---

(١) Okafor, pp. 44 46 ; Memorandum, pp. 6 7, 15 16 ; Le Chatelier, pp. 116,117 ; Burns, p. 45 ; Bovill, pp. 225, 230 ; Trim., pp. 25,26; De Pedrals, pp. 162,164.

بدأ عثمان دان فودى جهاده الدينى ١٨٠٤ م ضد سراكنة الهوسا وانتصر على يونفا ملك جوبير ، فى يونيه ١٨٠٥ م وحينئذ أعلن الفولانيون شيخهم أميرا للمؤمنين Sarkin Musulmi ، وظل هذا اللقب عالقا به وبأبنائه سلاطين سوكوتو .

وخشى أمراء الهوسا من أن ينتهى مصيرهم إلى مثل مصير دولة جوبير ، فقام كل أمير فى دولته بالقبض على رعاياه الفولانيين ، فى كاتسنا وكانو وزازو ودَوْرَى وأدرار ، مما أثار الفولانيين .

اختار عثمان أربعة عشر قائدا من أعظم رجاله وقادته ، وأعطى لكل منهم علما ، وبارك هذه الأعلام ، ودعا رجاله إلى الجهاد فى سبيل الله . ونجح الفولانيون فى إخضاع جميع بلاد الهوسا وغيرها وهى : كاتسنا وكانو وزاريا وهديه وأداماوا وجومب وكاتاجوم Katugum ونوب وايللورين Illorin ودَوْرَى وكاسور Kassure وبوتشى Buchi ومسو Messau وبعض أجزاء من بورنو ، وولى على كل إقليم من هذه الأقاليم أحد حملة الأعلام أو أحد سلالتهم .

وفى عام ١٨٠٨ م استطاع محمد بللو بن الشيخ عثمان أن يفتح الكالاوا Alkalawa عاصمة جوبير ، وأن يقتل حاكمها يونفا .

ثم اتخذ الشيخ عثمان مدينة سوكوتو (١) مركزا لجهاده وحكومته المركزية (٢) .

وكانت إمبراطورية البرنو فى ذلك الوقت تزداد ضعفا ، بازدياد قوة الفولانيين وتقدمهم فى بلاد برنو الغربية ، ولقى البرنويون أكثر من هزيمة على أيديهم ، وبعدها تابع الفولانيون زحفهم نحو عاصمة برنو زمن الماى أحمد بن على (١٧٩١—١٨٠٨ م) ، فاضطر الماى أحمد إلى الهرب من عاصمته إلى منطقة موبر Mobber ، وعندما وصل الماى وفى صحبته ابنه وولى عهده

---

(١) مدينة سوكوتو : يكتبها الفولانيون بهذه الصورة : « صكت » بفتح الصاد وضم الكاف المشددة وضم التاء

(٢) Gouilly, pp. 69—70

دونمه ، إلى مدينة ميج Mege ، التقى مع الشيخ الأمين الكانمى وطلب منه مساعدته .

والشيخ محمد الأمين الكانمى من مواليد فزان ، ومن العلماء البارزين الذين يعملون على نشر الإسلام وتثبيت قواعده وتطهيره من الشوائب الوثنية وكان يحث دائما على الجهاد والتمسك بالدين ؛ استقر فى كانم حيث تزوج من ابنة أمير نغالا N'Ghala، واشتهر بثقافته وعقله وتقواه ، وقد رفض أن يغادر البلاد أمام الغزو الفولانى ، ونظم قوة صغيرة من أنصاره من الكانمبو وقاوم الفولانيين حتى حال دون تقدمهم إلى شرقى بحيرة تشاد ، ونجح فى تحرير شرقى برنو بعد وقعة انتصر فيها على الفولانيين فى نجورنو N'Gornu . (١)

استدعاه الماى أحمد بن على الحافل عن عاصمته أمام خطر الفولانيين ، وطلب عونه فى محنته ، فكتب الشيخ الكانمى ثلاث رسائل : إحداها إلى قائد جيش الفولانيين الزاحف وهو جونى مختار Gowni Mukhtar ، والرسالتان الأخريان إلى زعماء برنو المنافسين لكى يتحدوا ويضموا صفوفهم أمام الخطر المشترك ، ولكنه لم يتلق أى رد على رسائله .

وحينئذ نصح الشيخ ، الماى بقوله :

« عد إلى عاصمتك وسوف يردها الله اليك . (٢) وفعلا تمكن الماى من العودة إلى عاصمته ، وكان الماى أحمد بن على قد كف بصره فولى ابنه عرش برنو وهو الماى دونمه (اكتوبر ١٨٠٧ — مارس ١٨٠٨ م)

غير ان الفولانيين بقيادة جونى مختار ، ظلوا فى زحفهم الكاسح نحو عاصمة برنو ، واستولوا عليها فى مارس ١٨٠٨م ، وهربت الأسرة الماغومية من العاصمة ، واتجهت نحو الشمال ، حيث مات الماى أحمد ، وظل ابنه دونمه يعمل نحو تسعة شهور ، فى تكوين قوة حربية ، بمساعدة الشيخ

---

(١) De Pedrals, p. 164

(٢) The Bornu Sahara, p. 258

الكانمى الذى كان يقود أنصاره وتابعيه من حملة الحراب من الكانمبوالمقيمين فى منطقتى كوبورى Kuburi ، وسوجورتى Sugurti .

وبفضل القوة المشتركة ، استطاع ماى برنو العودة إلى العاصمة واقتحامها عنوة ، وهزيمة الفولانيين وقتل قائدهم جونى مختار ، وذلك عام ١٨١١م

بعد هذه الوقائع رأى الشيخ الكانمى أن يدخل فى مفاوضة مع سادات الفولانيين ، وأن يستوضح منهم سبب حروبهم لبرنو الإسلامية ، وتبودلت الرسائل بين الكانمى وبين زعماء الفولانيين ، منها رسالة خلاصتها :

« من الحاج أمين بن محمد الكانمى إلى المعلمين — أى العلماء — ورؤساء الفولانيين — بعد التحية — لقد حملنى على إرسال هذا الكتاب إليكم ، هو أننى عندما أراد الله لى أن أدخل أرض برنو ، وجدت الاضطراب والفتن التى نشبت بينكم وبين أهل هذه البلاد ، فلما فحصت عن أسباب هذه الفتن ، قيل لى إنها بسبب ظلم واقع ، كما قيل لى بسبب الدين ، ولذلك اختلط على الأمر ، والذى أرجوه هو أن توقفونى على سبب عدائكم لأهل برنو ، فجاءنى رد أجوف غير مقنع لايصدر عن العوام ، إذ بعثوا الىّ بقائمة أسماء كتب دينية وقالوا : فى هذه الكتب أسباب حربنا ، فحصت هذه الكتب فلم أجد شيئا ، ولذلك ظلت حيرتى قائمة .

ثم جاء بعض رجالكم وهاجموا قصر الماى وأقاموا معسكرهم بجوارنا ، ولذا كتبت رسالة ثانية ، نناشدكم فيها باسم الله والإسلام أن تكفوا عن حربنا ، فرفضوا وأمعنوا فى الهجوم ، مما اضطرنا الى الدفاع عن أنفسنا ، هل يمكن أن توضحوا لنا أسباب محاربتكم لنا ؟ وسبب استرقاقكم لرجالنا ؟ دعونى أؤكد لكم أننا لسنا وثنتين ، إذا كان أداء الصلاة ودفع الزكاة وصوم رمضان وإصلاح المساجد « أعمالا وثنية » أخبرونى إذن « ماهو الإسلام » ؟

لقد قيل لكم إن حكام برنو يذبحون الحيوانات فى أماكن معينة لغرض توزيع اللحوم صدقات ، وإن نساءنا غير متحجبات ، وإن قضاتنا

يأخذون الرشاوى ويحكمون بالهوى ، ويبددون أموال اليتامى ؛ غير أن هذه الأشياء الخمسة لاتبرر محاربتكم لنا .

وفضلا عن ذلك فإن أعمالكم في تمزيق الكتب التي بها اسم الله ، والقذف بها في القاذورات : ليست سوى أعمال وثنية : ومنكم من يحنث في يمينه : وإنكم لتقتلون الرجال وتسبون النساء والذرارى ، وقد عجبنا أشد العجب من ادعائكم القيام بإصلاح العقيدة ، الواقع أنكم لاتريدون إلا السيطرة والحكم .

لقد سمعنا الكثير عن مناقب شيهو Shehu – أى الشيخ عثمان دان فودى – وقرأنا كتبه ومصنفاته ، ولمسنا أن أعمالكم تتناقض مع ما جاء في تصانيفه ، فإذا كانت أعمالكم نتيجة إرشاد ونصيحة الشيخ عثمان على مانعلمه منه من سمو الخلق وحسن السيرة ، فانه بذلك يكون سيء السيرة ، وأود أن نؤكد أننا دائما في جانب الشيخ عثمان اذا كان في الحق ، فاذا تخلى عن الحق وأعرض بجانبه ، فاننا نتخلى عن الشيخ ، وننأى عنه وننضم الى جانب الحق (١) .

أجاب محمد بللو بن الشيخ عثمان دان فودى على هذه الرسالة بأمر أبيه وإرشاده ، وتبودل عدد من الرسائل بين الجانبين كلها جدل علمى أو مناقشات فقهية : لم تؤد إلى إزالة حالة الحرب بين الفولانيين وبين برنو .

وخلال تلك المناقشات كان الفولانيون يتقدمون ويسيطرون على جميع البلاد التي يكتسحونها ، في نفس الوقت الذى كان فيه الشيخ الأمين الكانمى يسلب السلطة تدريجا من مايات برنو الضعفاء .

وجمع الفولانيون قواتهم بزعامة شيخ عالم محارب هو المعلم إبراهيم زكى ، سلف أمراء الفولانيين في كاتاجوم Katugum ، وهاجم

(١) أورد محمد بلو (ت ١٢٣٢ م) ابن عثمان دان فودى ، جميع أخبار الوقائع بين الفولانيين وبلاد البرنو ، في كتابة انفاق الميسور ، وقد ترجم منه بالمر الكثير من الفقرات .

عاصمة برنو ، فاضطر الماى الى الهرب منها ، ولم يحاول بعد ذلك أن يستعيد العاصمة بيرنى ، من الفولانيين ، إذ استمع الى نصيحة الشيخ الكانمى ، واتخذ عاصمة جديدة لدولته فى مدينة بيرنين كابلا Birnin Kabela قرب نجورنو مركز إقامة الشيخ الكانمى (١) .

* * *

أدت هذه الأحداث الى ظهور قوة الشيخ محمد الأمين الكانمى ، إذ أصبح الحاكم الفعلى فى امبراطورية البرنو التى بدأت شمسها فى الأفول ، وذلك منذ عام ١٨٠٩ الى وفاة الشيخ الكانمى عام ١٨٣٥م ؛ وكان باستطاعة الشيخ الكانمى أن يولى وأن يعزل من شاء من المايات الذين صاروا حكاما بالاسم ، وأقرب مايكونون الى سجناء قصورهم ، ولذلك عندما غضب على الماى دونمه ، عزله عام ١٨١١ م وعين بدلا منه عمه من جهة الأب وهو محمد نجلروما (١٨١١ — ١٨١٤) ، لكن الشيخ لم يجد فى الماى الجديد الصنيعة كرما أو سخاء ، فعزله وأعاد دونمه السابق الذى استمر فى هذه المرة من عام ١٨١٤ الى ١٨١٧م ، ولكنه اشترط عليه فى عودته أن يخصص للشيخ وأتباعه نصف ايرادات المملكة (٢) وقبل دونمة هذا الشرط وحافظ عليه ، فترة من الزمن ، حتى شعر بثقل وطأة الشيخ ، فتآمر عليه مستعينا بسلطان باجرمى واسمه بوركاما ندا Burka Manda ، ودعاه لغزو برنو ، وكان الشيخ الكانمى يقيم فى ذلك الوقت فى مدينة كوكا Kukwa ، التى اتخذها مركزا له ، وتعرضت هذه المدينة لنهب جيش باجرمى ، وحدث أن قتل الماى دونمه خطأ على يد جيش باجرمى ، فتقدم إبراهيم : أخو الماى القتيل ، وعرض على الشيخ الكانمى أن يعطيه جميع ايرادات المملكة ، فضلا عن جميع مقاليد السلطة ومظاهرها ، فى سبيل أن يمكنه من ولاية العرش ، فقبل الشيخ هذه الشروط وعينه فى منصب الماى (١٨١٧—١٨٤٦م) (٣)

---

(١) The Bornu Sahara, p. 255

(٢) Yever, p. 752

(٣) Yever, p. 753

رأى الشيخ الكانمى ، من حسن السياسة ، أن يتفاهم مع الفولانيين ، ولا بأس لديه من أن يكرر رسائله اليهم ، فبعث برسالة الى محمد بللو سلطان سوكوتو ، أوضح له فيها أنهما أهل دين واحد هو الإسلام ، وأنه لا ينبغى أن يحارب بعضهم بعضا ، وذكر كذلك أن هناك قبائل وثنية تفصل بين برنو وبين بلاد الفولانيين وأن هذه القبائل الوثنية ممن يجوز عليهم فرض الجزية ، وعرض على سلطان سوكوتو ، أن تظل هذه القبائل حدا فاصلا بين حدود مملكتيهما على أن يحترم كل منهما حدود الآخر ؛ فإلى الشرق من هذه القبايل تقع بلاد برنو ، وإلى الغرب منها تقع بلاد الفولانيين ، ولكن الشيخ الكانمى أوضح أن قبائل مينيو ، Muniyo ودماجرام Damagram ودورا Daura تابعة لبرنو ، وأنه على استعداد للاعتراف بحقوق الفولانيين فى جوبير وكاتسنا (١) .

وخلال ذلك الوقت كان الماى إبراهيم يحكم وفق الشروط التى عرضها بنفسه طوال حياة الشيخ الكانمى ، حتى إذا توفى الشيخ فى عام ١٨٣٥ م ، وخلفه ابنه الشيخ عمر ، فى منصب الحاكم الفعلى غير الرسمى ، وقعت اضطرابات وفوضى فى برنو ، (٢) وحاول الماى إبراهيم أن يتخلص من الشيخ عمر وطلب مساعدة أمير واداى لكى ينقذ برنو من تحكم أسرة الشيخ الكانمى ، وتقدم أمير واداى وأباد جيش برنو فى عام ١٨٤٦ م ؛

وعلم الشيخ عمر بمؤامرة الماى ، وأنه سبب النكبة التى وقعت بالبلاد ، فقبض عليه وعلى مستشاريه ، وأعدمهم ، وذلك فى الوقت الذى لم يزل فيه خطر واداى بعد ، إذ أن سلطان واداى الظافر ، تقدم نحو كوكوا Kukawa ، مركز أسرة الشيخ الكانمى ، وطلب منه أن يولى فى منصب الماى ، على بن دلاتو ، قبل الشيخ عمر ، واشترى عودة سلطان واداى وجلاءه بمبلغ كبير من المال قدر بنحو ألف جنيه استرلينى ؛ حتى إذا

---

(١) ، (٢) قداح ص ٨٦ The Bornu Sahara, pp. 267,269

اطمأن الشيخ عمر الكانمى على زوال الخطر ؛ لم يدع الماى المفروض يحكم سوى أربعين يوما وحاربه وقتله عام ١٨٤٦ م (١) :

وبمقتل على بن دلاتو عام ١٨٤٦ م ، تنتهى الأسرة الماغومية السيفية ، وعلى بن دلاتو هو آخر مايات هذه الأسرة ، وهو الماى الثامن والستون فى سلسلة مايات برنو :

---

(١) The Bornu Sahara pp. 267-168

أسرة الكانمى فى حكومة برنو

أولها الشيخ محمد الأمين الكانمى (ت ١٨٣٥ م) ، الذى تحكم فى برنو فى الفترة من عام ١٨٠٩م حتى وفاته ، ويشبه طائفة الحكام التى عرفت فى أواخر عهد روما فى القرن الخامس الميلادى بصناع الملوك Emperor Makers ، إذ كان بيده ولاية وعزل مايات برنو ، ويتمتع بنفوذ روحى كبير بين جميع المسلمين فى برنو .

عاصر فى فترة تحكمه ، أربعة من المايات واتخذ مدينة كوكوا أو كوكا Kuka ، مقراً له ، وكان قد أسسها عام ١٨١٤ م وحدث أن نهبها الباجرميون عام ١٨١٧م وخربوا قصره بها ، عند ما استعان بهم الماى دونمه بن أحمد ، فأعاد بناء قصره بها ، وقدر الرحالة بارث سكان كوكا فى ذلك الوقت بنحو اثنى عشر ألفا ، وقدرهم الرحالة ناختجال بنحو ٦٠ ألفا ، أما الرحالة الفرنسى مونتى Ch. Monteil ، وكان قد زارها قبيل فتح رابح لبرنو ، فقدر سكانها بنحو ٥٠ ألفا ، وأيا كانت التقديرات ، فإن هذه الأرقام تدل على عمرانها وكثافة السكان فى ذلك الوقت ، وكانت مقسمة إلى قسمين يفصلهما سور ومساحة فضاء واسعة تستخدم سوقا للتبادل التجارى ، ويقيم فى القسم الغربى منها الطبقات الدنيا من التجار ، ولاسيما من عنصر التورا Turawa الذين جاءوا أصلا من طرابلس واختلطوا بالوطنيين ، ويقع فى القسم الشرقى من كوكا قصور السلطان وكبار موظفيه (١) ، والمقصود

(١) Meek, I, p. 81 ; Yever, p. 748

بالسلطان من ولى العرش رسميا من سلالة الكانمى ، وأولهم الشيخ عمر ابن الكانمى إذ صارت كوكا عاصمة برنو منذ ذلك الوقت .

وبعد وفاة الشيخ الأمين فى كوكا عام ١٨٣٥ خلفه ابنه الشيخ عمر فى النفوذ الفعلى دون الاسمى ، كما كان أبوه من قبل ، ولكنه ولى عرش برنو بعد مقتل على بن دلاتو ، آخر مايات الأسرة السيفية عام ١٨٤٦ م ، وظل يحكم برنو فى ذلك العام إلى وفاته عام ١٨٨٠م .

ومنذ عهد الشيخ عمر صار حكام برنو يلقبون بالشيوخ ، وفى زمن الشيخ عمر هذا ، زار الرحالة بارث Barth برنو عام ١٨٥٢ م ، حيث أقام فترة فى العاصمة كوكا .

كانت أوربا فى ذلك الوقت حريصة كل الحرص على ارتياد بلاد السودان الأوسط والغربى الداخلية ، واستعمارها ، فأرسلت انجلترا فى عام ١٨٢١ م بعثة من طرابلس بقيادة : الميجور دكسون دنهام Maj. D. Denham والملازم هيوكلا برتون L.H. Clapperton والدكتور اودنى Dr. Oudney ، وصلت البعثة إلى مرزوق ثم إلى بحيرة تشاد بحثا عن منابع النيجر ، وتوجه كلا برتون وأدنى إلى بلاد الهوسا ، حيث دخل كلابرتون كانو ، ومنها توجه إلى سوكوتو عاصمة محمد بللو الفولانى أمير المؤمنين وحاكم بلاد الهوسا ، وقد زار هؤلاء الرحالة كوكا عام ١٨٢٣ م (١).

كان ماى برنو فى ذلك الوقت إبراهيم ، الواقع تحت نفوذ الشيخ محمد أمين الكانمى ، وتتابعت بعثات انجلترا للكشف والاستعمار ، فقام كلا برتون عام ١٨٢٥ م برحلة أخرى من غينية (٢) ، وأما بارث الألمانى ، فقام من قبل انجلترا أو لحسابها ، من طرابلس عبر الصحراء إلى قلب إفريقيا عام ١٨٤٩ م ، مارا بأير أو أهير أو أغاديس ، وأخذ اسم « عبد الكريم » كما ظفر من سلطان أهير ، الأمير عبد القادر ، بخطاب توصية إلى أمير

---

(١) Bovill, pp. 212,213 ; Church, West Africa, pp. 309,310

(٢) Bovill, p. 213

دَوْرَى من بلاد الهوسا (١) ، ووصل إلى كانو ثم إلى برنو ودخل العاصمة كوكا زمن الشيخ عمر بن الشيخ الكانمى وذلك عام ١٨٥٢ م .

وفى الفترة بين ١٨٥١ و ١٨٥٤ م زار الرحالة بارث منطقة تشاد وزندر وكاتسنا وكانو وسوكوتو وجواندو Gwandu ، وفى الأخيرة عثر على مخطوطة تاريخ السودان للسعدى (٢) ؛ ثم توجه إلى سى Say عبر النيجر ، وجمع خلال رحلته الكثير من الوثائق والمخطوطات والمعلومات ، مما جعله يكتب تاريخا لبرنو وغيرها من بلاد السودان الأوسط ، وقد ذيل على أبحاثه وكتاباته رحالة آخرون من بعده أمثال الدكتور إدوارد فوجل Vogel (١٨٥٤ – ١٨٥٦) وبرمان Beurman (١٨٦٠) ورولف Rohlf (١٨٦٦) وناختجال Nachtiga الذى حمل إلى الشيخ عمر الكانمى فى كوكا ، هدايا وليام ملك بروسيا (١٨٨٠ – ١٨٨١) ، وكذلك قام الرحالة مونتى Monteil الفرنسى (١٨٩٢) برحلة إلى برنو عام ١٨٩٢م(٣) .

والرحالة شارل مونتى الفرنسى ، كان قد استقباله فى كوكا الشيخ هاشم الكانمى (١٨٨٥ – ١٨٩٣ م) ، وهو الشيخ الخامس فى سلسلة شيوخ برنو من أسرة الشيخ الكانمى (٤) ، وتذكر المراجع أن الشيخ هاشم هذا كان له ٤٥٠ زوجة وسرّية وأنه أنجب ٣٥٠ طفلا (٥) .

وفى زمن الشيخ هاشم هاجم رابح برنو ، ورابح أحد قواد الزبير باشا حاكم بحر الغزال ، وكان الإنجليز قد أمروا خديوى مصر باستدعاء الزبير باشا ، فاستدعاه ، وتولى رابح مقاومة الإنجليز الزاحفين من أوغندة ومن سودان وادى النيل ، وكذلك استعد رابح لمحاربة المستعمرين الفرنسيين المتوجهين من جهة الكنغو ، وتشاد .

عبر رابح باجرمى فى عام ١٨٩٢ نهر شارى وأباد بجيش برنو

---

(١) انظر نص الخطاب بالملاحق

(٢) انظر قائمة المراجع العربية

(٣) Church, pp. 315-323; Yever, p. 747

(٤) انظر قائمة مايات وشيوخ البرنو بالملاحق

(٥) Yever, p. 753

عند نجال N'Gale ، وقبض على قائد الجيش البرنوى ، وهو محمد طاير ، ووضعه فى جلد ثور حديث الذبح ، وخاطه عليه وألقى به فى الشمس ، وتقدم بعد ذلك نحو كوكا العاصمة وهزم الشيخ هاشم ، ولم يلبث الشيخ هاشم طويلا بعد هذه الهزيمة ، فقد قتله أحد أبناء أسرته (١) .

وخلفه فى مشيخة برنو الشيخ كيارى Kiari الذى أخذ اسم جده الأكبر محمد الأمين (١٨٩٣) ، وبدأ يحكم من مدينة جومسا Gumsa ، لكن رابح زحف وتعقبه وهزمه وذبحه فى موبر Mobber عام ١٨٩٣ ونهب كوكا.

واتخذ رابح مدينة دكوا Dikwa عاصمة له واستمر يحكم برنو نحو ست سنوات . وكانت برنو فى ذلك الوقت قد عرفت طريقة المهدية المنتشرة فى سودان وادى النيل ، ووقف رابح بالمرصاد لشيوخ برنو ، فعندما قام الشيخ سانداوروما Sanda Wuroma . وأعلن نفسه شيخا فى مدينة أوتارو Utaro ، هزمه رابح وقتله فى نفس العام (١٨٩٣) .

* * *

وفى سنة (١٨٩٤) م قُسِّمت برنو أوّل تقسيم استعمارى بين انجلترا وفرنسا وألمانيا ، وبعثت فرنسا عام ١٨٩٧ بجيش يقوده جنتل Gentil جاء من الكونغو إلى باجرمى ، وفى عام ١٨٩٩ شن جنتيل حربا ضد رابح ، ولكن رابح استطاع أن ينزل الهزيمة بإحدى فرق هذا الجيش ، وكانت قد تقدمت بقيادة بروتنى Bretonnet ، فتقدم جنتيل بنفسه وهزم رابح فى كونو Kunu ، ولكنه اضطر إلى التقهقر إلى حصن أرشمبول : Archambault ،وجاءت إمدادات فرنسية بقيادة جولاند ومينير وفورنو ولامى : Toalland Meynier, Fourneau Lamy ؛ وصلت هذه الامدادات إلى زندر ، وفى ٢٢ فبراير ١٩٠٠م انتصر الفرنسيون على رابح وذبحوه وكان قائد الجيش الفرنسى لامى Lamy ، قد جرح جرحا مميتا فى هذه الموقعة قرب كوسيرى Kusseri(٢) .

---

(١) Memorandum, pp. 7-8 ; The Bornu Sahara, p. 269

(٢) Memorandum, pp. 7-8; Yever, p. 753; The Bornu Sahara, p. 269.

لوحة رقم ٤

الوزير أبانا البرنوى ، وهو من سلالة الحاج بشير
أحد وزراء الشيخ محمد الأمين الكانمي

وبعد مقتل رابح ، أعيد تقسيم أملاك برنو بين انجلتر وفرنسا وألمانيا ، وأخذت فرنسا منطقة كانم وأخذت انجلترا بورنو الأصلية مع إقليم كوكا، وظفرت ألمانيا بالمناطق الجنوبية لبرنو (١) .

وأعلن الفرنسيون الشيخ عمر بن بكر شيخا فى زندر ١٩٠٠ ثم عزلوه فى العام الثانى وعينوا الشيخ بكر جاروبال Garubal فى دكوا ١٩٠١م ، ولكنه هرب إلى كانم ، فأعيد فى ١٩٠٢ وعين شيخا فى برنو البريطانية حتى وفاته فى مدينة مادجورى عام ١٩٢٢ ، وأعاد البريطانيون الشيخ عمر ابن بكر شيخا فى برنو البريطانية وظل يحكم تحت السيادة الاستعمارية البريطانية ، وكان شيخا فى عام ١٩٣٦م .

* * *

وهكذا تلاشت إمبراطورية البرنو التاريخية فى غمرة الاستعمار الأوربى فى مطالع القرن العشرين .

وقامت حركات الكفاح الوطنى ضد المستعمر الأوربى ، وهى الحركات التى بدأت منذ وطئت أقدامه إفريقية ، وظلت تناضل بشتى الوسائل ، حتى كتب لها النصر والتوفيق وظفرت بالاستقلال حديثا .

ومن الدول الافريقية الحديثة التى قامت على أنقاض إمبراطورية البرنو أوضمت أجزاء منها :

١ — جمهورية تشاد التى كانت مستعمرة فرنسية ، ظفرت بالاستقلال فى ١٢ يونية ١٩٦٠ ، وشملت هذه الجمهورية أغلب الأجزاء الشرقية من إمبراطورية برنو ، وتضم إقليم كانم بكامله ؛ وتسودها اللغة الفرنسية بجانب اللغة العربية والمختلطة بلهجات محلية ، والعاصمة فورت لامى ، نسبة للمستعمر الفرنسى لامى الذى كان قد دحر رابح عام ١٩٠٠ وتقع هذه العاصمة جنوب بحيرة تشاد عند مصب نهر شارى . والسكان حتى عام ١٩٦٢ نحو ثلاثة ملايين ، وتقدر مساحة هذه الجمهورية بنحو مساحة فرنسا مرتين ،

---

(١) قداح ص ٨٥ — ٨٦ Yever, p. 753; Memoradum, p. 10

وأغلب سكانها من المسلمين الذين يعيش أغلبهم فى المناطق الشمالية والشرقية ، وفى هذه الجمهورية اطلال جيمى عاصمة برنو الأولى فى كانم .

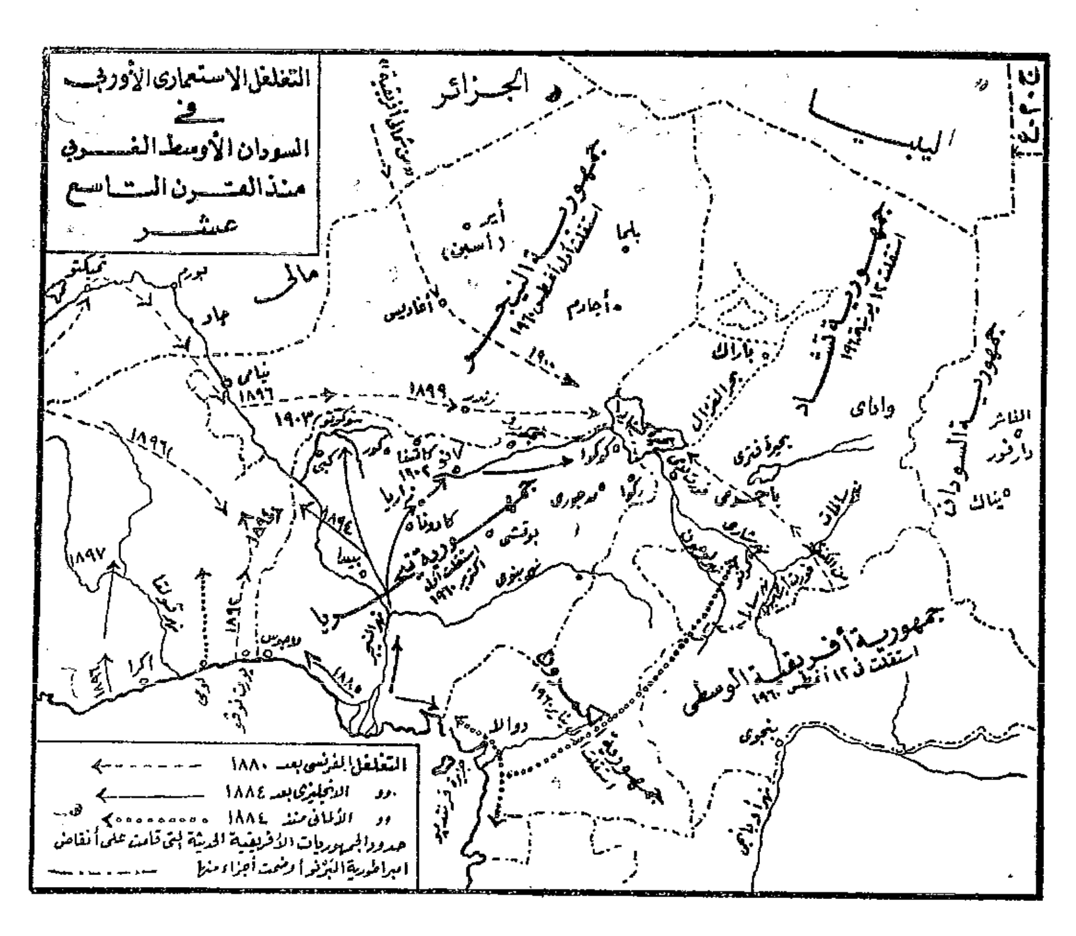
٢ — جمهورية افريقية الوسطى التى استقلت فى ١٢ اغسطس سنة ١٩٦٠ ، وكانت ضمن المستعمرات الفرنسية وتضم هذه الجمهورية الأطراف الجنوبية من إمبراطورية البرنو التاريخية ، وعاصمتها بانجوى Bangui الواقعة على نهر أوبانجى رافد الكنغو الكبير ، وسكانها نحو ٢ مليون ، وتسودها اللغة الفرنسية بجانب لهجات محلية .

٣ — جمهورية النيجر كانت مستعمرة فرنسية ، استقلت فى أول أغسطس سنة ١٩٦٠ وتضم أغلب الأجزاء الشمالية والشمالية الغربية من إمبراطورية البرنو ، وفيها مدينة بلما أو البلماء عاصمة حكومة الصو (العمالقة) الأولى فى كانم ، كما تضم واحة كاوار ، وكذلك تضم من البلاد التى اشتهرت زمن إمبراطورية برنو السابقة مدينة زندر ، وفيها مملكة أهير (أغاديس) صاحبة العلاقات مع مملكة برنو . وسكانها نحو ثلاثة ملايين ، واللغات السائدة ، الفرنسية والعربية بجانب اللهجات المحلية ؛ والعاصمة نيامى الواقعة على نهر النيجر .

٤ — جمهورية نيجيريا ، كانت مستعمرة إنجليزية واستقلت فى أول أكتوبر سنة ١٩٦٠ ، وانضمت إلى مجموعة دول الكومنولث فى أكتوبر سنة ١٩٦٣ ، وتضم هذه الجمهورية إقليم برنو أو برنو الأصلية غربى بحيرة تشاد ، كما تضم جميع بلاد الهوسا ، وتقدر مساحة جمهورية نيجيريا بنحو أربع مرات قدر مساحة المملكة المتحدة ، وسكانها اكثر من ٣٥ مليون أغلبهم من المسلمين وينتشر المسلمون غالبا فى الشمال والشرق ، ويوجد بالإقليم الغربى من نيجيريا نحو ثمانية ملايين من المسلمين ، وأهم عناصر السكان من الهوسا ، ويعيش أكثرهم فى الشمال ، ولغة الهوسا هى اللغة السائدة (Lingua Franca) بجانب اللغة الإنجليزية ، وهى لغة التعليم بعد المرحلة الابتدائية ، وفيها كثير من المدارس العربية الإسلامية التى تعلم باللغة العربية ، وفى نيجريا عدد كبير من الفولانيين ، والكانورى ؛ والعاصمة لاجوس على ساحل خليج غانه ،

وتضم من المدن البرنوية التاريخية المشهورة العاصمة القديمة نجازار جامو وكوكا ودكوا ومدجورى ونجورو وبوتشى ، فضلا عن مدن الهوسا التاريخية .

٥ — جمهورية الكمرون التى كانت ضمن المستعمرات الفرنسية ، استقلت فى أول يناير ١٩٦٠ ، وتضم بعض الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من برنو ، وفى يونيو من عام ١٩٦١ انضمت الأجزاء الشمالية من جمهورية الكمرون إلى اتحاد مع نيجيريا ، واللغة الفرنسية هى السائدة ، بجانب اللغة العربية واللهجات المحلية ، والعاصمة دوالا ، وسكانها نحو أربعة ملايين من بينهم جالية إسلامية كبيرة :



خريطة رقم ٧

التغلغل الاستعماري في إمبراطورية البرنو التاريخية ، وموضح عليها حدود الدول الإفريقية المستقلة حديثا ، وهي الدول التي قامت على أنقاض إمبراطورية البرنو

الفصل الثامن

الأحوال العامة في إمبراطورية البرنو

حكومة البرنو ملكية انتخابية ـ طريقة الانتخاب ـ ألقاب سلاطين برنو : ماى ـ شيخ ـ خليفة ـ أمير المؤمنين ـ الحاج ـ النسبة الى الأم ـ الحكومة الملكية ومجلس « الاكابر الأعلام » أو « أرباب الدولة » ـ وظائفهم واختصاصاتها ـ ثراؤهم ـ اجتماع الماى بهم من وراء حجاب ـ سلطة النساء : الماجيرا والماجرام ـ الماجيرا عائشة أم ادريس ألوما ـ التقسيم الادارى والحكام المحليون ـ الحياة الاقتصادية ـ الزراعة الصناعة ـ تجارة الرق والجلود ـ نظام التعامل ـ القوة الحربية ـ وشهرة فرسان برنو ـ فروسية الشوا (العرب) ـ الأسلحة النارية فى برنو الاسلامية قبل القرن الخامس عشر ـ العناية بالخيول ـ العلاقات الخارجية : الصلات مع مصر ونموها ـ العهد الفاطمى ـ الصيغ الخاصة فى الدواوين المصرية للمكاتبات الصادرة الى برنو ـ علاقات برنو مع آل حفص بتونس ـ مع طرابلس ـ الجيران مالى وصنغى ـ الحياة العلمية ـ سيادة اللغة العربية والعلوم الاسلامية ـ ثراء المكتبة العربية البرنوية ـ منزلة العلماء فى برنو « والمحارم » التى صدرت من المايات بمنحهم الامتيازات وجميع مظاهر التكريم .

●

حكومة برنو ملكية وراثية ، وقد توارث الماغوميون الحكم عن طريق الأم مثل الطوارق المعاصرين وغيرهم من ملوك السودان الغربي والأوسط ، غير أنه بانتشار الإسلام صارت الوراثة عن طريق الأب هي السائدة (١) .

ثم هي ملكية انتخابية ، فينتخب الماى الجديد من بين أبناء الماى المتوفى ، وليس من الضرورى أن يكون أكبر الأبناء ، وقد جرت العادة عند انتخاب الماى الجديد ، أن يأتى أبناء الماى المتوفى ، وبيد كل منهم ورقة مكتوب عليها اسمه ، فتلقى هذه الأوراق فى قرعة يابسة ثم تلتقط ورقة ، وصاحب الاسم الموجود بها ، هو الماى المنتخب ، ويشرف على هذه العملية أعظم ثلاثة من كبار رجال الدولة ؛ أحدهم «كيغامة» ، وحينئذ يتقدم هؤلاء الثلاثة العظام ويقودون الماى المنتخب إلى غرفة مظلمة أو ذات ضوء خافت ، حيث يوجد جثمان الماى المتوفى مسجى ، وأمام هذا الجثمان تؤخذ الأيمان والمواثيق على المـاى الجديد المنتخب (٢) .

غير أن هذا النظام الانتخابى لم يطرد دائما ، فكثيرا ما وقع صراع حول العرش ، وكثيرا ما تدخل كبار الموظفين مثل كيغامة ويريمة ورجال الطبقة الأرستقراطية ، وطردوا الماى القائم واختاروا غيره من أبناء الأسرة ، وليس من الضرورى أن يكون من أبناء الماى السابق ، كما حدث للماى عثمان ابن إدريس (ت ١٤٢٤م) والماى عثمان بن داود (ت ١٤٢٥م) والماى عبد الله بن عمر (ت ١٤٣٦م) وغيرهم (٣) :

---

(١) The Bornu Sahara, P. 6 ; Sud. Mem., I, pp. 6-7 ; Hogben, pp. 35-36

(٢) Barth, p. 271 The Bornu Sahara, P. 128

(٣) راجع الفصل السادس وانظر L. Lug., p. 279

ويلقب ملك برنو بالماى Mai أو « ماغ » Magh أو « مى » Me ، وكلها مترادفات ومعناها « الملك » ولكن اللقب الذى كثر استعماله هو « الماى » وهى كلمة كانورية ومعناها فى لغة الهوسا : صاحب أو مالك ، ويقابلها بنفس المعنى لقب ملك Mek فى سودان وادى النيل(١) .

ظل لقب الماى حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا ، وبعد وفاة آخر سلاطين أو مايات الأسرة السيفية عام ١٨٤٦م ، اقتنع سلاطين برنو الجدد من أسرة الشيخ محمد أمين الكانمى بلقب « شيخ » وهو ما اشتهر به محمد أمين الكانمى مؤسس الأسرة الحاكمة الجديدة فى برنو بعد الأسرة السيفية .

كذلك استخدم مايات برنو لقب « خليفة » ولقب أمير المؤمنين وذلك منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، وكان الملك الحفصى المنتصر (١٢٤٩ — ١٢٧٧ م) فى تونس قد انتحل هذه الألقاب ، مما شجع مايات برنو على اتخاذ هذه الألقاب ، وأول المايات المعروفين الذين اتخذوا هذه الألقاب ، الماى دونمه بن دابالا (ت حوالى ١٢٥٩م) ، وقد سار على ذلك خلفاؤه من بعده ، وحرص مايات برنو على هذه الألقاب فى جميع مراسلاتهم ومع هذه الألقاب ، ما يقترن بها عادة من الألقاب الأخرى ، التى اشتهرت فى الخلافة الإسلامية ، تفاؤلا مثل « المتوكل على الله » « والمستنصر » و « المنصور » وغيرها ، فمثلا جاء فى رسالة الماى عثمان بن إدريس إلى السلطان برقوق فى مصر :

« من المتوكل على الله تعالى » : سيف الإسلام .. المستنصر بالله . . . المنصور (٢) ، وقد ورد لقب خليفة ولقب أمير المؤمنين فى تاريخ بورنو وفيما كتبه الإمام أحمد بن فرتوا ، وفى تاريخ كانو — من دول الهوسا — ومن الألقاب التى اعتز بها مايات برنو لقب « الحاج » وذلك بعد أن يؤدى الواحد منهم فريضة الحج .

---

(١) The Bornu Sahara, pp. 11, 128

(٢) انظر الرسالة بالملاحق



لوحة رقم ٥
« الميْنا » البرنوى أى الأمير البرنوى

ومن المشهور فى دولة البرنو الإسلامية نسبة الماى إلى الأم بسبب سمو منزلة النساء عندهم ، فالمرأة تتمتع بمكانة عالية عند الطوارق البربر ، مثل التيبو أوالتدا ، وعند الصو ، والكانمبو والكانورى : ويكون هؤلاء أغلب سكان برنو ، (١) ومن الأمثلة على ذلك ، الماى دونمه بن دابالا نسبة إلى أمه دابالا ، وكادى بن ماتالا وعثمان بن زينب وداود بن فاطمة وأوم ابن عائشة وغيرهم ، وأحيانا يجمع الماى بين اسمى أبيه وأمه ، مثل على بن دونمه ابن زينب ، وقد ينسب الماى إلى المكان الذى دفن فيه مثل إدريس ألوما ، نسبة الى بحيرة آلو التى دفن بالقرب منها ، هذا مع وجود النسبة إلى الأم كذلك ، فإدريس ألوما هذا اشتهر أيضا باسم إدريس ألوما بن عائشة ، وهكذا .

* * *

وحكومة إمبراطورية البرنو الإسلامية مطلقة مركزية ، ولكنها أقل استبدادا من حكومة صنغى الإسلامية (٢) ويعاون الملك فى إدارة شئون البلاد ، مجلس من كبار رجال الدولة أو من كبار الضباط عرفهم أحمد بن فرتوا باسم « الأكابر الأعلام » أو أرباب الدولة أو « الأمراء » وأعضاؤه عادة من أبناء الأسرة الحاكمة وبعض رجال الحاشية ولذلك كان أقرب إلى المجلس العائلى منه إلى مجلس عام ، ومهمته مناقشة سياسة الدولة والموافقة على قرارات الماى . ولكل عضو من أعضائه سلطات واسعة ، ومدة العضوية طوال الحياة ، وجرى العرف على توريث العضوية فيه ، ومن اعضائه من وصل إلى منصب الماى .

وعدد أعضاء هذا المجلس اثنا عشر ، ولذلك يعرف أيضا باسم « مجلس الإثنى عشر » وهؤلاء الأعضاء يتقاسمون السلطة الرئيسية فى الدولة فيما بينهم (٣) ، من إدارة وحكم ، فضلا عن شئون الدفاع والحرب ، ولكل من هؤلاء الأعضاء لقب ، يتصل باختصاص وظيفته . وهؤلاء الأعضاء هم :

(١) راجع الفصل الأول

(٢) Shinnie, p. 70

(٣) L. Lug., p. 279; Okafor, p. 33; Davidson, p. 102; Barth, p. 647.

١ – كيغامة (١) Keghamma او Kaigama او Kayghamma ، أى سيد الجنوب ، أى أنه يتولى حكم المناطق الجنوبية فى برنو ، ويعتبر كيغامة كذلك القائد العام لجيش برنو .

٢ – يربيه Yérima أو Hirima أى حاكم الأجزاء الشمالية فى إمبراطورية برنو .

٣ – غلديمه Ghaladima حاكم الأقاليم الغربية .

٤ – مسطرامه Mastrema أو Metréma وهو حاكم الأقاليم الشرقية ويشغل فى القصر منصب رئيس الخصيان ، فى قسم الحريم السلطانى ، أى كبير الخدم ، وقد ورد فى المحرم (٢) الذى أصدره الماى دونمه أن من بين الشهود « خادم الملك مسطرامه الحاج نصر »

٥ – فكومه Fuguma وهو والى العاصمة أو محافظ العاصمة ، وله سلطة قضائية مطلقة ، وكما عبر عنها بأن له السلطة الواسعة على الحياة والموت .

٦ – شيروما Chiroma يبدو أنه من أصحاب الحقوق فى وراثة العرش سواء أكان من أبناء الماى أم من إخوته .

٧ – بغاريمه Bagharima ، من كبار الضباط ، وقد طمع بعض حاملى هذا اللقب فى ولاية العرش ، ولاسيما زمن الحروب الأهلية .

٨ – سنتلما Sintelma ، لاتعرف خصائص حامل هذا اللقب ويبدو أنه يتولى بعض الإدارات الحكومية .

٩ – كهاجلمة Kajelma أو Kasalma يتولى حكم بعض الولايات الشرقية فى كانم .

١٠ – كاغوستمه Kaghusti أو Kaghustimma يتولى حكم بعض الولايات الغربية فى كانم .

١١ – أرجنومه Arjinoma يتولى حكم بعض الولايات الشمالية :

---

(١) الصيغ العربية والضبط عن محرم برنوى عربى : بفتح الكاف وسكون الياء وفتح الميم

(٢) Barth, pp. 247-248

١٢ — يروما Yiroma أو Yuroma ضمن رجال الحاشية من خدم القصر ،وهو من كبار الخصيان . وصار منصبه هاماً زمن إدريس ألوما (ت ١٦٠٢) م .

* * *

هؤلاء هم أعضاء المجلس الأعلى الذى يتحكم فى حكومة البرنو ، سواء أكان زمن سيادة كانم أم زمن سيادة برنو ، أى عندما كانت العاصمة جيمى فى إقليم كانم أو بعد انتقالها إلى « بيرنى » فى إقليم برنو .

وتمتع هؤلاء الحكام بنفوذ واسع وثروات طائلة ، فقد كانوا من أصحاب الإقطاعات ، وبازدياد ثروة الإمبراطورية ازداد ثراء هؤلاء الحكام ، وازدادت معها الخصومات والمنافسات الدموية ، مما أدى إلى حروب أهلية كثيرة ، وحاول هؤلاء الاحتفاظ بماظفروا به من امتيازات (١) .

ومع سعة نفوذ هذا المجلس ، مما يحد من إطلاق يد الماى فى السلطة ، إلا أن ذلك يتناسب مع قوة شخصية الماى أو ضعفها ، ولكن الذى درج عليه مايات برنو ، هو ألا يظهروا لأحد ، حتى حين اجتماعهم مع أعضاء هذا المجلس .

فكان الماى يجلس فى مقصورة من وراء ستار ، وتعرف هذه المقصورة عند الكانورى باسم « فنادير » Fanadir أو تاتا توما Tatatuma(٢) .

يقول العمرى والقلقشندى :

« وملكهم — أى ملك كانم — على حقارة سلطانه وسوء بقعة مكانه ، فى غاية لا تدرك من الكبرياء ، يمسح برأسه عنان السماء مع ضعف أجناده وقلة متحصل بلاده ، لا يراه أحد إلا فى يوم العيدين بكرة وعند العصر ، أما فى سائر السنة فلا يكلمه أحد ، ولو كان أميرا ، إلا من وراء حجاب (٣) وجاء وصف العمرى والقلقشندى بالقياس إلى ما يشاهد انه من بلاط السلاطين المماليك المعاصرين وقوتهم »

---

(١) Davidson, p. 103

(٢) Shinnie, p. 71

(٣) مسالك الأبصار ـ ٣ ق ٢ ورقة ٤٩٢ صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨١

وأشار ابن بطوطة ، إلى ماى برنو المعاصر له ، وهو إدريس بن حفصة بقوله :

« ولهم – أى للبرنو – ملك اسمه إدريس لا يظهر للناس ولا يكلمهم إلا من وراء حجاب (١) » .

وبجانب سلطة المجلس الأعلى ، ومشاركته ، أو تحكمه فى السياسة العليا للدولة فضلا عن الإدارة ، هناك سلطة النساء ، وتتمثل فى سلطة الماجيرا و« الماجرام » .

فأما الماجيرا Magera فهى : « الملكة الأم الشرعية » لكن ليس من الضرورى أن تكون الأم الحقيقية للماى القائم ، وسواء حكم ابنها ، إن كان لها أبناء ، أو حكم شخص آخر من أبناء الأسرة الحاكمة ، فإنها تظل محتفظة بلقبها ومنزلتها وسلطتها ، ولها أثر كبير فى سياسة الماى وتوجيهها ، كما أن لها الكلمة النافذة فى شئون الحكم دون مراجعة ، فباستطاعتها أن تغير حكومات الأقاليم ، وأن تولى وتعزل من تشاء من الحكام ، وهى المسئولة فى القصر عن طعام الماى وما يقدم له وما لا يقدم (٢) .

ومن أبرز الأمثلة على سلطة « الماجيرا » وتحكمها ، ما قضت به الماجيرا [فاطمة Fatma أو فاساما Fasama من سجن ابنها الماى بيرى (ت حوالى ١١٧٧ م) ، فقد لاحظت سوء إدارة ابنها ، فى شئون الحكم وخروجه على قواعد الإسلام ، وعند ما أنبأها بأنه أمر بإعدام أحد اللصوص ، غضبت عليه ونهرته وقالت : كيف تقدم على هذا العمل وتعصى أمر الله تعالى الذى يقول بقطع الأيدى للسارق والسارقة ؟ وأصدرت أمرها بوضع ابنها الماى فى السجن ، ونفذ حكمها دون مراجعة ، وظل فى سجنه نحو سنة (٣) .

ثم ان الماجيرا عائشة أم الماى إدريس ألوما (ت ١٦٠٢ م) مارست مهام الحكم الاسمى والفعلى خلال فترة وصيتها على ابنها من ١٥٦٣ إلى

---

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٤١

(٢) Urvoy, p. 27; Yever, p. 748; Bernard, p. 424

(٣) The Bornu Sahara, pp. 91, 166

١٥٧٠ م ، واشتهرت بحسن التدبير والحزم ، وإليها يرجع الفضل فى نجاح ابنها وعظمة برنو فى عهده ، وبمشورتها فى أوائل عهد ابنها ، قامت سفارة من برنو إلى طرابلس ، كان من نتيجتها الحصول على عدد من العساكر المأجورين المسلحين بالبنادق ، وبفضل مشورتها وتوجيهها كذلك ، اتبع إدريس ألوما سياسة المحافظة على العلاقات التجارية مع الدول الخارجية وتنشيط حركة التبادل التجارى ؛ واشتهرت الماجيرا عائشة بلقب « صاحبة الحصان الأبيض الكبير (١) » .

ونظرا لشهرة الماجيرا وأهمية مركزها فى بلاط برنو ، كانت الأغانى والأناشيد توضع للتحدث بعظمتها وأعمالها وصفاتها ، من هذه الأناشيد ، أنشودة وضعت للماجيرا بنت الماى دونمه دباليمى (٢) منها :

« أيتها الماجيرا ، يا أم الملك ، أنت سلاح الوغى » .

« أنت سوط واداى ، أنت النمر الأرقط الرابض المتحفز » .

« أنت الأسد الجائع » .

« أنت ثمينة كالذهب ، أنت أحلى من العسل وأبيض من اللبن » .

« وجهك أشد ضياء من البدر عند التمام » .

« أنت جذوة النار المشتعلة المتأججة فى مدينة جيمى إلخ . » (٣) .

وللماجرام Magram أى الأخت الكبرى الرسمية للماى ، السلطة المطلقة على أبناء الماى ، وهؤلاء يربون عادة فى قصرها منذ ولادتهم حتى يبلغوا سن الرشد ، وبعد ذلك يرسلون إلى نواحى برنو المختلفة للتدرب على شئون الحكم والإدارة ، ولا يسمح لهم بالإقامة فى العاصمة (٤) .

* * *

---

(١) L. Lug. p. 279 ; Barth, p. 650 ; Hogben, p. 40

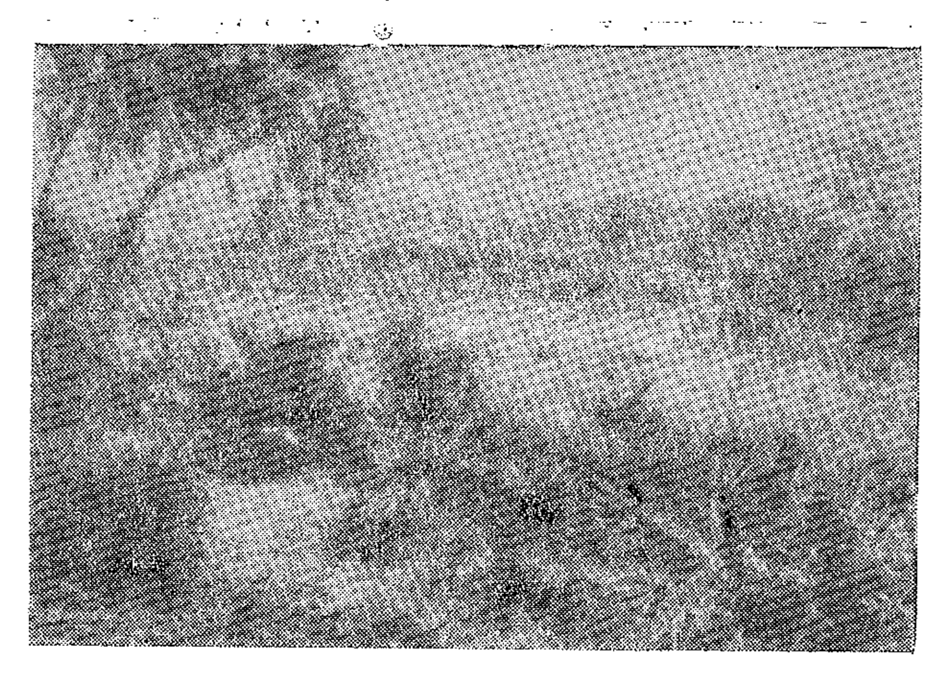
(٢) دونمه دباليمى هو الماى السابع عشر فى سلسلة مايات الأسرة السيفية

(٣) انظر صورة الماجيرا وراجع : The Bornu Sahara, p. 233

(٤) Hegben, p. 39



لوحة رقم ٦
الماجيرا وحولها الحرس المسلح بالبنادق



لوحة رقم ٧
قصر الماجيرا عائشة أم الماى إدريس ألوما

وللماجرام كذلك ، أغان وأناشيد ، للتغنى بصفاتها وعظمتها وأهميتها ، منها أنشودة وضعت لماجرام تسمى عائشة ، وفى مطلعها :

« أيتها الماجرام ! الماجرام عائشة بنت دونمه » .

« أنت مالكة الشرق ! أنت مالكة الغرب » .

« أنت الغيث أيتها الماجرام » .

« أنت الحصاد فى وقت الحصاد أيتها الماجرام » .

إلخ . . . . (١) .

* * *

ومن حيث التقسيم الإدارى ، كانت إمبراطورية البرنو مقسمة إلى اثنى عشر إقليما أو اثنى عشرة مملكة ، كما تسميها المراجع العربية : ويحكمها رؤساء محليون تحت إشراف ممثلى الماى ، وأهم هؤلاء الممثلين أربعة هم : كيغامة وبريمة ومسطرامة وغلديمة ، وهؤلاء من كبار أعضاء مجلس الماى الأعلى ، وأعظمهم كيغامة .

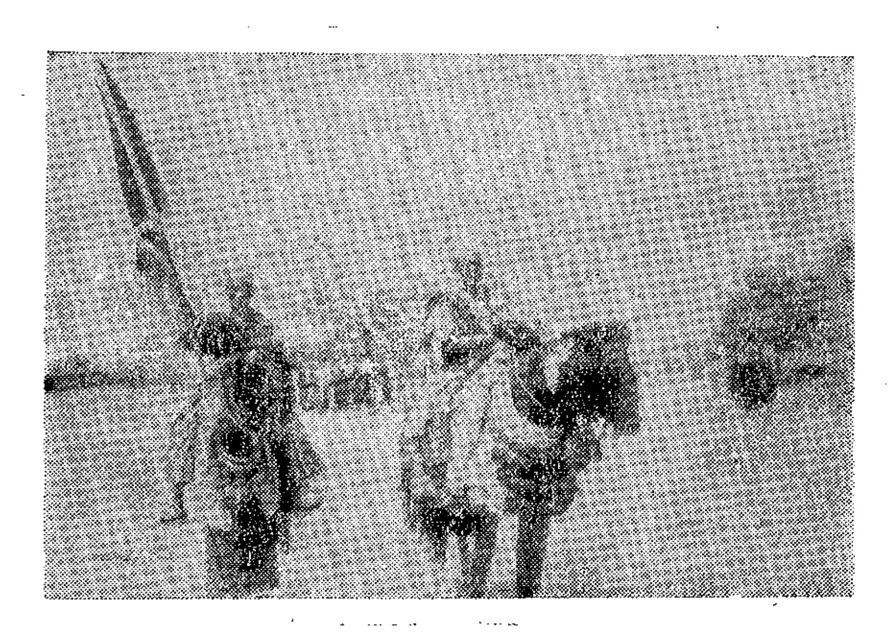
يتولى كيغامة الإشراف على القسم الجنوبى من إمبراطورية برنو وتشمل منطقة نفوذه ، الأقاليم التى تحف بالشواطىء الجنوبية لبحيرة تشاد ، ومن اختصاص وظيفته ، جاء اشتقاق لقبه ، فهو يعنى سيد الجنوب Kaiga-Ma أو Kagha-Ma ؛ نسبة إلى بحيرة تشاد التى تعرف باسم كاجو أو كيجام Gago or Kaigam ، ويعتبر كيغامه أكبر الحكام منزلة ، ويقوم كذلك بمنصب القائد العام لجيش برنو (٢) ، والمدينة الرئيسية التى يقيم فيها هى مدينة شيرامى Chirami ، ومن المدن المشهورة الواقعة فى منطقة نفوذه ، مدينة زارارا Zarara ؛

وكثير ممن ولى عرش برنو ، شغلوا من قبل وظيفة كيغامة ، مثل الماى داود بن فاطمة (ت ١٣٨٦ م) الذى كان قبل ولايته كيغامة زمن الماى الذى سبقه ، كما أن من الكيغامات من كانوا خطرا على سلطة الماى ، فقد

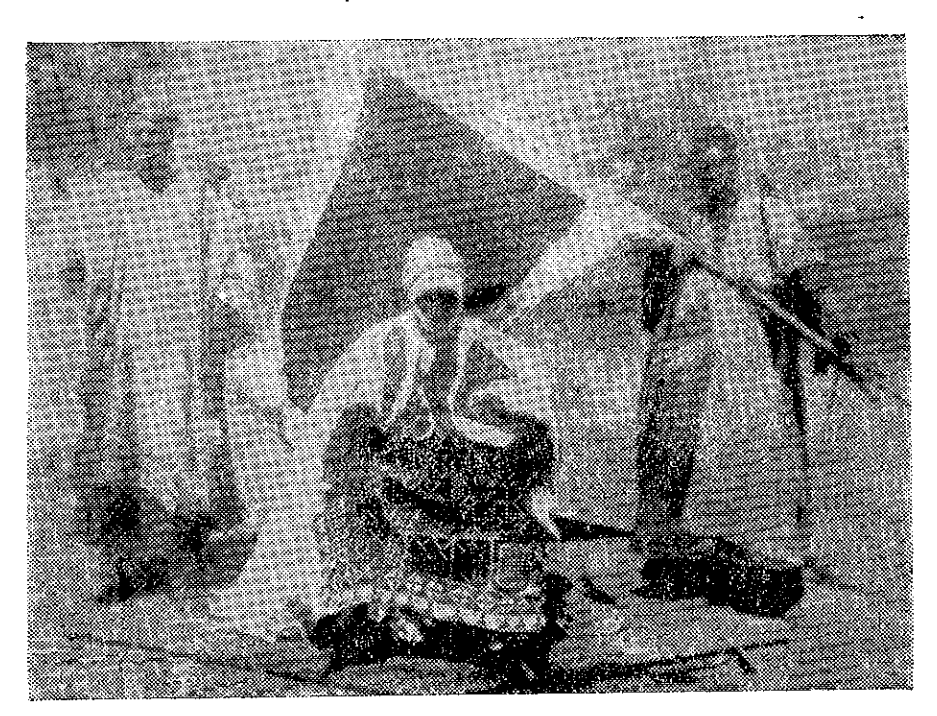
---

(١) The Bornu Sahara, p. 188

(٢) Barth, p. 648 ; The Bornu Sahara, pp. 159, 162



لوحة رقم ٨
كيغامه — سيد الجنوب — والقائد العام لجيش برقو



لوحة رقم ٩
أحد حكام المقاطعات فى برقو

تدخل بعضهم فى السلطة وعزل الماى واستبدل به غيره ، إذ كانت القوة الحربية فى أيدى الكيغامات ، وأمثال هؤلاء كيغامة بنجال الذى تحالف مع يريمه كادى كاكو وعزلا الماى عثمان بن داود (١٤٢٥م) ، وهو الذى تشرد فى بلاد الهوسا ، كما أن كيغامة عبد الله ديجالما ، عزل الماى عبد الله ابن عمر (ت ١٤٣٦) وهكذا .

ونظراً لشدة بأس كيغامة وسمو منصبه ، فقد وضعت أناشيد للتغنى بأعماله وعظمته ، وهناك نشيد يتغنى بأمجاد الكيغامة أنتراشى بن ايما ، ومما جاء فيه :

« أيها الكيغامة أنتراشى ، أنت نجمة الصباح » .

« أنت كبير العبيد ، أنت المركز الذى يتجمع حوله حاملو الحراب ؛ أنت محور الحرب ، أنت الرئيس ، أنت الجذوة المضيئة فى مجلس السلطان » .

« أنت صاحب المناصب السلطانية الرئيسية ، أنت دون السلطان » لكنك أعظم من جميع من عداه من الأثرياء » .

« إذا أشعل العبد الرئيسى حربا ، فليس ذلك عبثا ، وإذا لم يشغل فى حرب ، فليس فراغه عديم الجدوى »

« ياكبير العبيد . إذا دعوتك عبدا ، فلا أعنى سوى أنك مولى السلطان .

« أنت والسلطان لا تأكلان من قرعة واحدة ، لكنك لا تأكل مما يترك السلطان » .

« أنت شمس العظمة ، ومعقد القوة . . (١) »

* * *

وأما يريمه ، فهو حاكم القسم الشمالى من إمبراطورية برنو ، اشتقاقا من كلمة ييرى Yeri بمعنى الشمال ، ومن ثم كان لقبه « سيد الشمال » وتشمل منطقة نفوذه الأقاليم الواقعة بين العاصمة بيرنى وبين إقليم مونيو Muniyo ومنطقة الشمال هذه تنسب إليها أغنام برنو المشهورة بكثافة أصوافها Dimi Yeriram ؛ ومركز يريمه فى مدينة مير Mir (٢) .

---

(١) The Bornu Sahara, p. 162 (٢) Barth, p. 648

وهناك أنشودة باللغة الكانورية ، تتغنى بأعمال يريمه وعظمته ، كما هو الشأن بالنسبة لكيغامه منها :

« أيها العظيم ، إذا كنت رشيدا فستصبح سلطانا .

« وإذا ند عنك الرشد ، فلن تحرم من السلطة .

« أيها المحارب العظيم القوى ، ياحاكم مدينة مير الثرى (١) الخ » .

ويتولى مسطرامه Màstur-Ma ، وهو رئيس الخصيان ، شئون قسم الحريم بالقصر السلطانى ، وعادة يكون من المقربين إلى الماى ، وكلمة مسطرامه مشتقة من الكلمة الزغاوية مسطر Mastur ، ومعناها رئيس أو حاكم أو سيد مدينة ماسيو Masiu الواقعة شرق كانم ، ويقابل هذا المصطلح فى مروى «ما شتركى Mashter-Qe ، ومعنى المقطع الأخير ، فى لغة مروى ، نبيل أو شريف . (٢)

وأما غلديمة ، فهو حاكم القسم الغربى من برنو ، ويشمل هذا القسم جميع المناطق الواقعة إلى الغرب من مدينة نجارو NGaru ؛ ولقب هذا الحاكم مشتق من كلمة غرب وهى غالدى Ghaldi .

والغلديمة كذلك ، أناشيد تتغنى بأعماله ، وهناك أغنية أنشدت لغلديمة يدعى دونمه منها :

« أيها الغلديمه دونمه يا سيد مدينة نجورو N'Guru

لقد حولت الوثنيين فى جارمنجال Garmangal إلى الإسلام .

لقد أحرقت مدينة جاراما جلجا Garmagagla وأسرت سكانها ، وأعطاك الله جميع رغباتك .. الخ (٣) »

* * *

وأما الحكام الإداريون المحليون فمنهم الأحرار ومنهم العبيد ، وليس لهم رواتب ، ولكن يمنحون إقطاعات من الأراضى ، وقد مكنهم هذا الوضع

(١ ، ٢) Ibid., p. 648

(٣) Ibid., p. 648

من جمع الثروات الطائلة من مناطق نفوذهم ، وعليهم أن يؤدوا جزية وهدايا فى كل سنة ، والقاعدة العامة فى برنو ، أن جميع القبائل والجماعات التى خضعت لسلطان برنو ، احتفظت بزعمائها المحليين تحت إشراف ممثلى الماى البرنوى . (١)

والموظف المسئول عن الشئون الخارجية هو الوزير ، ولقبه دجما أو دوجما Digma-Dugma (٢)

* * *

وعن الحياة الاقتصادية فى إمبراطورية البرنو ، أورد القلقشندى بعضاً من المحاصيل التى تنتجها بلاد برنو ، فقال :

« وبلادهم — أى بلاد الكانم — قحط وشظف وسوء مزاج مستول عليها وغالب عيشهم الأرز والقمح والذرة — وببلادهم التين والليمون واللفت والباذنجان والرطب ويقال إن الأرز ينبت عندهم من غير بذر (٣) ومن المحاصيل كذلك : القطن وفى جنوب برنو ، حيث يكون المناخ أكثر رطوبة ، ينمو شجر النخيل (٤) » وبصدد حديث القلقشندى عن مدينة كاكا ، وهى العاصمة التى انتقل إليها مايات برنو بعد طردهم من جيمى فى كانم ، ذكر أن بمدينة كاكا ، الرمان والخوخ وقصب السكر (٥) .

والمحقق أن الكثير من المنتجات الزراعية من الحبوب والخضر ، بل وبعض الحيوانات التى عرفت فى بلاد السودان الأوسط والغربى عامة ، قد وفدت أصلا من مصر منذ الأزمنة القديمة ، وذلك نتيجة للعلاقات والصلات المستمرة ، ومن هذه الحبوب والحيوانات الثور والغنم والماعز والحمار النوبى المستأنس والدجاج المستأنس . (٦)

---

(١) Yever, p. 761

(٢) Ibid

(٣) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٠ ، مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩١

(٤) Memorandum, p. 15

(٥) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٧٩ ، ٢٨١

(٦) Johnston, pp. 19-20

على أن سيطرة برنو على الطرق التجارية المارة ببلادها ، قد أفادها فائدة كبرى من حركة التجارة العالمية ، وبالرغم من خلو بلادها من مناجم الذهب لاستغلالها أو السيطرة عليها ، كما فعلت غانه ومالى وصنغى، إلا أن برنو استطاعت أن تبسط سيادتها على طرق القوافل التى تؤدى إلى الشمال والشمال الشرقى وإلى وادى النيل . (١)

ومن السلع الهامة التى صدرتها برنو الرقيق ، وكانت تستبدل به الخيول والمصنوعات المصرية والأوربية : غير أن تجارة الرقيق لم تدر على برنو الثراء بالدرجة التى ظفرت بها دول السودان الغربى من تجارة الذهب ، وكان الكانورى أغلب سكان برنو ، يحصلون على الرقيق إما عن طريق الأسر فى الحروب التى لم تنقطع وإما بالإغارة على المناطق الوثنية فيما حولها ولا سيما من ناحية الجنوب . (٢)

وهناك المنتجات الافريقية الأخرى التى صدرتها برنو ، وأهمها الجلود وريش النعام والعاج ، (٣) كذلك اشتهرت برنو بالمنسوجات المُجَسَّدة — أى المصبوغة بالجسد وهو الزعفران — كانت تصدرها إلى البلاد الافريقية المجاورة بجانب الرقيق ، يقول ابن بطوطة ، بصدد حديثه عن مناجم النحاس فى مدينة تكده التى تستغلها إمبراطورية مالى الإسلامية فى السودان الغربى ، ان النحاس كان يصدر إلى زغاوى وإلى بلاد البرنو ، وهى على مسيرة ٤٠ يوما من تكدا ؛ ومن هذه البلاد أى بلاد البرنو ، يؤتى بالجوارى الحسان والفتيان وبالثياب المجسَّدة . (٤)

ولشهرة برنو بهذه الثياب ، أو بالمنسوجات عامة ، كانت الثياب تستخدم كعملة ، واشتهرت هذه الثياب فيها باسم «دندى» ؛ وتعامل البرنويون كذلك بالودع والخرز والنحاس المكسور والورق .

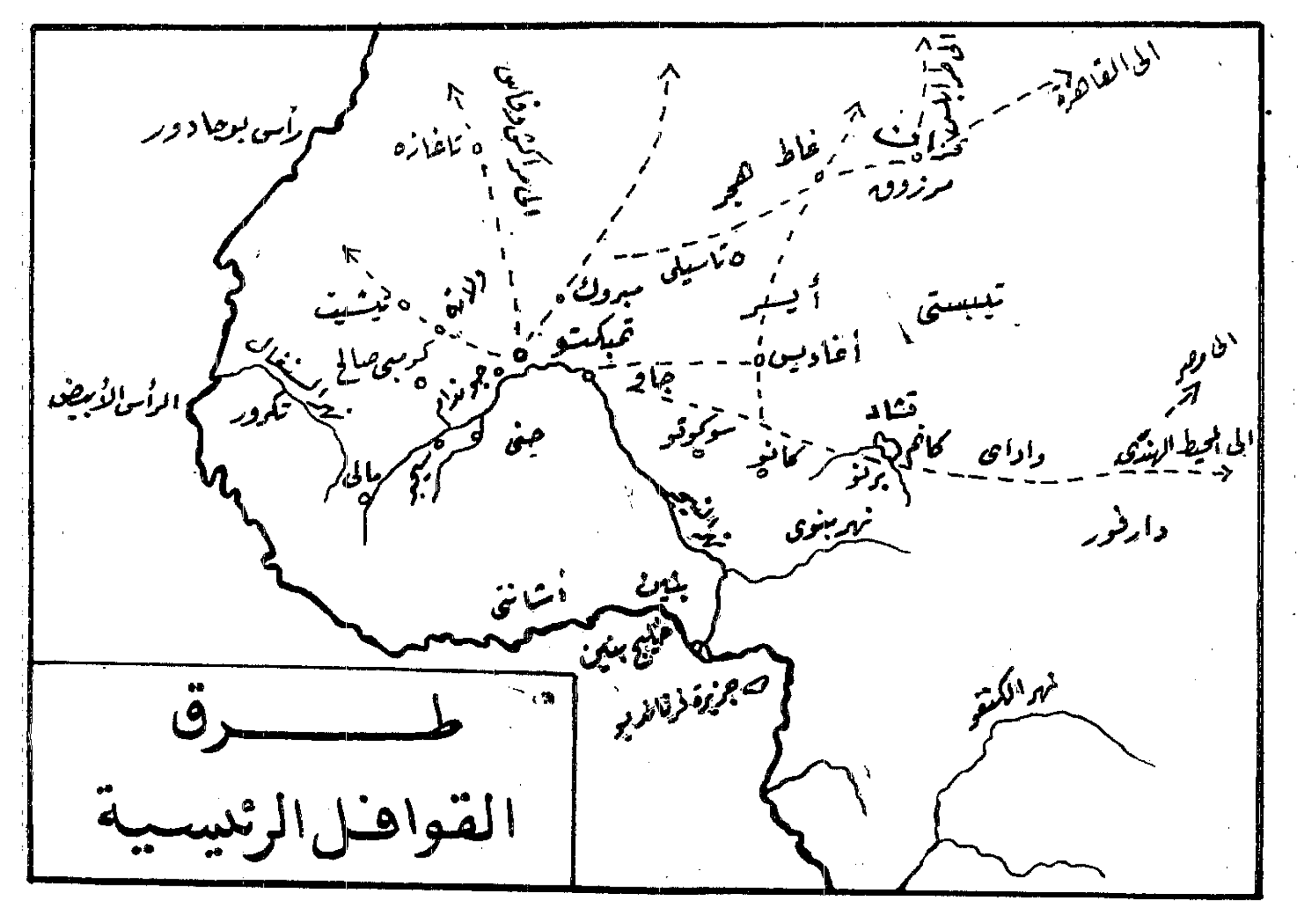
---

(١) Davidson, p. 102

(٢) Shinnie, pp. 70-73

(٣) Yever, p. 749

(٤) ابن بطوطة : تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٤١ — ٤٤٢ ، دولة مالى الإسلامية للمؤلف ص ٣٨١-٣٩١



خريطة رقم ٨
طرق القوافل الرئيسية

يقول القلقشندى :

« ومعاملتهم بقماش ينسج عندهم يسمى « دندى » ، طول كل ثوب عشرة أذرع فأكثر ، ويتعاملون أيضا بالودع والخرز والنحاس المكسور والورق ، لكنه جميعه يسعر بذلك القماش (١) » .

وهناك صناعات أخرى اشتهرت بها برنو ، وهى صناعة الأسلحة من الحديد ، ويقال إن التيبو أو التدا الذين يكونون جزءا كبيرا من سكان برنو ، هم الذين أدخلوا هذه الصناعة ، والراجح أن صناعة الحديد التى وصلت إلى بلاد السودان الأوسط والغربى اشتقت أصلا من مصر ، كما اشتقت منها كذلك طريقة بناء القوارب . (٢)

يصف محمد بللو برنو وحالتها العامة فى « كتابه إنفاق الميسور » بأنها مليئة بالأشجار ومياهها وافرة وأرضها واسعة ، وأنها آهلة بالسكان ، وأنه قبل عصر الجهاد الفولانى (القرن / ١٩) لم تكن هناك أرض فى بلاد الفولانيين تفوق برنو فى الرفاهية . (٣)

* * *

ومن حيث القوة الحربية ، اشتهرت برنو بقوة الفرسان وحسن التسليح والتدريب ، حتى كان الفارس البرنوى مضرب الأمثال ، واشتهر الشوا ، وهم العرب فى برنو ، بصفة خاصة ، بالفروسية فى جيش برنو ، كما اشتهر هؤلاء العرب بصناعة الحديد والجلود ، ولهم أثر بارز فى قوة برنو . (٤)

كان جيش برنو الإسلامية : قبل القرن السادس عشر الميلادى ، أكثر تطورا وتقدما من معظم الجيوش الأوربية المعاصرة ، وكان سلاحه الغالب هو البنادق وهذا تطور كبير فى السلاح فى تلك البقعة من

---

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨

(٢) Johnston, pp. 15-20

(٣) The Bornu Sahara, p. 270

(٤) Baumann, pp. 306-309 ; Temple, pp. 22-25

القارة الافريقية إذا قورن بسلاح انجلترا المعاصرة فى ذلك الوقت ، فقد كانت مصانع الأسلحة زمن الملكة اليزابيث (وليت العرش عام ١٥٥٧ م) لاتنتج من الأسلحة الرئيسية سوى الأقواس والنشاب ، وأنه حين التحم الانجليز بالأسبان عند سواحل أمريكا عام ١٥٧٢ خلال الصراع الاستعمارى الذى أعقب الكشف الجغرافى ، كان البحارة الإنجليز يتسلحون بالأقواس والنشاب فقط على حين كان الأسبان يتسلحون بالبنادق . (١)

لقد تسلحت برنو بالبنادق قبل القرن الخامس عشر حسبما جاء فى تاريخ كانو ، فيذكر عن الماى عثمان بن داود ، (١٤٢٥ م) أنه حين شرد فى بلاد الهوسا ، كان يحيط به طائفة من الحرس القوى المسلح بالبنادق مما أفزع أميركانو ، (٢) وحرص مايات برنو على التزود دائماً بالأسلحة النارية ، واستعانوا بالعثمانيين فى شمالى إفريقية فى القرن السادس عشر ، ومن أخبار عهد الماى إدريس ألوما الذى ولى العرش عام ١٥٧٠ ، أنه أرسل بعثة إلى طرابلس بارشاد أمه الماجيرا عائشة فى أوائل عهده ، ظفر بفضلها بعدد من الجنود العثمانيين من حملة البنادق ، وهؤلاء أدوا خدمات للماى إدريس ألوما خلال حروبه التى خاضها . (٣)

وبفضل هذا التسليح الجديد فى السودان الأوسط ، استطاعت برنو أن تبقى مدة طويلة بالمقارنة مع غيرها من الدول الإسلامية الإفريقية التى قامت بجوارها بالسودان الغربى ، (٤) فلو كانت إمبراطورية صنغى الإسلامية مثلا ، وهى التى عاصرت برنو مدة طويلة ، على علاقة ودية مع برنو ، واستفادت منها حربيا ، وهى تملك هذا السلاح المتفوق ، لكان من المحتمل أن تقاوم غزو المغاربة الذى أسقط امبراطورية صنغى أواخر القرن السادس عشر الميلادى(٥)

---

(١) Shinnie, p. 73 ; L. Lug., pp. 278-279

(٢) Shinnie, pp. 72-73

(٣) L. Lug., p. 279

(٤) Yever, p. 751

(٥) امبراطورية صنغى الإسلامية للمؤلف (تحت الطبع)



لوحة رقم ١٠

الفارس البرنوى – صورة الماى سليمان أمير بيدا

وهو أحـــــد الأمراء البرنويين المتأخرين

والسلاح الناري هو نفسه الذي مكن برنو من صد غزو المغاربة لبلاد السودان الأوسط . (١)

اهتم مايات برنو بالخيول ، واستوردوا الجيد منها من شمالى افريقية ، وعنوا عناية كبرى بهذه الخيول العربية ، حتى صار فرسانهم موضع فزع ورعب للجيران ، ولذا كانت قوة الفرسان هى القوة الرئيسية ، وذاعت شهرتها فى جميع المساحات الشاسعة بين النيل والنيجر . (٢) ومن دلائل اهتمام مايات برنو بخيولهم ، ماذكرته تآريخ برنو من المبالغات فى عدد خيول المايات ، كأن يقول ديوان سلاطين برنو ، إن خيول الماى دونمه (ت حوالى ١١٥٠ م) بلغت نحو ١٠٠ ألف ، وأن عساكره بلغوا نحو ١٢٠ ألفا ، بخلاف المرتزقة ، أو أن الملك دونمه دابالا (ت حوالى ١٢٥٩ م) كان يملك نحو ٤١ ألف رأس من الخيل ، وأن الماى دونمه بن عمر (ت حوالى ١٤٢٧ م) كان ينظر إلى خيوله كما ينظر لأمه ، وهكذا . (٣)

ويلبس فرسان برنو القمصان المزردة ، والخوذ الحديدية ، كما كانوا يتلثمون ، عن العمرى والقاقشندى : إن « عساكرهم يتلثمون » (٤) ، كذلك كانت خيولهم تلبس الدروع وتغطيها أغطية سميكة من اللباد . (٥)

والقائد العام لجيش برنو ، بعد السلطان ، هو كيغامة (٦)

وأما عن العلاقات الخارجية لإمبراطورية البرْنو ، فالمعروف أنه منذ اعتنق ملوكها الإسلام خلال عصر سيادة كانم ، قفزت برنو إلى مصاف الدول السودانية العظيمة ، ودخلت فى علاقات مباشرة قوية مع مصر

---

(١) L. Lug., p. 281
(٢) Shinnie, p. 70
(٣) The Bornu Sahara, pp. 91-92, 163, 179, 219
(٤) صبح الأعشى ﺟ ٥ ص ٢٨١ ، مسالك الأبصار ﺟ ، ق ٣ ورقة ٤٩٢
(٥) انظر صورة الفارس البرنوى وراجع : Shinnie, pp. 72-73
(٦) راجع ماسبق عن كيغامة ص ١٥٥

وبلاد شمالى افريقية ، وكانت هذه العلاقات أكثر ازدهارا واستمرارا منها مع جيرانها الأقربين بالسودان الغربى قبل القرن الحادى عشر الميلادى (١).

وكانت العلاقة مع مصر أكثر من غيرها من الدول الإسلامية ، نظرا لوقوع مصر فى طريق الحج ، واشتهار حكوماتها فى مختلف العصور بتسهيل وتيسير أداء هذه الفريضة ، وذلك فضلا عن التبادل التجارى والثقافى المستمر منذ أقدم العصور.

ازدادت هذه العلاقات ونمت منذ بداية العهد الفاطمى فى مصر ، أى منذ منتصف القرن العاشر الميلادى ، ويلاحظ أن الجنود السودان فى مصر الفاطمية كانوا موضع رعاية الخلفاء الفاطميين ، ولا سيما زمن المستنصر الفاطمى (١٠٣٥ – ١٠٩٤ م) ، فإن أمه كانت سودانية واشتهرت بالعطف على أبناء جنسها ، لمقابلة قوة الأتراك والمغاربة ، وكان هؤلاء السودانيون من أجناس مختلفة من بلاد السودان عامة ، ويقال : إن أسلاف دونمة بن دابالا (ت حوالى ١٢٥٩ م) كانوا خاضعين لنفوذ الخلفاء الفاطميين فى مصر ، كما يدل على ذلك الكثير من العبارات الواردة فى تاريخ برنو ، وهذا بالإضافة إلى أن مصر هى محل دفن الماى أوم بن جيل (ت حوالى ١٠٩٧) ، والماى أوم بن جيل رأس سلسلة من المايات العظام ، وله شهرة فى تاريخ برنو ، كما أنه أول المايات المحقق تاريخهم .

ومن دلائل قوة الاتصال بين برنو ومصر ، أن الماى دونمة بن أوم (١٠٩٨– ١١٥١ م) ترك فى مصر خلال رحلتى حجه الأولى والثانية ٦٠٠ عبد ، كما تقول تاريخ برنو ، وأنه عندما كان فى رحلته الثالثة ، ربما تدخل فى بعض الشئون الداخلية فى ذلك الوقت لمناصرة حزب على حزب خلال فترة الصراع على منصب الوزارة زمن الخليفة الظافر الفاطمى (١١٤٩ – ١١٥٤ م) ، فكان ذلك ، كما تقول تاريخ برنو ، سببا فى إغراقه عند عيذاب خشية بطشه . (٢) وفى زمن دونمة بن دابالا (ت

(١) L. Lug., pp. 269-270

(٢) The Bornu Sahara, pp. 19, 164

حوالى ١٢٥٩ م) بنيت مدرسة ابن رشيق بالفسطاط لتدريس الفقه على المذهب المالكى ، ولكى ينزل بها حجاج برنو (١) ، وكان بالأزهر رواق «البرنوية» ينزل به طلاب العلم من الكانورى والهوسا (٢) .

ولما كانت مصر كبرى الدول الإسلامية المعاصرة ، ومركز الخلافة الإسلامية ، وموطن الأزهر الشريف ، فإن العلاقات بينها وبين برنو وغيرها من الدول الإسلامية بالسودان الأوسط والغربى ، كانت مستمرة وقوية ومتنوعة ، وكان مايات برنو ينظرون إلى مصر بأنها « أم الدنيا » ، كما ورد فى رسالة الماى عثمان بن إدريس إلى برقوق سلطان المماليك فى مصر عام ٧٩٤ هـ — ١٣٩٢ م ، كما أنه نظرا لمكانة مصر هذه من العالم الإسلامى المعاصر ، لم يجد ماى برنو ، سوى صاحب الأمر فيها وفى غيرها من البلاد الداخلة فى نطاق نفوذه ، أن يتوجه إليه فى شكايته من العرب المقيمين ببلاد برنو .

ومما جاء فى هذه الرسالة : « إلى ملك المصر الجليل أرض الله المباركة أم الدنيا » (٣)

كذلك من دلائل قوة العلاقات المصرية البرنوية ، وجود صيغ خاصة فى الدواوين المصرية خاصة بالمكاتبات الرسمية التى توجه إلى ملك البرنو ، جسواء كانت العاصمة فى جيمى بإقليم كانم أم فى إقليم برنو .

تفتتح المكاتبة الصادرة عن الدواوين المصرية إلى ماى برنو ، عادة بعبارات تمجيد منسوبة إلى الإسلام وإلى قوة الرابطة بين ملوك مصر وملوك البرنو ، ومثال ذلك : « أدام الله نصر الجناب الكريم العالى الملك الجليل الكبير العادل الغازى المجاهد الهمام الأوحد المظفر المنصور عز الإسلام ، شرف ملوك الأنام . . ظهير الإمامة عضد أمير المؤمنين ، الملك . . »(٤)

---

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨١ ، مسالك الأبصار ج٢ ق ٣ ورقة ٤٩٢ ، راجع ماسبق

(٢) Trim., p. 85

(٣) راجع رسالة عثمان بن إدريس إلى برقوق بالملاحق

(٤) انظر التعريف ص ٢٨ — ٢٩ ، وراجع الملاحق

ومن المعروف المقرر فى الدواوين المصرية : أن المكاتبات لصاحب الكانم أو البرنو ، تكون فى ورق من حجم معين ؛ وصفته المراجع المعاصرة ، بأنه ورق « من قطع الثلث » أى أن عرض الورقة التى تكتب فيها المكاتبة يبلغ ثلث ذراع أو ثلث طومار أوثلث صحيفة (١)

وجرت العادة فى الدواوين المصرية أن يكتب فى مثل هذا الحجم من الورق إلى الملوك من المرتبة الثانية ،(٢) وهو نفس الحجم الذى يكتب فيه فى مصر المملوكية ، «مناشير » إقطاعات أمراء العشرات (٣) إطلاقا بمصر وسائر الممالك التابعة لها ، ولبعض أمراء الطبلخاناه(٤)من التركمان والأكراد .(٥) كذلك جرت العادة أن يكون توقيع السلطان المملوكى فى رسائله ومكاتباته لصاحب البرنو ، مسبوقا بالعلامة السلطانة وهى « أخوه » (٦) .

يصف القلقشندى الكتب الواردة عن صاحب البرنو وطريقة الكتابة فيقول :

« إنها تكتب فى ورق مربع بخط المغاربة ، فإن فضل من المكاتبة شىء، كتب بظاهرها ، وتفتتح المكاتبة بخطبة مفتتحة بالحمد له ؛ ثم يتخلص إلى المقصد ببعديه ، ويأتى على المقصد إلى آخره . » (٧)

وكما كانت علاقة برنو وثيقة ومستمرة مع مصر ، كذلك كانت مع شمالى افريقية ، وهى أيضا علاقات تجارية وثقافية ، قائمة منذ أقدم

---

(١) الطومار والجمع طوامير بمعنى صحيفة ، وعرض الطومار الكامل ذراع ، ويعبر عن الطومار كذلك باسم الفرخة (مسالك الأبصار جـ ٢ ورقة ٣٩٢ - ٣٩٣ ، صبح الأعشى جـ٢ ص ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٨)

(٢) صبح الأعشى جـ ٨ ص ٢٠

(٣) أمير عشرة رتبة فى الجيش الملوكى ، يحوز صاحبها إقطاعا من الدولة المملوكية ، يكفى لأن يقيم عشرة مماليك ويسلحهم ويشترك بهم مع السلطان فى حروبه (راجع : إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ص ١٦١ - ١٦٢)

(٤) أمير طبلخاناه ، رتبة فى الجيش المملوكى ، يحوز صاحبها إقطاعا من الدولة المملوكية ، يكفى لأن يقيم ٤٠ مملوكا ، وعرف باسم طبلخاناه ، لأن رتبة هذ الامير فى الجيش المملوكى أول رتبة يصبح من حق صاحبها أن يدق بالطبل على بابه كل مساء ، تكريما وتشريفا (النظم الاقطاعية للمؤلف ص ١٦٠ - ١٦١)

(٥) صبح الأعشى جـ ٦ ص ١٩١ - ١٩٥ ، جـ ١٣ ص ١٦٠

(٦) صبح الأعشى جـ٨ ص ٨ (٧) صبح الأعشى جـ٨ ص ١١٦

العصور ، بل هناك علاقات عنصرية ، فإن الكثير من سكان الشمال الإفريقى قد هاجر إلى بلاد السودان الأوسط والغربى ، واختلط مع السكان الأصليين ، حتى إن الأسرة الحاكمة فى برنو ، ترجع فى أصولها الى الطوارق من البربر .

ازدادت العلاقات مع ازدياد انتشار الإسلام فى بلاد غربى افريقية ؛ ولقد كان بنوحفص بتونس على علاقة ودية مع ملوك برنو ، وحدث أن ساعد بنوحفص بعض مايات برنو فى حروبهم الداخلية ، فمثلا ظفر الماى دونمه ابن دابالا بمساعدة السلطان الحفصى أبى عبد الله المنتصر (١٢٤٩–١٢٧٧م) ، وأرسل هذا الماى سفارة وهدية إلى السلطان الحفصى ، وصلت عن طريق طرابلس عام ١٢٥٧ ، وكان من بين هدايا برنو زرافة ، كما أن مايات برنو انتهجوا سبيل آل حفص ، عند ما انتحلوا ألقاب الخلافة ، وذلك منذ عهد دونمه هذا وأبى عبد الله المنتصر الحفصى . (١)

وظل تبادل السفارات بين بلاطى برنو وتونس بعد ذلك ، منها سفارة الماى عبد الله بن كادى (ت ١٣٤٢ م) إلى السلطان الحفصى أبى يحيى المتوكل (ت ١٣٤٦ م) ، وتاريخ هذه السفارة عام ١٣٢٧م (٢) .

كذلك تبودلت السفارات وعلاقات الود مع طرابلس ، فتوجه إليها أكثر من سفارة ، منها سفارة عام ١٥٠٢ م ، بعث بها الماى إدريس بن على (ت ١٥٢٦ م) (٣) ، وسفارة بعث بها ابن هذا الماى فى عام ١٥٣٤) (٤) وأخرى زمن إدريس ألوما (ت ١٦٠٣ م) بفضل مشورة أمه الماجيرا عائشة . (٥) .

وفى زمن ادريس ألوما هذا ، ازدهرت العلاقات التجارية بين برنو وشمالى افريقية ، وكثر الطلب على الخيول العربية من شمالى افريقية ،

---

(١) L. Lug., p. 270 ; The Bornu Sahara, pp. 184-186

(٢) Burns, p. 50

(٣) Barth, pp. 645-646

(٤) L. Lug. p. 278; Hogben, p. 39; Barth, p. 646

(٥) Hogben, p. 40; The Bornu Sahara, p. 244

ووردت سفارة إلى ادريس ألوما ، يحتمل أنها من قبل مراد الثالث العثمانى (١٥٧١ – ١٥٩٥ م) ، فقد كان العثمانيون يسيطرون فى ذلك الوقت على شمالى افريقية ، وهدف هذه السفارة الحصول على الرقيق والخصيان من برنو. (١)

أما العلاقة مع الجيران فى بلاد السودان الغربى ، فكانت دون العلاقة مع الشرق والشمال الشرقى والشمال ، لكنها لم تنعدم ، فمثلا كانت برنو تستورد النحاس من مالى ، وكانت علاقتها مع صنغى الإسلامية عدائية فى كثير من الأحيان ، بسبب الصراع فيما بينهما حول بسط النفوذ على بلاد الهوسا الواقعة بين أملاك برنو وأملاك صنغى. (٢)

* * *

أما عن الأحوال العلمية فى إمبراطورية برنو الإسلامية ، فالمعروف أن اللغة العربية كانت لغة التعليم ولغة الحكومة الرسمية فضلا عن كونها لغة المعاملات التجارية ، ثم إن اللغة العربية كانت لغة المراسلات الدولية ليس فقط عند إمبراطورية برنو ولكن عند جميع الدول الإسلامية التى قامت بالسودان الأوسط والغربى ، وظل هذا الأمر قائما ، حتى عصر الاستعمار الذى قضى على اللغة العربية ، ولم يعد لها وجود إلا فى المدارس الدينية الإسلامية ، التى ظلت تعلم القرآن واللغة العربية ، والعلوم الإسلامية . (٣)

ولقد بلغ الأسلوب العربى درجة كبيرة من التقدم ، كما يبدو فى المؤلفات العربية التى صدرت عن العلماء الوطنيين الافريقيين فى تلك البلاد ؛ ومن الرسائل التى تبودلت بينهم وبين جيرانهم وكذلك بينهم وبين البلاد ، العربية الإسلامية .

فمثلا ، يتضح فى رسالة الماى عثمان بن إدريس الى السلطان برقوق مدى مابلغه الأسلوب العربى فى تلك البلاد من تقدم ، وهذه الرسالة

---

(١) Bovill, p. 243

(٢) راجع ماسبق

(٣) الإسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ٣١ وما يليها

مليئة بالشواهد من القرآن الكريم والحكم (١) ، وهناك «المحارم» العربية التي أصدرها المايات ، (٢) كذلك هناك الشعر العربي الذي لا تزال أصوله المخطوطة قائمة إلى اليوم ، وقد ترجم بالمر بعض الأبيات من قصائد ترجع إلى عهد الماى أحمد بن على (١٧٩٩) (٣)

لكن ليس معنى هذا أن جميع البلاد الإسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي تتفق في الجودة من حيث الأسلوب العربي ، فهناك أساليب ركيكة ، والواقع أن الأسلوب العربي ، لم يضعف إلا في عصر الاستعمار ، ولعل من أكبر الأدلة على ذلك ، أسلوب الكتاب الذي بعث به سلطان أهير (أغاديس) إلى أمير دروى ، من دول الهوسا ، يوصي فيه بالرحالة بارث Barth المسمى في هذه الرسالة باسم «عبد الكريم» ، وتاريخ هذه الرسالة عام ١٨٥٠ م (٤) .

وأساس التعليم هو القرآن والعلوم الدينية ، وتراث برنو الثقافي كله باللغة العربية .

ظهر عدد كبير من العلماء في برنو ، منهم محمد بن مانى الذي كان له فضل كبير في الدعوة إلى الإسلام ونشر التعاليم الدينية ، وقد نهض بتعليم عدد من المايات القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية في القرن الحادي عشر الميلادي ، (٥) ومحمد بن مانى هو الجد البعيد للإمام أحمد بن فرتوا مؤرخ بلاط برنو في القرن السادس عشر الميلادي .

ومن العلماء الذين اشتهروا في برنو ، إسحاق إبراهيم الكانمي الأديب الشاعر (٦) ، كذلك الإمام أحمد بن فرتوا الذي كان يعاصر الماى ادريس ألوما ، وتعتبر كتاباته المرجع الرئيسي لتاريخ برنو ، ولاسيما تاريخ الفترة التي عاصرها زمن إدريس ألوما .

---

(١) انظر الرسالة بالملاحق

(٢) ترجم بالمر ٢٠ محرما عربيا في كتابه : The Bornu Sahara

(٣) The Bornu Sahara, p. 52

(٤) انظر الرسالة بالملاحق

(٥) راجع الفصل الثالث

(٦) صبح الأعشى ٥ ص ٢٨١

ولقد اشتهر مايات برنو بالإقبال على التعليم وتشجيع العلماء واقتناء الكتب ، أمثال الماى الحاج حمدون (ت ١٧٣١ م) وابنه على ، وحفيده أحمد بن على ، وهناك أنشودة تتغنى بعهده (١)

وحسبنا دليلا على عناية مايات برنو بالعلم والعلماء ، تلك «المحارم» التى أصدروها ، بمنح امتيازات لكبار العلماء وأسرهم المعاصرين لهم ، وللتعريف بأصول العلماءالعظام ، وعلى سبيل المثال : محرم ، صدر زمن الماى أوم بن جيل عام ١٠٨٦ م ، وهو خاص بأسرة مسبعرمة ، وجدها الأكبر العالم الكبير عمر بن عثمان بن ابراهيم ، وما ظفرت به من امتيازات ، وقد صدر لهذه الأسرة ثلاثة محارم ، أولها ماصدر عام ١٠٨٦ م والثانى صدر بعد عام ١٥٠٣ م ويتحدث عن أصول الأسرة ومآثرها العلمية ، والثالث عام ١٦٥٨م زمن الماى الحاج على بن الحاج عمر (١٦٤٤-١٦٨٠) وقد كتب هذا المحرم الأخير العالم محمد صالح بن العالم إشاركو ، وأوضح فيه ثقافة الإمام عمر بن عثمان ، وأنه من الفولانيين من مدينة جار امبال Garamba ، وفد على برنو ، وكان واسع الاطلاع غزير المعارف . أتقن اللغة العربية والمنطق والبلاغة والشريعة والتوحيد ، فضلا عن القرآن والحديث ، وقد تهافت الناس عليه فى برنو ، ويذكر المحرم الأخير عنه كذلك أنه نال ثقافته الأصلية بالأزهر الشريف وحج إلى مكة المكرمة وزار المدينة المنورة ولقى علماءها ، ثم ارتحل إلى بغداد والتقى بعلمائها وعاد إلى برنو ، وظل ينشر العلوم الدينية ، واكتسب شهرة فائقة ، ويلاحظ أن الوزير إدريس بن هارون زمن إدريس ألوما من سلالة هذه الأسرة (٢)

كذلك صدر محرم فى عام ١١٩٤ م زمن الماى دالا بكربن بيرى ، بمنح امتيازات للعالم عبد اللاه ديلى بن بكر ، لأنه قرأ على سالما بن الماى هذا : ١٥٠ كتابا فى علوم الدين وصار إماما للمسجد الكبير ، (٣) وهناك محرم أصدره الماى على جاجى (١٥٠٣م) بمنح امتيازات لرئيس القضاة

---

(١) The Bornu Sahara, pp. 257-258

(٢) Ibid., pp. 33-35

(٣) Ibid., p. 19

العالم الكبير « أحمد » ويدعوه المحرم« سيدنا أحمد » وأعفاه من الضرائب على أملاكه ، (١) كذلك المحرم الذى أصدره الماى دونمه إدريس بن الحاج على عام ١٧٠٤ (٢)، والمحرم الذى أصدره الماى الحاج حمدون (١٧٢٧) بمنح امتيازات للعالم محمد وهكذا . (٣)

ومن بين ألقاب العلماء أواخر عصر إمبراطورية برنو ، لقب : (الشتيما أو الشتياتيما) Shettima أو Shittatima ، وأصل هذا اللقب ، مشتق من لقب حاكم مدينة كيتاتى أو شيتاتى Kitati or Shitati ، فى كانم ، وكانت مشهورة باعتبارها مركزا لعبادة الإله الوثنى « أمان تار » Aman Tar ، ولهذا الإله صلة بالإله أمان Am n فى مروى ، (٤) والراجح أنه آمون المصرى ، ولعل فى هذا الاشتقاق مايدل على سيادة الإسلام على الوثنية ، وعلى انتصار التوحيد على الشرك .

ومن قائمة أسماء العلماء زمن الماى محمد بن على (١٧٨١ م) ؛ نلمح هذا اللقب مقترنا بأسمائهم مثل :

الشيتاتيما ماكارما Makaramma ، الشيتاتيما على بن دجوما DiguMa ، الشيتاتيما جايوما Gayuma ، الشيتاتيما جيرما Jirima وهكذا . . (٥) ، وهناك محرم صدر فى عام ١٧٩٣ م زمن الماى أحمد المذكور خاص بمنح امتيازات للشيخ العالم التقى النقى الشتيما محمد بن العالم التقى شيخ نجوروما وأسرته ، ومن أبناء هذه الأسرة العالمة ؛ علماء وردت أسماؤهم فى هذا المحرم مثل : المعلم محمد والمعلم عمر والمعلم أحمد والمعلم عبد اللاه (٦) . والخلاصة أن برنوكانت مليئة بالعلماء فى شتى فنون المعرفة الإسلامية العربية ؛ ويقول السلطان محمد بللو فى « إنفاق الميسور » عن برنو ، رغم الحروب بينه وبينها : « يوجد فى بلادنا طلاب علم وحفظة للقرآن مثل ما يوجد فى برنو « ٧ ».

---

(١) Ibid., p. 21

(٢) انظر النسخة الأصلية لهذا المحرم بالملاحق

(٣) The Bornu Sanara, p. 44

(٤) Ibid., p. 49

(٥) Ibid., p. 49

(٦) Ibid., pp. 50-51

(٧) Ibid., p. 270

الملاحق

أولا — قائمة بأسماء مايات برنو .

ثانيا ـ وثائق :

١ ـ نسخة كتاب صاحب البرنو عثمان أو بيرى بن إدريس (١٤٩٢ ـ ١٤٢٥ م) إلى السلطان أبى سعيد الظاهر برقوق فى شهور ٧٩٤ هـ ١٣٩٢ م

٢ ـ صور إجابة برقوق على الرسالة .

٣ ـ صور المكاتبة التى تصدر عن الدواوين المصرية فى عصر سلاطين المماليك إلى صاحب البرنو أو صاحب كانم

٤ ـ نسخة « المحرم » الذى أصدره المائى دونمة إدريس بن الحاج على عام ١١١٦ هـ/١٧٠٤ م ، مجددا به الامتيازات التى كانت منحت لفريق من الفولانيين بزعامة عندامة ، ساعدوا مايات برنو .

٥ ـ نسخة كتاب سلطان أهير (أغاديس) عبد القادر بن السلطان محمد الباقر ، إلى أمير دوْرى ـ من دول الهوسا ـ يوصى فيه بالرحالة « عبد الكريم » ـ وهو بارث Barth الألمانى ـ بتاريخ ١٨٥٠

ثالثا ـ معجم ببعض الألفاظ والمصطلحات فى برنو الإسلامية

أولا ـ مايات برنو

أ ـ مايات أخبارهم أسطورية :

١ ـ سيف بن ذى يزن

٢ — إبراهيم بن سيف بن ذى يزن

٣ — دوجو أودوكو Dugu - Duku بن إبراهيم
(كان يحكم حوالى عام ٦٠٠ م)

٤ ـ فون Fune بن دوجو (حكم حوالى ٥٠ سنة)

٥ ـ أرشو أو أرستو Archu - Aristo - Arsu
كان يحكم حوالى عام ٨٥٠ م)

٦ — كاتورى Katûri بن أرشو
(كان يحكم حوالى عام ٩٠٠ م)

٧ ـ بيوما أوايوما أوأديوما أوأياما Byuma-Ayoma-Adyoma-Wayama
(كان يحكم حوالى عام ١٠٠٠ م)

٨ — بولو Bulu (كان يحكم حوالى ١٠٢٠ م)

٩ — أرجى أو أركى أو أركو Arji - Arki - Arku
(كان يحكم حوالى عام ١٠٣٥ م)

١٠— كادى بن أرجى أوشو Kade - Shu
(كان يحكم حوالى عام ١٠٧٥ م)

١١– جيل Jil أو سالما أو عبد الجليل
(كان يحكم حوالى عام ١٠٨٠) م

ب – مايات معروفون حكموا من العاصمة جيمى فى كانم :

١٢ – أوم بن جبيل أو هيوم بن جيل Umme - Hume
(من حوالى ١٠٨٦ – ١٠٩٧ م)

١٣ – دونمه بن أوم Dunama Ummemi
(١٠٩٨ – ١١٥١ م)

١٤ – الماى دالا بيرى أو بيرى بن دونمه Mai Dâlâ Riri أو Biri Ibn Dunama
(١١٥١ – ١١٧٧ م)

١٥ – دالا بكر أو عبد الله بكر بن بيرى Dala Bikur
(١١٧٧ – ١١٩٤ م)

١٦ – سالما Salma أو عبد الجليل بن بكر
(١١٩٤ – ١٢٢١ م)

١٧ – أحمد دونمه أو دونمه بن دابا لابن سالما
(دابالا اسم أمه وسالما اسم أبيه ١٢٢١ – ١٢٥٩ م)

١٨ – كادى أو عبد القديم بن متالا (ماتالا اسم أمه)
(١٢٥٩ – ١٢٧٨)

١٩ – عثمان أو بيرى بن زينب (١٢٧٩ – ١٣٠٠ م)

٢٠ – الحاج إبراهيم نيجال بن كاجودى Kagudi
(١٣٠٠ – ١٣٢١ م)

٢١ – عبد الله بن كادى Abd. Kademi
(١٣٢١ – ١٣٤٢)

٢٢ ـ سالما أو تسليم Tsilim ابن حوا أو ابن عبد الله
(١٣٤٣ ـ ١٣٤٨)

٢٣ ـ كورجانا أوكور الصغير
(١٣٤٨ ـ ١٣٤٩)

٢٤ ـ كور الكبير Kore Ganna أو Kure (١٣٤٩ ـ ١٣٥٠ م)

٢٥ ـ كور محمد أومحمد بن عبد الله (١٣٥١ ـ ١٣٥٥)

٢٦ ـ إدريس بن حفصة بنت نيجال بن إبراهيم (أمه حفصة بنت نيجال وأبوه إبراهيم) (١٣٥٣ ـ ١٣٧٦)

٢٧ ـ داود بن فاطمة بنت نيجال بن إبراهيم (أمه فاطمة بنت نيجال وأبوه إبراهيم) . (١٣٧٦ ـ ١٣٨٦)

٢٨ ـ عثمان بن داود (١٣٨٦ م) عثمان بن إدريس (١٣٨٦)

٢٩ ـ أبو بكر (لياتو) Liyatu بن داود (١٣٨٦)

جـ ـ انتقال الأسرة السيفية من كانم الى برنو :

٣٠ ـ عمر بن إدريس (١٣٨٧ـ١٣٩١)

٣١ ـ سعيد محمد مارا أو ماجا (١٣٩١)

٣٢ ـ كادى أوجا Auja بن إدريس (١٣٩١ ـ ١٣٩٢)

٣٣ ـ عثمان أوبيرى بن إدريس ١٣٩٢ ـ ١٤٢٥)
(صاحب الرسالة إلى برقوق سلطان المماليك فى مصر)

٣٤ ـ عثمان كالينواما Kalinwama بن داود (١٤٢٥ ن)

٣٥ ـ دونمه بن عمر (١٤٢٥ ـ ١٤٢٧)

٣٦ ـ عبد الله أوجا بن عمر (١٤٢٧ ـ ١٤٣٦)
(طرده كيغامة نيجال بن إبراهيم بالتآمر مع يريمه كاداى كاكو وعين مكانه ابن عمه إبراهيم)

٣٧ ــ إبراهيم بن عثمان (١٤٣٦ ــ ١٤٤٣)
(أعاد العرش إلى ابن عمه عبد الله بعد وفاة كيغامه)

٣٨ ــ كادى بن عثمان (١١٤٣ ــ ١٤٤٤)
(قتل ابن عمه إبراهيم وولى مكانه)

٣٩ ــ دونمه بن عثمان ((١٤٤٤ ــ ١٤٤٨)

٤٠ ــ محمد بن ماتالا (١٤٤٨ ــ ١٤٥٠ م)
(ماتالا اسم أمه)

٤١ ــ أوم بن عائشة بنت عثمان (١٤٥٠ ــ ١٤٥٢)

٤٢ ــ محمد بن كادى (١٤٥٢ ــ ١٤٥٥)
(فتح العثمانيون القسطنطينية فى زمنه)

٤٣ ــ جاجى بن إمالاها Imalaha (١٤٥٥ ــ ١٤٦١)
(عقد معاهدة مع عرب توات ــ قتله البولالا)

٤٤ ــ عثمان بن كادى (١٤٦٦ ــ ١٤٦٧)
(عزله على جاجى وعين مكانه عمر بن عبد الله)

٤٥ ــ عمر بن عبد الله أوجا (١٤٦٦ ــ ١٤٦٧)

٤٦ ــ محمد بن محمد كادى (١٤٦٧ ــ ١٤٧٢)

٤٧ ــ على جاجى بن دونمه بن زينب (أبوه دونمه وأمه زينب) ــ (١٤٧٢ ــ ١٥٠٣) (بنى العاصمة بيرنى فى برنو ــ أول من أخذ لقب الغازى وهو ابن الماى رقم ٣٩)

٤٨ ــ إدريس كاتاجار مابى بن على بن عائشة (١٥٠٣ ــ ١٥٢٦)
(دخل العاصمة السابقة جيمى فى كانم)

٤٩ ــ محمد بن إدريس (١٥٢٧ ــ ١٥٤٥)

٥٠ ــ على بن إدريس (١٥٤٥ ــ ١٥٤٦)

٥١ ــ دونمه محمد بن فانا Fanna بن محمد (١٥٤٦ ــ ١٥٥٥) (فانا أمه ومحمد أبوه)

٥٢ ـ عبد الله بن دونمه (١٥٥٥ ـ ١٥٦٣)

ـ وصاية الماجيرا عائشة على ابنها إدريس الوسا (١٥٦٣ ـ ١٥٧٠)

٥٣ ـ إدريس بن على ألوما أو إدريس عائشة ألوما (١٥٧٠ ـ ١٦٠٣) (أعظم سلاطين برنو على الإطلاق)

د ـ ضعف برنو وتدهورها :

٥٤ ـ محمد بن إدريس (١٦٠٣ ـ ١٦١٨)

٥٥ ـ إبراهيم بن إدريس (١٦١٨ ـ ١٦٢٥)

٥٦ ـ الحاج عمر بن إدريس (١٦٢٥ ـ ١٦٤٤)

٥٧ ـ الحاج على طاير بن الحاج عمر (١٦٤٤ ـ ١٦٨٠ / ١٦٨١)

٥٨ ـ إدريس بن على (١٦٨٠ ـ ١٦٩٩)

٥٩ ـ دونمه بن على (١٦٩٩ ـ ١٧١٧)
(أصدر « المحرم » المصور باللاحق)

٦٠ ـ الحاج حمدون بن دونمه (١٧١٧ ـ ١٧٣١)

٦١ ـ محمد بن الحاج حمدون (١٧٣١ ـ ١٧٤٧)

٦٢ ـ دونمه جانا (١٧٤٧ ـ ١٧٥٠)

٦٣ ـ على بن حاج حمدون (١٧٥٠ ـ ١٧٩١)

٦٤ ـ أحمد بن على (١٧٩١ ـ ١٨٠٨)

هـ ـ ظهور أسرة الشيخ محمد الكانمي وانقطاع سلسلة الملوك السيفية :

٦٥ ـ دونمه بن أحمد (١٨٠٧ ـ ١٨١١) (منذ عام ١٨٠٩ كان الشيخ محمد أمين الكانمى ، صاحب السلطة الفعلية فى برنو) .

٦٦ ـ محمد نجاروما (١٨١١ ـ ١٨١٤)
(عزله الشيخ الكانمى)

ـــ عودة دونمه بن أحمد (١٨١٤ ـــ ١٨١٧)

(أعاده الشيخ الكانمى)

٦٧ ـــ إبراهيم أخو دونمه (١٨١٧ ـــ ١٨٤٧)

٦٨ ـــ على بن دلاتو (١٨٤٦)

(حكم ٤٠ يوما وهو آخر مايات الأسرة السيفية)

و ـ أسرة الشيخ محمد أمين الكانمى تتولى حكم برنو :

١ـــ الشيخ محمد أمين الكانمى (١٨٠٩ ـــ ١٨٣٥)

(صاحب السلطة الفعلية لكنه لم يتول العرش رسميا)

٢ ـــ الشيخ عمر بن محمد الكانمى (١٨٣٥ ـــ ١٨٨٠)

ـــ تولى عرش برنو بعد مقتل على بن دلاتو عام ١٨٤٦ .

ـــ استقبل الرحالة بارث عام ١٨٥٢ .

٣ ـــ الشيخ بكر (١٨٨٠ ـــ ١٨٨٤)

٤ ـــ الشيخ إبراهيم (١٨٨٤ ـــ ١٨٨٥)

٥ ـــ الشيخ هاشم (١٨٨٥ ـــ ١٨٩٣)

(غزوة رابح قائد الزبير باشا عام ١٨٩٣ وهزيمة برنو)

٦ ـــ الشيخ كيارى أو محمد الأمين (١٨٩٣)

(قتل سلفه لكنه هزم أمام رابح وقتل)

ز ـ الاستعمار الأوربى :

٧ ـــ الشيخ ساندورما (١٨٩٣)

١ ـــ قتله رابح ١٨٩٣ م .

٢ ـــ فى عام ١٨٩٤ قسمت برنو بين إنجلترا وفرنسا وألمانيا .

٣ ـــ قتل الفرنسيون رابح فى ٣ مارس ١٩٠٠ بعد أن شنوا عليه أكثر من حملة .

٨ ـــ الشيخ عمر بن بكر (أوساند أكورا) (١٩٠٠ ـــ ١٩٠١)

أعلنه الفرنسيون سلطانا فى زندر ثم عزلوه .

٩ ـــ الشيخ بكر جاروبال (١٩٠١ ـــ ١٩٢٢)

أعلنه الفرنسيون سلطانا فى دكوا عام ١٩٠١ ، وهرب إلى كانم فى نفس العام ، ثم أعيد ١٩٠٢ وعين شيخا على برنوالبريطانية ، وظل يحكم حتى مات فى مدينة مدجورى ١٩٢٢ م .

ثانيا ـ وثائق

رسالة عثمان بن ادريس
الى
الظاهر برقوق

مقـــدمة :

بعث الماى عثمان أوبيرى بن إدريس (١٣٩٢ ـــ ١٤٢٤/١٤٢٥ م) هذه الرسالة إلى السلطان الظاهر أبي سعيد برقوق سلطان المماليك فى مصر ، مع رسول من قبله من أهل بيته ، صحبه حجاج برنو ، فتسلمها السلطان برقوق فى شهور ٧٩٤ هـ ـــ ١٣٩١/١٣٩٢)

شكا الماى عثمان فى هذه الرسالة من اعتداءات عرب جذام المجاورين له ، وذكر أنهم اغتصبوا جماعة من أقاربه وباعوهم فى الأقطار بيع الرقيق ، وطلب من السلطان برقوق أن يجد فى البحث عنهم والحيلولة دون بيعهم لأنهم مسلمون أحرار .

ويلاحظ أن مايات برنو ، فى ذلك الوقت كانوا يقيمون فى إقليم برنو ، بعد أن طردوا من عاصمتهم جيمى فى كانم ، على يد بنى عمومتهم من البولالا ، وكان هؤلاء المايات حديثى عهد بالطرد من كانم ، وفى صراع مستمر ضد البولالا فى محاولة استعادة كانم ، حتى إن اثنين من الأسلاف المباشرين لصاحب الرسالة ، قد قتلا فى حرب البولالا وهما : سعيد محمد مازا (رقم ٣١) وكادى بن إدريس (رقم ٣٢) .

والمعروف أن العرب كانوا يساعدون البولالا فى حربهم ضد الأسرة السيفية لوجود صلة دم قوية بين البولالا وبين العرب المعروفين باسم التنجور Tunjur ؛ فالشكوى من عرب جذام جزء من الشكوى والصراع ضد البولالا ، وكان من الطبيعى أن يكون سلطان مصر هو المقصود بالشكوى ، لأن سلطانه كان يمتد من أعالى الفرات شرقا إلى برقة غربا ، ويضم الشام والحجاز واليمن وشمالى النوبة من ناحية الجنوب ، فمصر هى الدولة الإسلامية الكبرى ، ثم هى مقر الخلافة الإسلامية التى ينظر إليها المسلمون فى شتى البقاع نظرة إكبار واحترام وتبرك ، بدليل إضافة ألقاب تتصل بالخلافة إلى ملك برنو أو غيره من ملوك المسلمين كقوله : « ظهير الإمامة ، عضد أمير المؤمنين . » هذا وكانت هناك حرب أهلية زمن الماى عثمان بن إدريس صاحب الرسالة ، بينه وبين كيغامة محمد ابن دلا نو ، وكيغامة هو القائد العام للجيش البرنوى ، وعادة يكون من أبناء الأسرة المالكة .

يلاحظ كذلك أن الكتب الواردة عن صاحب البرنو ، كما فى هذه الرسالة وغيرها ، تكتب فى ورق مربع بخط مغربى ، السطر إلى جانب السطر ، وليس لها هامش من أعلى أو من جانب : يقول القلقشندى : فإن فضل من المكاتبة شىء كتب بظاهرها ، وفى هذه الرسالة كان قد فضل منها شىء فكتب فى ظهرها من ذيل الكتاب .

وكما هو واضح من الرسالة أنها تستهل بخطبة مفتتحة بالحمد ، وفيها تمجيد لمكانة ملك البرنو ثم تخلص إلى مضمون الرسالة .

وقد انتقد القلقشندى ختام هذه الرسالة التى وردت إلى برقوق بقوله :

« ورأيته قد ختم مكاتبته إلى الأبواب السلطانية بقوله : والسلام على من اتبع الهدى . وكأن ذلك جهل من الكاتب بمقاصد صناعة الإنشاء ، إذ لا يهتدون إلى حقائقها » (١) .

---

(١) صبح الأعشى ج ٨ ص ١١٦

١ ـ نسخة كتاب صاحب البرنو

عثمان أويرى بن ادريس (١٣٩٢ ـ ١٤٢٥ !

إلى السلطان أبي سعيد الظاهر برقوق

في شهور ٧٩٤ هـ / ١٣٩٢ م

(عن القلقشندى : صبح الأعشى ج ٨ ص ١١٦ ـ ١١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

« الحمد لله الذى جعل الخط تراسلاً بين الأباعد ، وترجمانا بين الأقارب ، ومصافحة بين الأحباب ومؤنسا بين العلماء ، وموحشا بين الجهال ، ولولا ذلك لبطلت الكلمات وفسدت الحاجات .

وصلوات الله على سيدنا المصطفى ورسول المرتضى ، الذى أغلق الله به باب النبوة وختم ، وجعله آخر المرسلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، ما ناحت الوُرْقُ وما عاقب الشروق الأصيل ، ثم بعد ذلك : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، رضى الله عنهم أجمعين .

من المتوكل على الله تعالى ، الملك الأجل سيف الإسلام وربيع الأيتام الملك المقدام ، القائم بأمر الرحمن المستنصر بالله ، المنصور فى كل حين وأوان ودهر وزمان ، الملك العادل الزاهد التقى النقى ، الأنجد الأمجد

الغَشَمشَم (١) ، فخر الدين زين الإسلام ، قطب الجلالة ، سلالة الكرماء ، كهف الصدور ، مصباح الظلام ، أبي عمرو عثمان الملك ابن إدريس الحاج أمير المؤمنين المرحوم ، كرم الله ضريحه ، وأدام ذرية هذا بملكه .

إلى ملك المصر الجليل ، أرض الله المباركة أم الدنيا ، سلام عليكم أعطر من المسك الأذفر ، وأعذب من ماء الغمام واليم زاد الله ملككم وسلطانكم والسلام على جلسائكم وفقهائكم وعلمائكم ، الذين يدرسون القرآن والعلوم وجماعتكم وأهل طاعتكم أجمعين .

وبعد ذلك فإنا قد أرسلنا إليكم رسولنا وهو ابن عمى ، واسمه إدريس ابن محمد ، من أجل الجائحة التي وجدناها وملوكُنا ، فإن الأعراب الذين يسمون جذاما وغيرهم ، قد سبوا أحرارنا من النساء والصبيان وضعاف الرجال ، وقرابتنا من المسلمين .

ومنهم من يشركون بالله ، يمارقون للدين ، فغاروا على المسلمين فقتلوهم قتلاً شديداً لفتنة وقعت بيننا وبين أعدائنا ، فبسبب تلك الفتنة ، قد قتلوا ملكنا عمرو بن إدريس الشهيد وهو أخونا ابن أبينا إدريس الحاج ابن إبراهيم الحاج .

ونحن بنو سيف بن ذى يزن والد قبيلتنا ، العربى القرشى ، كذا ضبطناه عن شيوخنا ، وهؤلاء الأعراب قد أفسدوا أرضنا كلها فى بلد برنو كافة ، حتى الآن وسبوا أحرارنا وقرابتنا من المسلمين ويبيعونهم لجلاب مصر والشام وغيرهم ، ويختدمون ببعضهم .

فإن حكم مصر ، قد جعله الله فى أيديكم من البحر إلى أسوان ، فإنهم قد اتخذوا متجرا ، فتبعثوا الرسل إلى جميع أرضكم وأمرائكم ووزرائكم وقضاتكم وحكامكم وعلمائكم وصواحب أسواقكم ، ينظرون ويبحثون ويكشفون ، فإذا وجدوهم فلينتزعوهم من أيديهم وليبتلوهم ، فإذا تبين

(١) الغشمشم : الغشم الظلم ، وقد غشمه يغشمه (بابه ضرب يضرب) والحاطب احتطب ليلا ، فقطع كل ماقدر عليه بلا نظر ولاتفكير ، وإنه لذوغشمشمة وغشمشية ذوجرأة ومضاء والغشمشم من يركب رأسه فلا يتبين من مراده شيء (القاموس المحيط)

ذلك لكم ، فاطلقوهم وردوهم إلى حريتهم وإسلامهم ، فإن بعض الأعراب يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فإنهم الجاهلون كتاب الله وسنة رسولنا ، فإنهم يزينون الباطل ، فاتقوا الله واخشوه ولا تخذلوهم ، يسترقوا ويباعوا .

قال الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات ، بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وقال تعالى لنبيه عليه السلام : « فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم » ، وقال الله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

وكان عليه السلام يقول : « السلطان ظل الله فى الأرض يأوى إليه كل مظلوم » . وقال : « المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا إلى يوم القيامة » وقال : « المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه » .

وفى الحكمة : « ومن الفرائض : الأمر بالمعروف على كل من بسطت يده فى الأرض — أراد به السلاطين — وعلى من تصل يده إلى ذلك — أراد بذلك القضاة والحكام والأمراء ، فإن لم يقدر فبلسانه — أراد بذلك الفقهاء والعلماء — وإن لم يقدر فبقلبه — أراد بذلك عامة المسلمين » .

أطال الله بقاءكم فى أرضكم ، فازجروا الأعراب المفسدين عن دَعرهم (1)

قال الله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين» « وقال عليه السلام : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » وقال فى الحكمة : « لولا السلطان ، لأكل بعضهم بعضا » وقال تعالى لنبيه داود عليه السلام : « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » .

والسلام على من اتبع الهدى .

---

(1) . الدعر : بفتحتين ، والدعارة بالفتح الخبث والفسق والفساد ، فهو داعر وهى داعرة (وبابه طرب وسلم) (مختار الصحاح والقاموس المحيط) .

٢ ـ اجابة السلطان برقوق

عـــلى

رسالة صاحب البرنو

الماى عثمان بن ادريس

جاء فى صدر رسالة برقوق .

«أعز الله تعالى جانب الجناب الكريم العالى ، الملك الجليل العالم العادل ، الغازى المجاهد الهمام الأوحد المظفر المنصور ، المتوكل ، فخر الدين أبى عمرو عثمان بن إدريس : عز الإسلام ، شرف ملوك الأنام ، ناصر الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملوك والسلاطين ، سيف الجلالة ، ظهير الإمامة . . (١) .

---

(١) كتب الإجابة : زين الدين طاهر ، أحد كتاب الدست على لسان السلطان برقوق ، بعد سنتين وسلمت لرسول صاحب البرنو الوارد صحبة الحجيج – ويقول القلقشندى : إن الجواب كتب على ظهر رسالة صاحب البرنو التى كان قد بعثها ، وصيغة وأسلوب هذه العبارة ثابتة فى الدواوين المصرية وهى خاصة بمخاطبة ملوك برنو ، تفتح بها دائما المكاتبات الصادرة عن مصر إلى برنو (صبح الأعشى ج٨ ص ٨ العمرى : التعريف ص ٢٨ – ٢٩)

٣ ـ صورة المكاتبة التي
تصدر عن الدواوين المصرية فى عصر سلاطين المماليك
الى صحاب البرنو أو صاحب كانم

« أدام الله نصر الجناب الكريم العالى ، الملك الجليل الكبير ، العادل ، الغازى المجاهد الهمام ، الأوحد المظفر المنصور عز الإسلام . . (من نوع ألقاب ملك التكرور) .

وهى :

« شرف ملوك الأنام ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملوك والسلاطين ، سيف الخلافة ، ظهير الإمامة ، عضد أمير المؤمنين » الملك (فلان . .)

دعاء وصدر :

« ولازالت همم سلطانه غير مقصرة ، ووفود حجه غير مقْصره ، وسيفه فى سواد من جاوره من أعدائه الكفار يقول : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة . » .

« صدرت ولها مَثْكلٌ مسْـــكيَّةٌ أُفُقه عَبِق ، وعنبرةٌ طينته سواد إلا أنه من السواد اليقق وشبيبة مُلكه الذى يفديه سواد الحَدق ، أوْجبها ودٌّ أســكنه مسْــكنتَه من سواد القلب لايريم ، وأراه غرة الصباح الوضاح تحت طرة الليل البهيم » (١)

يقول القلشقندى : « ومكاتبة ملك الكانم ، مثل مكاتبة ملك البرنو ، ولكن من غير كلمة « الكريم » (٢)

---

(١) العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ص٢٨ – ٢٩ ، صبح الأعشى جـ٨ ص ٧–٨٨

(٢) صبح الأعشى جـ٨ – ص ٨

٤ ـ محــــرم

الماى دونمه اندريس ابن الحاج على

(١٦٩٩ ـ ١٧١٧ م)

مقـــدمة

أصدر الماى دونمه هذا « المحرم » بتجديد الامتيازات التى حصل عليها جماعة من الفولانيين (الفلاتا) زمن الماى على جاجى بن زينب (١٤٧٢ ـ ١٥٠٣ م) وهو الماى السابع والأربعون فى سلسلة مايات الأسرة السيفية فى برنو .

جاء أولئك الفولانيون لأول مرة زمن الماى على ، وانضووا تحت لوائه فبسط عليهم حمايته ، وأجزل لهم العطاء ، وكان يتزعم هؤلاء الفولانيين شخص أطلق عليه مايات برنو لقب غبدامة لقاء مساعدتهم لبرنو فى صراعها ضد إمارة كبى Kebbi أو Gabi ، والمعروف أن على جاجى وابنه إدريس وحفيده محمد ، قد شنوا حروبا طويلة ضد هذه الإمارة ، وهى من دول الهوسا ؛ وكان هؤلاء الفلاتا وزعيمهم يقيمون فى بيرنى عاصمة برنو ، ومع ذلك ظفر زعيمهم بهذا اللقب ومعناه : سيد كبى ، مع أن هذا الزعيم لم يحكم كبى ، وإنما منح اللقب تشريفا ، وهو مشتق من اسم مدينة جابى Gabi أو كبى Kebbi .

والامتيازات التى ظفر بها غبدامة وقومه ، منحت لهم لأول مرة بمقتضى محرم صدر زمن الماى على جاجى ، وجاء محرم محمد دونمه هذا تجديداً لما حصلوا عليه من امتيازات . أهمها إعفاؤهم من جميع الضرائب والالتزامات التى تؤدى الى بيت المال ، وقد أكد فى هذا المحرم مدى حرص مايات برنو على امتيازات وحقوق هذا الفريق من الفولانيين من سلالة غبدامة .

نصوص المحرم

محـــرم

(أصدره الماى دونمه ادريس ابن الحاج على عام ١١٦ هـ ـ ١٧٠٤ م)
مجددا به الامتيازات التى كانت منحت لفريق
(عن القلقشندى : صبح الأعشى ج ٨ ص ١١٦ ـ ١١٨)

١ « بسم الله ، الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى :
فمن عند المتوكل على الله تعالى بجميع شأنه
أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين
فى أرض ، ذاك السلطان الأمجد الأفضل الزكى
النقى الأتقى الأوفى بعهد الله ، مبيد الظلام
حنظلة الأعداء وحلاوة أوليائه سم للأعداء ومطعم الضعفاء
صابر عند لقاء العدو ، وعن جميع مالا ينبغى له أن يتكلم به
صادق فيما قال وفيما يقوله ، هو على بن أحمد بن عثمان أعلى الله
شأنه وأذل الله شانئيه ، نصره الله نصراً عزيزاً
آمين . اسمعوا وافهموا يا معشر المسلمين : نحن
أخرجنا الرجل الذى يقال له غبدامة (١) من قبيلته
الفلاطى (٢) إخراجا صحيحا تاماً ناجزاً لا خيار لأحد من

---

(١) غبدامة لقب (راجع مقدمة المحرم)
(٢) الفلاطى أى من قبيلة الفولانيين Fulani وهؤلاء يطلق عليهم فى السودان الشرقى اسم « فلاتا » Fellata

٢ — دولة السلاطين وسقطنا منه حظ الخازن وشركائه ممن يقال له :

مولمة غرزنمه (١)

وتركناه من جميع عادتنا الذى كان عليه ، وكذلك تركنا

أولاده وأولاد أولاده ،وذريته من يومنا هذا إلى أن تقوم الساعة ،

وكذلك أجاز ذلك ابنه إدريس (٢) ، وكذلك إن كان هذا

الفلاطى فى زمن السلطان محمد

ابن إدريس (٣) ، أجاز فعل جده ، وكذلك

أجاز ذلك السلطان على بن إدريس (٤)

وكذلك أجاز ذلك السلطان دونمه (٥) بن

محمد ، وكذلك أجاز ذلك السلطان

داله (٦) بن دونمه ، كما ذكرنا ، وأجاز

ذلك السلطان الكريم الحاج بيت الله

الحرام ، إدريس بن على بن إدريس (٧) ،

وكذلك أجاز ذلك السلطان محمد بن إدريس (٨) ،

وكذلك أجاز ذلك السلطان إبراهيم بن إدريس (٩) ، وكذلك

٣ — أجاز ذلك السلطان عمر بن إدريس ، (١٠) وكذلك أجاز

ذلك السلطان الكريم الحاج بيت الله الحرام

على بن عمر (١١) ، اللهم يسر الله أمره ،

وفرجه الله فى الدنيا والآخرة ، كما

---

(١) المقصود بهذه العبارة أن الماى أعفاه من حقوق بيت المال التى يجبيها الخازن ، واسم هذا الخازن موليمة غرزنمه Mulima Gharaznama

(٢) الملك ادريس هذا هو الثامن والأربعون من سلسلة الأسرة السيفية (راجع القائمة) والضمير فى ابنه عائد على والد إدريس وهو على جاجى بن زينب (ت ١٥٠٣)

(٣) الماى رقم ٤٩ بالقائمة

(٤) الماى رقم ٥٠ بالقائمة

(٥) الماى رقم ٥١ بالقائمة

(٦) الماى رقم ٥٢ بالقائمة

(٧) الماى رقم ٥٣ بالقائمة

(٨) الماى رقم ٥٤ بالقائمة

(٩) الماى رقم ٥٥ بالقائمة

(١٠) الماى رقم ٥٦ بالقائمة

(١١) الماى رقم ٥٧ بالقائمة

يسر ويرحم ونصر المساكين ، والفقراء فى زمانه ،
وأجاز ذلك جميع الملوك إلى هلم جراً حتى الآن ، واعلموا
وافهموا مليحا ، ومن يتعد حدودنا ويتجرأ بما فعلنا
فى عصرنا ، وبما حكمنا ، وأفسد فى حكمنا بعهدنا ، ولا
يصلح الله حاجته فى الدنيا والآخرة
وملأ الله بطنه بنار جهنم
وأطيعوا ولا تخالفوا أته نسلك
٤ — مغدبه دكوا سيكوا أرجيكوا (١)
وأما الشهود الذين حضروا عندنا :
غلديه (٢) محمد بن عائشة ، وأرجنومة (٣)
محمد بن سعيد ، وعربومه نيكوا
هو الرسول ، بعث إلينا فى ذلك
الأمر ، وأيضا اعلموا ، إنما تركنا
هذا الرجل ، يكنا غبدامه (٤)
وذريته ، بحرمة دعائه ، إعلموا
ولا تخالفوا قولنا ، ولكن كما قال
عز وجل من قائل فى كتابه ﴿ فمن
بدله بعدما سمعه ، فإنما إثمه

---

(١) العبارة من « أته نسلك مغدبة دكوا سكوا أرجيكوا » لقب ملكى برنوى لقب به الماى على جاجى بن زينب (رقم ٤٧) ، وهو لقب غامض ويقول الكانورى — أغلب سكان برنو — ربما يشير هذا المصطلح إلى ألقاب كانت تستعمل فى جهات أخرى وله صلة بألقاب مشابهة عند الطوارق ، وكلمة أته أو أده بمعنى الوالد عند نبلاء الطوارق ومعنى العبارة كلها : « الولد الأكبر للماى وسلف النبلاء » (The Bornu Sahara, pp. 21, 83-84)

(٢) غلديمة Galadima أى حاكم الغرب

(٣) أرجنومه Arjinoma لقب وصاحبه عضو بمجلس الاثنى عشر الكبار فى برنو : ويتولى إدارة بعض الولايات فى شمالى برنو .

(٤) غبدامه : لقب زعيم الفولانيين أى الفلاتا الذين انضووا تحت لواء مايات برنو وساعدوهم فى حروبهم ضد أعدائهم (راجع مقدمة المحرم)

على الذين يبدلونه﴾ ،الآية . ولكن

غيرهم كثير من شهود المسلمين ،

وكاتبه : مسبعرمه (١) عمر بن عثمان

٥ — ابن عمر ، وأيضا حضر ذلك عثمان

ابن أحمد جم ، وحضر ذلك ابن أحمد

مغه ، وابن مالك ، وابن عليد عغ

وابن غبدم ، وابن سالم وابن مغوز

أصله رشيدى ، وهذا من شهود

الفلاطى ، ثم أجاز ذلك السلطان

إدريس بن على بن عمر ، اللهم

انصره على أعدائه ، اللهم يسر

كل أمره فى الدارين واعطه العفو

والعافية فى الدين والدنيا والآخرة

برحمتك ياأرحم الراحمين .

٦ — إن هؤلاء الفلاطى عقب غَبْدامه ، جاءوا

خطهم القديم ، استحرمهم الملك

على بن أحمد ، إلى وجه الملك الفقيه

الزاهد ، الحليم المبارك الناصح

الأمجد المحيي السنة المحمدية ، السلطان

دونمه بن الملك كثيرا الحاج

على ، المرحوم ، فأجاز هوحرمتهم

وجدد تحرمهم بمجلسته العلية ،

---

(١) مسبعرمه Masbarma : لقب وزراء برنو ،توارثته أسرة معينة ، وهناك محرم صدر جزء منه عام ٤٧٨ هـ/١٠٨٦ م زمن الماى أوم بن جيل ، وصدر الجزء الآخرمنه زمن الماى إدريس ألوما (١٥٧٠ — ١٦٠٣ م) فقد كان وزير ألوما وهو إدريس بن هارون من سلالة هذه الأسرة . ويقضى هذا المحرم بمنحها امتيازات مادية وأدبية؛ وأبناء هذه الأسرة من العلماء البارزين فى برنو .

(٢) أى طائفة الفولانيين الذين كان يتزعمهم غبدامه

يقال كركروا (١) ، وأما كاتبه الإمام
الحاج حنومه ، ينقله ما فى زمانه
عن إجازته ، أما بابهم (٢) بنت الملك
كوسه لربار ممه ،وبابها جغيفد (٣)
الحاج يوسف ، وقع ذلك بعد ست (عشرة) (٤)
٧ — ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية
أفضل الصلاة والسلام على ساكنها ،
وشهد لذلك ، القاضى الحاج أحمد
والطالوب محمد صالحه وطالوب
أحمد ، وأورامه ، والإمام الكبير
محمد غنا ، وخادم الملك ، مسطرامه (٥)
الحاج نصر ، وعيرمه (٦) الحاج جلال ، وكيغامه (٧)
الحاج محمد دغزيمه ، وفكومه (٨) أدم ،
وجارمه (٩) كبير فسقام ، وأرجينومه (١٠)

---

(١) كركروا من أسماء مجلس الماى .

(٢) باب تقابله عند الهوسا كوفا Kofa ، والمراد بهذا المصطلح ، الحاجب أو الموظف المنوط به الاستئذان على الماى

(٣) جغيفد : Zagifada لقب يدل على وظيفة صاحب الباب أو الحاجب

(٤) يحتمل أن هناك خطأ وقع بطريق السهو من ناسخ أو كاتب هذا المحرم ، فى ضبط السنة التى كتب فيها المحرم ويحتمل أن الصواب (١١١٦ هـ) وأن كلمة (عشرة) قد سقطت سهوا لأن هذه السنة تقع فى عهد الماى المذكور الذى صدر تجديد المحرم عنه .

(٥) مسطرامة Mestrema لقب حاكم الأقاليم الشرقية فى برنو ، وهو عضو بمجلس الماى الأعلى (٦) عيرمه لقب

(٧) كيغامه لقب حاكم الجنوب فى برنو والقائد العام للجيش ، وهو أرفع القاب الحكام من أعضاء مجلس الماى الأعلى

(٨) فكومة Fuguma لقب أحد أعضاء مجلس الماى الأعلى ، وصاحبه يقوم بمهام المحافظ أو الوالى فى العاصمة .

(٩) جارمه : Jerma لقب صاحب إقطاع وارا Wara عاصمة وادای ، ويقابل هذا اللقب فى لغة الكانورى زرمة Zerma

(١٠) أرجينومة : يتولى حكم بعض الولايات فى شمالى برنو (راجع ص ١٦٠ حاشية ٣)

محمد دومة ، ومنغلمه دنلله محمد
لفيابن الوزير أحمد ، والبور ممّه ميليه
ويريمه (١) عمر بن إدريس ، وكها جمله (٢)
محمد بن فنترم ، وكثير من شهود ،
٨ — ثم انتقل فلاطيو هذه لبنت
السلطان ، سكوتُمه (٣) عائشة بنت
السلطان الحاج على المرحوم ، لبركة
أخيه السلطان دونمة بن ولى الله
الحاج على ، بارك الله أيامه
وقاد زمانه طويلا ، ثم نصر الله
له ، بأربع قبله ، ومع العافية الكثير
آمين آمين آمين . »
(خاتم الملك دونمه بالتصديق
على هذا المحرم ، وعبارته وصورته)
« هذا إجازة
الملك دونمه بن على
لما أجداده
فعل »(٤)

---

(١) يريمة : Yérima لقب حاكم الشمال

(٢) كهاجلمة : Kajelma أو Kaslma يتولى حكم بعض الولايات الشرقية فى برنو

(٣) سكوتمة :Sokotoma لقب عائشة بنت الملك على بن الحاج ، ومعنى هذا اللقب ، حاكمة أوسيدة سوكوتو ، ويحتمل أن سوكوتو كانت تطلق على المنطقة التى تقع فيها مدينة سوكوتو الحديثة عاصمة الفولانيين زمن الشيخ عثمان دان فودى وابنه محمد بللو ، ومنحت عائشة هذا اللقب تكريما وتشريفا لها ، لأنها كانت تحمى طائفة الفولانيين الذين صدر لهم المحرم هذا .

(٤) وضع خاتم الملك دونمه بالتصديق على هذا المحرم داخل حرز أو تميمة Amulet ، تيمنا بالبركة ، وهذه التميمة عبارة عن خاتم سليمان عليه السلام ، وقد وردت هذه التميمة على كثير من التحف الخزفية التى ترجع إلى العصر الفاطمى ، كما وجدت على مئذنة الحاكم بأمر الله الفاطمى بالقاهرة .

بسم الله الحمد لله وسلام على عباده الأبرار
يقول عبد المتوكل على الله تعالى بجميع شأنه
أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين
في أرضه ذلك السلطان الأمجد الأجل الأفضل
الزكي النقي الأتقى الأورع أبو عبد الله محمد
الظلام خنقة الأعداء وحلاوة أوليائه
سم للأعداء ومطعم الضعفاء صابر عند
لقاء العدو عالم بخدعة الحرب ساكت
عن اللغو وعن جميع ما لا ينبغي له أن يتكلم
به صادق فيما قال وفيما يقول وهو
علي بن أحمد بن عثمان أعلى الله شأنه
وأنار الله شأنه نصره الله نصرا عزيزا
أمين اسمعوا وأطيعوا يا معشر المسلمين
إنما نعرف هذا الرجل الذي يقال عبد الله من
قبيلة [illegible] أجرا باصحيحا [illegible]
[illegible]
[illegible]

(1)

ممن يقال له مولى [illegible] غير ذمته وتوحيد
من جميع عادات التي كان عليه وكذلك
تركنا أولاده وأولاد أولاده وذريته
من يومنا هذا إلى أن تقوم الساعة (2)
وكذلك أجاز ذلك ابنه إدريس وكذلك
أركان هذا الكلام في زمن السلطان محمد
بن إدريس أجاز في عقر جده وكذلك
أجاز ذلك السلطان علي بن إدريس
وكذلك أجاز ذلك السلطان [illegible]
بن محمد وكذلك أجاز ذلك السلطان
[illegible] وثقة كما ذكرنا وأجاز
ذلك السلطان الكريم الحاج بيت الله
الحرام إدريس بن علي بن إدريس
وكذلك أجاز ذلك السلطان عمر بن
إدريس وكذلك أجاز ذلك
السلطان إبراهيم بن إدريس وكذلك
أجاز ذلك السلطان عثمان بن إدريس

نسخة «المحرم» الأصلية مصورة

وكذلك اجازلك السلطان
الكريم الحاج بيت الله الحرام
(1) علي بن عمر اللهم يسر الله امره
ويرحمه الله في الدنيا والآخرة كما
يسر من يرحم وينصر المساكين
والفقراء في زمانه واجاز ذلك
جميع الملوك اهل برنو من
الان واعلموا وافهموا ما بينا
ومن يتعدى حدودنا ويتغير اعلانا
في عصرنا او مما حكمنا او يسعى
فيما حكمنا بعهدنا او لا يصلح
الله حاجته في الدنيا والآخرة
وصب الله بطنه نارا جهنم
واطيعوا ولا تخالفوا انه ليس ك

مكتوبه وكرسيه [illegible] الديكوا
وامضيتموه [illegible]
(2) علويه محمد بن ابيشه وابن عمه
محمد بن سعيد وعمر بن محمد تيكوا
هو الرسول بعث البناء في ذلك
الامر وايضا اعلموا انه من تركنا
هذا الرجل كنا عندنا امة
وذريته محرمة دعاءنا اعلموا
ولا تخالفوا قولنا ولكن كما قال
عمرو بن حزم [illegible] في كتابه من
بدله بعدما سمعه فانما اثمه
على الذين يبدلونه الاية وكذلك
غيرهم كثير من شهود الصالحين
وكتبه [illegible] عمر بن عثمان
بن [illegible]

بن عمرو وابيه حضر ذلك عثمان
بن احمد جعو وحضر ذلك بن احمد
مغه وابن مالك وابن علي بن عغ (5)
وابن غمية ق وابن سليم وابن مغوز
اصله رسيبي وهذا امر شهود
البلاطين ثم اجاز ذلك السلطان
ادريس بن علي بن عمر اللهم
انصره على اعدائه اللهم يسر
كل امره في الدارين واعطه العفو
والعافية في الدين والدنيا والاخرة
برحمتك يا ارحم الراحمين

ان هولاء العباد في عقب غير ... جاءوا
خطهم القديم استمر مهم الملك
(6) علي بن احمد الوجه الملك البقية
الزاهد الحليم المبارك الناصح
الامجد الصفي السنة المحمدية السلطان
دونمه بن الملك كثير الحج
تملي المرحوم فاجازهو من منهم
وجدد من هم بجلسة العالية
يقال كنركير واما كاتبه الامام
الحاج حنوهة [illegible] ما في زمانه
من جاء زتها ما بايديهم بنت الملك
كوشه لرتيار مة وبايديهم جكيد
الحاج يوسف ووقع ذلك بعد ستة
وعشرة

(7)

ومائة بعد الالف من الهجرة النبوية
افضل الصلاة والسلام على صاحبها
ويشهد لذلك القاضي الحاج احمد
والطالوب محمد صالح وكالوب
احمد واورامة والامام الكبير
محمد غنا ونادم الملك مبسطرمه
الحاج نصر وعبيرمه بلال وكيغامة
الحاج محمد ذنزيمة وفكوعة ادم
وجارمه كبير فسقام وارجنوم
محمد ومه ومنعلمه دندامة محمد
لقيابر الوزير احمد والبورمة صليه
وتيرابيمة عمر برادبير وكها جلمة
محمد برو شتره وكثير من شهود

(6)

ثم انتقل فتاصيور هذه بنت
السلطان تكو وتمة عايشه بنت
السلطان الحاج علي العم حو من بركة
انجيه السلطان دو ونمة برولن اللة
الحاج علي بارك الله ايامه
وفاد الله زمانه كوبلانم نصر الله
له باربع قبلة ومع العافية الكثير
امين امين امين

٥ ـ رسالة سلطان أهير
الى
أمير دورى
للتوصية بالرحالة بارث Barth
فى عام ١٨٥٠
والرحالة بارث معروف فى هذه الرسالة باسم « عبد الكريم »

« بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على النبى الكريم ،

(خاتم سلطان أهير فى دائرة)

« أمير

عبد القادر

ابن السلطان

محمد البا

قر » :

من أمير أهير عبد القادر ابن السلطان محمد الباقر إلى أمير دَوْرَى ابن المرحوم أمير دَوْرَى إسحاق رحم الله السلف وبارك فى الخلف آمين، [١] بأزكى التحيات ، وأسنى التسليمات اليك ،

وبعد فلباعث . . . . قادم إلينا

---

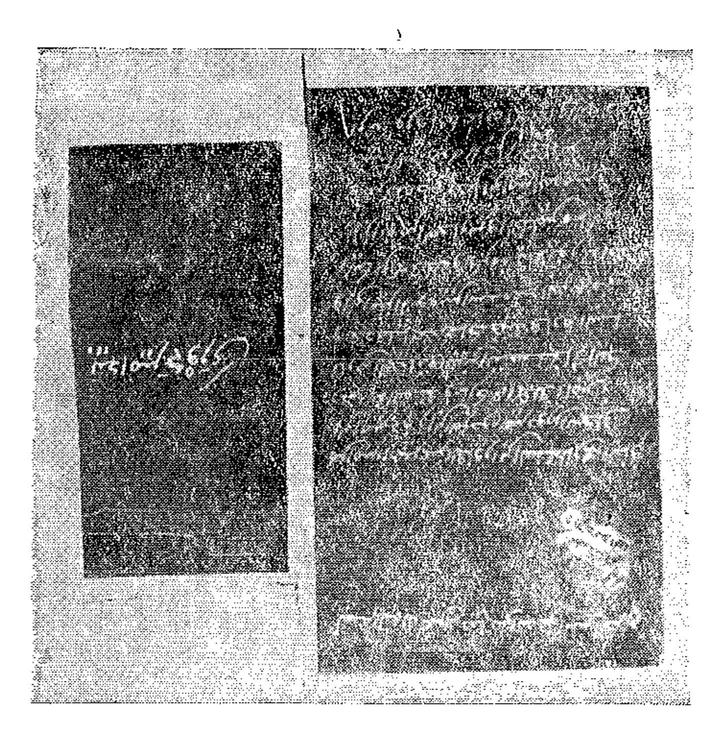
(١) هذه الرسالة مصورة فى : (The Bornu Sahara, p. 62) وعاصمة سلطان أهيرهى مدينة أغاديس ، وتعرف مملكة أهير كذلك باسم مملكة أسبن Asben

وإلى أمير المؤمنين اسمه عبد الكريم مني
إليك أن تحفظه وتكرمه لئلا يؤذيه أحد
بأذية من المحاربين والظالمين ، ماله
وعرضه حتى يصل إلى أمير المؤمنين ،
كتبنا إليك هذا لأجل المحاربين
أن تكون حافظا غاية الحفظ والسلام

(وعلى غلاف الرسالة عنوان أمير دورى فى هذه العبارة)

« بيا أمير دَوْرَى » (١)

(١) الضبط عن نسخة الرسالة المصورة .



نسخة كتاب سلطان أمير
عبد القادر ابن السلطان محمد الباقر إلى أمير دورى
يوصى فيه بالرحالة « عبد الكريم » وهو بارث
الألمانى . وتاريخ الكتاب عام ١٨٥٠ م

ثالثا ـ معجم ببعض الألفاظ والمصطلحات

فى برنو الاسلامية

أركو : Arku بمعنى أب أو ولى أمر فى لغة الكانورى والتدا ، وقد اشتهر الماى التاسع فى سلسلة ملوك الأسرة السيفية بهذه التسمية، وتكتب بصور مختلفة أركى Arki أو أرجى Argi

أسكى : أو أسكيا Askia : لقب ملوك الأسرة الثانية فى حكم امبراطورية صنغي الإسلامية وأول من لقب به محمد أبو بكر الطورى الذى ولى عرش صنغى عام ١٤٩٣ م

ألفا : أو الفع عند صنغى لقب يطلق على العلماء وهو اختصار لكلمة الفاهم العربية .

أمان : Aman فى لغة الكانورى بمعنى ملك ، ثم حل محلها عند الكانورى كلمة ماى Mai ويقابلها فى السودان الشرقى كلمة ملك Mek

أنوم : Anum : بمعنى جنوب

أوكل : Okil أو Okel كلمة زغاوية بمعنى « شيخ » أو رئيس وفى لغة تماشاك ، أى لغة نبلاء الطوارق ، كلمة كل Kel بمعنى قبيلة أو سلف أو أصل

بابو : Babu : الصوبلجان رمز الملكية فى برنو

برنو : Barnu أو بورنو Bornu لم تطلق أساساً على مكان معين ، وإنما هي التسمية التي أطلقها العرب في منطقة تشاد على قبائل الكانورى ، فسموها بارنو ، وهذه الكلمة تحريف لكلمة باران Baran أو بارام Baram وهما صيغتا الجمع لكلمة « بار » Bar بمعنى رجل أو محارب في بعض اللغات الصحراوية . (راجع المدخل)

برنى : Bîrni معناها مدينة

بروروجى : Borroroje الرعاة أو البدو من الفولانيين .

بلا : Bela كلمة كانورية معناها إقليم أو أرض ، وربما كانت مشتقة أو محرفة للكلمة العربية « بلاد »

بولالا : Bulala بمعنى الأحرار أو النبلاء بلغة الطوارق

بى : بمعنى ابن عند الفولانيين (انظر دان)

بيكور : Bikur معناها الولد الأكبر ، ولعلها تحريف للكلمة العربية (البكر)

تجاسى : Tegasi كلمة في لغة الطوارق بمعنى وارث في صيغة المذكر ، والمؤنث تكسوا Teksuwa

تجرام : Tigiram : لقب في لغة الزغاوة في واداى بمعنى ملكة ، ويقابلها في برنو جومسو Gumsu

تسكلمه : Teskelma لقب المنجم الملكى في إمبراطورية البرنو .

تسليم : Tslim بمعنى أسود في برنو

تمسجدا : Tamisgidda بمعنى مسجد ، وهى نفسها اللفظة العربية محرفة في لغة الطوارق ، وكذلك في برنو .

تو : Tu أوتى : Ti ، لفظ في لغة الكانورى معناه التلال .

توبو : Tubu معناها سكان التلال ، أو سكان تبيستى ، وكذلك تيبو Ti Bu بنفس المعنى ، وتعنى كذلك سكان الصحراء أو شعب الصحراء .

توماغورى : Tu-Maghuri بمعنى سكان التلال ، ويرادفها كذلك : دركين Dirkin و دركو Dirku وكى Keyi أو Kayi

جاجي : Gaji بمعنى « صغير » Little ، في صيغة المذكر ، والمؤنث جانجايا Ganjaya وقد لقب بهذا اللقب أم الماى بولو (رقم ٨) وكذلك الماى (رقم ٤٣ ورقم ٤٧)

جدين : Gidin بمعنى الشرق في برنو

جر : Jir أو جيل Jil في لغة الكانورى بمعنى السلف القبلى أوالقبيلة أو الأصل ويقابلها في لغة تماشك — أى لغة نبلاء الطوارق — كل Kel ؛ وقائمة أسماء الأصول أو الأسلاف أو شجرة النسب List of Ancestors ، هي المعروفة عند برنو باسم جرجام Girgam ، ومنها جرما Jiri-Ma أى رئيس العشيرة .

جرجام : Girgam (راجع جر)

جرما : Girma ، في لغة الهوسا بمعنى النبالة أو العظمة ، ويقابلها في لغة الكانورى كرما Kerma بمعنى الملكية Kingship وكذلك كركرما Kerkerma بمعنى ملك . والأصل الذى اشتق منه هذا المصطلح ، هو اللفظ المروى كر Ker ، بمعنى رئيس .

جرما : Jerma : لقب صاحب إقطاع وارا Wâra عاصمة واداى ويقابل اللقب الكانورى زرما Zerma

جرمنيتون Garamantes : سكان جنوب فزان وشمال غربى تيبستى ، وسماهم الرومان كذلك القروان Garawan أو التدا Teda

جوانى : Gwani : بمعنى مدينة في لغة زغاوة

جوما : Gauma : حاكم جو Gau و غوغو Ghaughu أى فترى

جوما ؛ Gaum حاكم جمو Gam أو عوغون Ghaygh أى فترى

جومسو : Gumsu بمعنى ملكة في لغة الكانورى (راجع تجرام)

جنوب : (راجع أنوم)

داجاشي : Dagachi في لغة الكانورى معناها نبيل صغير أو رئيس صغير ، ويحتمل أن داجاشي مشتقة من اللفظ الفارسي دهقان ؛

والدهقان لغويا بالكسر والضم ، القوى على التصرف مع حدة ، أو التاجر وزعيم العجم ورئيس الاقليم (معرب) والجمع دهاقنة ودهاقين ، ودهقنوه جعلوه دهقانا (القاموس_المحيط)

دالا : Dala : لقب فى اللغة النوبية بمعنى سيد الجبل :

دان : Dan بمعنى ابن عند الفولانيين وعند الهوسا :

دوجو : Dugu : عند الكانورى بمعنى حفيد الملك ، وعند الماندنجو بمعنى القرية ، وأشار السعدى إليها فى تاريخه بكلمة « دك » فى عبارة « مع دك » أى دار السلطان . وكلمة « مع » هى نفسها « Ma » (راجع ما)

دونمه : Dunama لقب فى لغة الكانورى بمعنى ابن الملك .

ديجال Digal كلمة كانورية معناها المقصورة التى يجلس فيها سلطان البرنو

رم : Rum : حربة طويلة ضخمة رمز السلطة فى برنو وهى فى معنى الصولجان :

زغاوه : Zaghawa : مشتقة من سك sek أو سغ Segh بمعنى معسكر أو مخيم فى لغة تماشك Tamashek ، أى لغة نبلاء الطوارق ، وفى صيغة الجمع يضاف المقطع أوا (Awa —) .

ساركن : Sarkin أو Sarki أو Serki ، فى لغة الهوسا بمعنى الملك ، أو الرئيس وجمعها سراكوما Sarakuma ، وتقول أساطير الهوسا ، إن الجد الأسطورى لملوك الهوسا هوأبو يزيد ، أحد أبناء خلفاء بغداد ، زار بلاد الهوسا ، واشتد به الظمأ ، فدله الوطنيون على بئر لايستطيع أحد أن يقترب منه لوجود ثعبان ذى بأس شديد يقوم على حراسة البئر ، واسم هذا الثعبان كى سركى Ki — Serki . استطاع أبو يزيد أن يقتل الثعبان وأن يقطع رأسه ، فكافأته ملكة دورى ، من إمارات الهوسا ، بأن تزوجت منه ، وهى الملكة دوراما Durama ، تاسعة ملكات الهوسا فى دورى ، صار مواطنو دورى يتحدثون بعد ذلك عن شجاعة أبى يزيد

وبطولته ، ولقبوه بلقب ماى كيسركى Mai — Kaiserki أى قاتل ، الثعبان كسركى أو الثعبان سركى Serki ، وتحرف المدلول بعد ذلك حتى صارت كلمة سركى ، عند الهوسا تعنى الملك أو الرئيس .

وقيل كذلك فى أساطير الهوسا ، إن الأصل فى هذا المصطلح هو ماى — كاس ساركى Mai — Kas — Sarki أى الذى قتل الملك أو الأسد ، والأسد فى لغة الهوسا معناه زاكى Zaki .

ويحلل بعض الكتاب هذا اللفظ بأن كلمة سركى Sariki مكونة من أداة الإضافة أو الربط ، وهى الحرف س (S) فى لغة تماشك + آر (Ar) وهو أصل كلمة « آرك » فى أركامان Ark — Aman وهذه الكلمة الأخيرة تقابل فى برنو كلمة Kayi أو Kiyi بمعنى شريف أو نبيل فى لغة نبلاء الطوارق ، ويقابلها Qe بنفس المعنى فى لغة مروى ، فى لغة صنغى كى Koy بمعنى حاكم .

ويقال ان كلمة كسرى Kisira محرفة عن ساركى Sarki أو سراكى Seraki فى لغة الهوسا ، وقيل كذلك إن أصل كلمة ساركى ، ربما يكون مشتقا من الكلمة المصرية سارع Sara أى ابن رع .

وعند الهوسا يعرف الساركن السابق أو المتوفى باسم ساكى ، Sa — Koy أى الملك أو الحاكم الراحل أو السابق . وجرت العادة عند الهوسا أنه لايدفن الساكى إلا بعد إتمام عملية انتخاب الساركى الجديد ؛ وكان عثمان دان فودى (ت ١٨١٧) زعيم الفولانيين يلقب بأمير المؤمنين (Sarkin — Musulmi)

سوكوما : Sukuma بلغة الكانورى ، المرأة التى فقدت جميع أولادها ماعدا واحدا .

سيكوما : Sikuma أوزجينا Zigîna لقب برنوى معناه رئيس المعسكر .

شتيما : Shettima أو شيتاتيما Shitatima لقب تعظيم للعلماء والفقهاء ، اشتهر أواخر عصر برنو ، الشيتاتيما على بن دوجوما والشيتاتيما جايوما زمن الماى

أحمد بن على (ت ١٨٠٨) ، ويشبه هذا ما عرف فى صنغى : لقب « الفع » أو « ألفا » وهذه الكلمة اختصار لكلمة الفاهم « العربية » وأطلق لقب الشيتما كذلك على بعض حكام المقاطعات ، مثل حكم مقاطعة موبر فى شمالى برنو أواخر القرن التاسع عشر ، ولعل لهذا صلة بحركة الجهاد الدينى للشيخ عثمان دان فودى ، إذ أن حاكم موبر ، الذى اشتهر بهذا اللقب ، من سلالة جونى مختار (ت ١٨١١) ، أحد قادة الفلانيين وأحد حملة الأعلام ، وهؤلاء هم قادة وحكام الفولانيين ، وهم من العلماء .

شوا : Shiwa أو Choa هم العرب فى منطقة بحيرة تشاد ، ويطلق عليهم أهل واداى اسم القرعان ، ويطلق الطوارق عليهم اسم إكارادا Ikarada .

شيما : Chima فى برنو معناه حاكم الولاية أو حاكم المقاطعة .

شيهو : Chehu بمعنى حاكم أو شيخ أو رئيس ، لقب به الشيخ عثمان دان فودى الفولانى (ت ١٨١٧) كما لقب به الشيخ محمد الأمين الكانمى (ت ١٨٣٥م وشيوخ برنو من سلالة الكانمى .

طالوب : Talob أو طالبا أو طولبا Talba or Tolba من ألقاب كبار العلماء فى برنو ، مثل طالبا طاهرا وطولبا محمد بن جايو زمن الماى أحمد بن على (ت ١٨٠٨)

طقية : Tagia ، طقية أو قلنسوة لها قرنا ثور كان يلبسها بعض ملوك النوبة .

غبدامه : Gabidâma سيد أو صاحب أرض كبى Kebbi أو جابى .Gabi

فترى : Fitri أو Furti بمعنى البحيرة أو أرض الفوت Fut أى أرض الكانورى .

فكومه (انظر فوجو فيمايلى)

فوت : Fut بمعنى الغرب .

فوجو : Fugu فى لغة الكانورى بمعنى رئيس او شيخ بدو ويقابلها فى لغة تماشك أغولا Aghulla . ومنها الفوجاما أو الفكومه Fuguma أى حاكم المنطقة الداخلية أو والى العاصمة .

القرعان : (راجع شوا) .

كانتا : Kanta لقب بمعنى حاكم أو ملك عند قبائل كوكو ، ومثلها كاندا Kanda .

الكانمبو : Kanembu : أى الكانميون أو أهل كانم والمفرد : كام – كانم ماKam - Kanem - Ma وما Ma تدل على معنى الملكية أو التبعية فى صيغة المفرد وجمعها بو Bou .

كور : Kore ، لقب أطلق على الملك كورجانا (رقم ٢٣) ، ومعناه إنه لم يحكم سوى سنة واحدة ، ويعرف صاحب هذا اللقب كذلك باسم : كور الصغير .

كوكناوا : Kokenawa : أى أعضاء مجلس الإثنى عشر أو مجلس الإثنى عشر عضوا ، وهو المجلس الأعلى فى برنو ، وعرف هذا المجلس كذلك، باسم نوكينا Nokena .

كى : Kayi أو Keyi أو Qe : بمعنى نبيل أو شريف فى لغة مروى ، وفى اللغة الكانورية ولهذه الكلمة أصول فارسية . (انظر الماغومى وراجع توما غورى) .

كيتاكى : Kitaki : كلمة زغاوية بمعنى « أم »

كيغامه : Kaigam معناها حاكم الاقليم الجنوبى حول تشاد فى إمبراطورية البرنو ، وأصل اللفظ Kago أو Kaîgam وهو الاسم الذى عرفت به بحيرة تشاد ، ومنه جاء لقب سيد الجنوب Cagha-Ma أو Kaiga-Ma .

لاميدو : Lamido لقب بمعنى أمير أو حاكم فى اللغة الفولانية ، وقد اشتهر بهذا اللقب حكام مملكة أداماوا .

لب : Lebo لقب بمعنى رمح فى اللغة الفولانية ، وقد اشتهر بهذا اللقب الإمام أحمد الفولانى (ت ١٨٤٤ م) ملك الفولانيين فى ما سنه على النيجر ، ولقب بالإمام أحمد الرمح لحسن بلائه فى الجهاد الإسلامى .

ما : Ma : بمعنى السيد أو ملك أو رئيس .

الماجرام : Magram فى برنو اللقب الرسمى لأخت الماى ولها نفوذ كبير على الأمراء ، فهى التى تتولى الإشراف على تربيتهم فى قصرها .

الماجيرا : Magera أو Maghira ؛ فى لغة الكانورى لقب الملكة الأم فى برنو ، وليس من الضرورى أن تكون الأم الحقيقية للماى الحاكم ، ولها امتيازات كبرى ، وسلطات واسعة فى الحكومة ، وتناظر الماجيرا فى برنو ، كانديس Candace فى مروى ، وكانديس كلمةزغاوية معناها : الأم .

الماغومى : Maghumi فى لغة الكانورى بمعنى رئيس أو ملك أو نبيل أو شريف ، ويقابلها فى لغة مروى تروجو Trogu ، وفى لغة الطوارق : إيما غارن Imagharen ، وكذلك يعرف النبلاء أو الطبقة الحاكمة فى برنو أسماء أخرى منها كى Kayi و دركو Dirku (انظر كى)

مالا : Mala لقب من ألقاب العلماء فى برنو ، مثل مالا دونمه بن ياتامى وما لامحمد بخازار زمن الماى أحمد بن على ، وأحيانا يطلق لقب « مالا » على مهرة الصناع .

ماى : Mai : لقب ملوك برنو ومعناها ملك أو سيد ، وكذلك ماغ Magh ومى Me .

وماى Mai فى لغة الهوسا ، معناه صاحب ، ويقابلها ملك Mek فى السودان الشرقى .

ماى رام أو مريم : Mai-Ram أو Mariam فى لغة الكانورى بمعنى أميرة .

الماينا : Mai-Na أو Maina فى لغة الكانورى بمعنى أمير .

محرم : Mahram : لفظة عربية استخدمت فى برنو بمعناها الأصلى ، وتعنى منح أو امتيازات لشخص معين أو أشخاص معينين ، وينص فى الوثيقة المكتوبة على أن هذه الامتيازات أو المنح ، حرام على من يتعدى عليها ، من التحريم والحرمة التى لا يحل انتهاكها ، وحرّم الشيء جعله

حراما كأن يقول : حياة فلان وأمواله وأملاكه حرام على غيره (انظر نسخة محرم بالملاحق) .

مَسْبَرْمَه : Masbarma : لقب بمعنى الوزير الوراثي في برنو ، وقد اشتهرت إحدى الأسر في برنو بهذا اللقب وجدها الأكبر الإمام العالم الكبير بكر ، في القرن الحادى عشر الميلادى ، وصدرت لهذه الأسرة ثلاثة محارم «أو ثلاثة محاريم» تمنحها امتيازات كثيرة ، فقد برز فيها عدد كبير من علماء الدين ، ومن سلالتها الوزير إدريس بن هارون زمن الماى إدريس ألوما (ت ١٦٠٣ م) .

ملك : Mek : لقب ملوك السودان الشرقى .

نوكينا : Nokena : (راجع كوكناوا) .

نيل غانه : عند بطليموس وبليني والجغرافيين العرب هو نهر النيجر .

الهوسا : Hausa : مجموعة القبائل المتكلمة بلغة الهوسا ، وهى مجموعة لغوية أكثر منها بشرية .

وقيل فى اشتقاق أصل الكلمة إنها مكونة من كلمتين : هاو Hau بمعنى يركب أو يعتلى أو يمتطى + سا Sa بمعنى ثور أو عجل بقر ، فيكون معناها إذن : راكبو الثيران ، وظاهرة ركوب الثيران مألوفة فى بلاد السودان الأوسط ، ليس فقط عند الهوسا ، بل وجدت كذلك بين الشوا (العرب) فى برنو (انظر الصورة) .

واحة العوينات فى لغة الكانورى والتدا معناها : « كوتوجود جوا نجامدى تالا » Ko-Tugu DegwanN'Gamdi Tala ومعنى هذه التسمية أو هذا المصطلح ، صخرة أرض نجام N'Gam أو صخرة التلال الأربعة ، ولما كانت هذه الواحة مقر سكنى وعمران ، أطلق عليها كذلك فى برنو اسم : كابيلا Kabila أو جبلا Gabala وهذه التسمية الأخيرة استعيرت فى برنو ، ويمكن إطلاقها على جميع عواصمها ، باعتبار كل عاصمة مركز استقرار وسكنى وعمران .

يريمة Yerima عند الكانورى بمعنى ولى العهد ، وهو من بين أعضاء المجلس الإثنى عشر ويتولى عادة حكم الأجزاء الشمالية فى برنو .

المـراجـع

القسم الأول

المراجع العربية

القسم الثانى

المراجع الأجنبية

القسم الثالث

قائمة ببعض المراجع للمخطوطات العربية
في غربي افريقية

القسم الأول

المراجع العربية

١ – ابن الأثير (على بن أحمدبن عبد الكريم ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م)

الكامل فى التاريخ – بولاق ١٢٧٤ هـ .

٢ – ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد عبد الله بن سعيد الخطيب الملقب بلسان الدين الخطيب – ت ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م) .

الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية – تونس ١٣٢٧ ؛

٣ – ابن اياس : (أبو البركات محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤ م)

نشق الأزهار فى عجائب الأقطار – باريس ١٨٠٧ م

٤ – ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى ت ١٣٦٩ هـ .

تحفة النظار فى غرائب الأبصار وعجائب الأسفار فى أربعة مجلدات – ترجمها إلى الفرنسية ونشرها دفريمى وآخر – باريس ١٨٥٣ ؛

٥ – ابن حجر (الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)

أنباء الغمر بأبناء العمر — مخطوط فى مجلدين رقم ٢٧٦ ع بدار الكتب المصرية

٦ — ابن حوقل (أبو القاسم النصيبى ت٩٦٨ م)
كتاب صورة الأرض — القسم الأول ليدن ١٩٣٨ :

٧ — ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله)
المسالك والممالك — ليدن ١٣٠٩ هـ

٨ — ابن صود : تذكرة النسيان فى أخبار ملوك السودان (نشر وترجمة هوداس — باريس ١٩٠١ م (١) .

٩ — ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله ت ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م)
فتوح مصر — ليدن ١٩٢٠

١٠ — أبو الفدا (اسماعيل صاحب حماه ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)
كتاب تقويم البلدان ، ترجمه ونشره سولفيه
الجزائر ١٨٣٩ م)

١١ — أحمد بن فرتوا : انظر رقم ٢ بالمراجع الأجنبية)

١٢ — أحمد بابا التنكتى (أبو العباس) (١٥٥٣ — ١٦٢٧) : نيل الابتهاج بتطريز الديباج (القاهرة ١٢٣٩ هـ)

١٣ — الإدريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الإدريسى ، ولد فى سوتا ١١٠٠ م)
كتاب نزهة المشتاق فى ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمداين والآفاق — طبع حجر :
قطعة منه : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس — ليدن ١٨٦٦ م)

---

(١) أشار هوداس إلى جد هذا المؤلف وهو محمد بن الأمين محمد بن صود ، ولكن لم يشر إلى اسم المؤلف نفسه .

١٤ ــ الإصطخرى (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الإصطخرى المعروف بالكرخي ــ ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى)
المسالك والممالك (تحقيق الحينى ومراجعة ــ غربال مصر ــ ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م)

١٥ ــ الألورى (آدم عبد الله الألورى النيجيرى) : موجز تاريخ نيجريا (بيروت ١٩٦٥) (١)

١٦ ــ البشارى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الشامى المقدسى)
كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ــ ليدن ١٨٧٧ م)

١٧ ــ البكرى (أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى ت ١٠٩٤ م)
المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب (وهو جزء من كتابه المسالك والممالك ، نشره راندون ــ الجزائر ١٨٥٧ م)

١٨ ــ التونسى ــ (الصديق محمد بن السيد بن عمر التونسى)
تشحيذ الأذهان لسيرة بلاد العرب والسودان ــ طبع حجر ١٨٥٠ م

١٩ ــ السعدى (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدى ت بعد عام ١٦٥٥ م)
تاريخ السودان ــ باريس ١٨٩٨ م .

٢٠ ــ العبادى (الأستاذ عبد الحميد)
المجمل فى تاريخ الأندلس ــ مصر ١٩٥٨ .

---

(١) الألورى مؤلف هذا الموجز ، أصدره على شكل قاموس صغير يلقى الضوء على تاريخ نيجريا ، وهو مسلم نيجيرى ، يشغل الآن وظيفة عميد المركز العربى الإسلامى فى باغيغى بنيجريا . وله أكثر من مؤلف عن الاسلام فى تلك البلاد ، منها : الإسلام فى نيجيريا وعثمان بن فودى ، وقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٥٠ م ــ وله كذلك كتب تحت الطبع اشار إليها ، منها : مشاكل التعليم العربى فى نيجيريا ــ أهداف مركز التعليم العربى ــ الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم ــ الإسلام بين الدعاة والأدعياء .

٢١ ــ العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩ هـ
١٣٤٨ م) .

١ ــ التعريف بالمصطلح الشريف ــ مصر ١٣١٢

٢ ــ مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ــ الأجزاء المخطوطة :

٢٢ ــ الغرناطي ــ (أبو حامد محمد بن عبد الرحيم الأندلسى
ت ١١٧٠ م)

كتاب تحفة الألباب ــ نشره فرار Ferrard ــ باريس ١٩٢٥

٢٣ ــ القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت٨٢١ هـ /١٤١٨م)
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ــ فى ١٤ مجلداً ــ طبع دار الكتب
المصرية)

٢٤ ــ المسعودى (أبو الحسن على بن الحسن المسعودى الرحالة
ت ٩٥٦ م)

١ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر ــ مصر ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥م

٢ ــ أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان :
مخطوط فى مجلد رقم ٨٧٩ بدار الكتب المصرية

٢٥ ــ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١١٤٤ م)

١ ــ السلوك لمعرفة دول الملوك ــ نشر زيادة مصر ١٩٣٦ :

٢ ــ الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ــ نشر
الشيال مصر ١٩٥٥ :

٣ ــ الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام .
(مصر ١٨٩٥)

٢٦ ــ اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب الكاتب المعروف بابن واضح
الأنصارى ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م)

تاريخ اليعقوبى ــ النجف ١٣٦٨ هـ ؛

٢٧ – بلو (محمد بلو بن عثمان دان فودى الفولانى ت ١٨٣٢ م) :
انفاق الميسور فى فتح بلاد التكرور – كتبه فى الفترة بين ١٨١٠ – ١٨٢٥ م – وحقق هذا الكتاب وتنج C. E. J. Whitting ونشره فى لندن عام ١٩٥١ ، ١٩٥٧ .

٢٨ – جنيد (المعلم جنيد وزير صكتُ الفولانى) :
مزار أمير المؤمنين محمد بلو كتبه باللغة العربية ولغة الهوسا – فرغ من تأليفه عام ١٣٧٨ هـ)

٢٩ – جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام – بغداد ١٩٥٤ – ١٩٦٠

٣٠ – دافيدسن (بازل) (B. Davidson)
إفريقية تحت أضواء جديدة ترجمة جمال أحمد – مصر ١٩٦١

٣١ – كدبُّوز (محمد على) : تاريخ المغرب الكبير
جزءان – مصر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤

٣٢ – ديشان H. Deschamps
الديانات فى افريقية السوداء ترجمة أحمد صادق مصر ١٩٥٦ (الألف كتاب رقم ٤٢)

٣٣ – زامباور Zambaur
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ترجمة زكى محمد حسن وآخرين مصر ١٩٥١ .

٣٤ – سلمجان Seligman .
السلالات البشرية فى افريقية – ترجمة يوسف خليل مصر ١٩٥٩ .

٣٥ – طرخان (الدكتور إبراهيم على طرخان)
١ – الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى (المجلة التاريخية العدد الثامن ١٩٥٩) .
٢ – مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة (مصر ١٩٥٩)

٣ – المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى (مصر ١٩٦٦)
٤ – غانه فى العصور الوسطى (مصر ١٩٦٧)
٥ – البرتغاليون فى غربى افريقية (مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – مايو ١٩٦٧ ؛
٦ – النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى (المكتبة العربية مصر ١٩٦٨)
٧ – الإسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى (مصر ١٩٦٩)
٨ – امبراطورية غانه الإسلامية (المكتبة العربية – مصر ١٩٧٠)
٩ – قيام امبراطورية مالى الإسلامية (مصر ١٩٧٠)
١٠ – دولة مالى الإسلامية – القاهرة ١٩٧٣م
١١ – امبراطورية الفولانيين الإسلامية (تحت الطبع)
١٢ – دول الهوسا الإسلامية (تحت الطبع) .
١٣ – إمبراطورية صنغى الإسلامية (تحت الطبع)
١٤ – دولة التكارره الإسلامية (تحت الطبع)
١٥ – الإمارات العربية الإسلامية فى شرقى أفريقية (تحت الطبع)
٣٦ – قداح (نعيم قداح) افريقية الغربية فى ظل الإسلام – كوناكرى ١٩٦٠ ؛
٣٧ – كعت (القاضى الفع محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمنى دارا ، التنبكتى مسكنا ، الوعكرى أصلا ، بدأ تأليف كتابه عام ٩٢٥ هـ /١٥١٩ م) (١) ؛

تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار ؛

(١) أشار صاحب الفتاش فى ص ٤١ إلى بعض المؤلفين الذين اعتمد عليهم فى كتابة تاريخه ، منهم : باب كور بن الحاج محمد بن الحاج الأمين : درر الحسان فى أخبار بعض ملوك السودان .

نشره دلافوس وهوداس ـــ باريس ١٩١٣ م) .

٣٨ ـــ ليو الافريقى (حسن بن محمد الوزان ، ولد حوالى عام ١٤٩٣م وتوفى حوالى عام ١٥٤٠ م ـــ انظر المراجع الأجنبية (رقم ٥٨)

٣٩ ـــ محمد بن أحمد الفا هاشم الفوتى ت ١٣٤٩ هـ) (١)
تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان (طبع مصر) .

٤٠ ـــ ياقوت (أبو عبد الله ياقوت الحموى الرومى ت ١٢٢٩م) .
معجم البلدان مصر ـــ ١٩٠٦) .

(١) راجع كلمتى ألفا وفوت بالمصطلحات وكذلك راجع كلمة شتيا.

القسم الثانى

المراجع الأجنبية

1.—Ado Boalen : The Caravan Trade in the 19th. Century.

(من بحوث مؤتمر الدراسات الافريقية التاريخية والأثرية — الذى عقد فى لندن فى يوليو ١٩٦١)

2.—Ahmed Ibn Fartua : History of the First Twelve Years of the Reign of Mai Idris Alooma)1571-1583), London, 1962.

3.—Anderson, J.N.D., Islamic Law in Africa, London, 1954

4. Arkell, A.J., Chad Area Between, 800-1200 D.A.

(من بحوث مؤتمر الدراسات الافريقية التاريخيه والأثرية — لندن ١٩٦١

5.—Arnett, E.J., The Rise of the Sokoto Fulani, Kano, 1922

6.—Barbour, K.M. and Prothero, R.M. (Editors), Essays on African Population, London, 1961.

7.—Barth, H., Travels and Discoveries in North and Central Africa (1849-1855), London, 1875.

8.—Baur, T., West African Trade.,, Cambr., 1951.

9.—Baumann, H. et Westermann, D., Les Peuples et les Civilisations de l'Afrique, Paris, 1928.

10.—Bernard, A., Afrique Septentrionale et Occidentale (Geogr. Univ.), T. XI, Paris, 1939.

11.—Blake, J.W., European Beginnings in West Africa, 1450-1578, London, 1937.

12.—Blet, H., La Colonisation Française, Paris, 1946.

13.—Blyden, E.W., Christianity, Islam and the Negro Race, London, 1881.

14.—Bonnel de Mézière, A., Rapport sur le Haut Oubanji, Le Tombou et Le Bahr El-Ghazal, Paris, 1901.

15.—Bouillié, R. Les Coutumes Familiales au Kanem, Paris, 1937.

16.—Bovill, E.W. :

(1) Caravans of the Old Sahara, Oxf., 1933.

(2) The Golden Trade of the Moors, London, 1961

17.—Boyd, A. and Rensburg, P., An Artlas of African Affairs, London, 1962.

18.—Brevié, J., Islamisme Contre Naturisme au Soudan Français, Paris, 1923.

19.—Brouin, M., Le Pays de Ouacha, (Bulletin du Comintè d'Etudes Historiques et Scientifiques de l'A.O.F., T. XXI, 1938).

20.—Brown, L.A., The Story of Maps, London, 1951.

21.—Budge, E.A.W., A History of Ethiopia, Nubia and Abyssinia, London, 1907.

22.—Burns, A.S., History of Nigeria, London, 1955.

23.—Carbou, H., La Region du Tchad et du Ouadai, Paris, 1912.

24.—Cheigh Anta Diop, L'Afrique Noire Précoloniale, Paris, 1952.

25.—Church, R.J.H., West Africa, A Study of the Environment and Man's use of it, London, 1961.

26.—Clark, F. and Others, The New West Africa, Problems of Independence, London, 1953.

27.—Cooley, W.D., The Negroland of the Arabs, An Enquiry into the Early History and Geograpghy, of Central Africa, London, 1841.

28.—Coulbeau, J.B., Histoire Politique et Religieuse d'Abyssinie

29.—Davidson, B., Old Africa Rediscovered, London, 1959.

30.—Delafosse, M. :

(1) Traditions Historiques et l'Egendaires du Soudan Occidental (Trad. d'un Manuscrit Arab), Paris, 1913.

(2) ,,Wadai'' (Encyc. of Islam), Vol. IV, pp. 1075-1077

31.—De La Roncière, Ch., La Découverte de l'Afrique au Moyen Age, Le Caire, 1925.

32.—De Mézières, B.A.R., Rapport sur le Haut Oubanji, Le Tombou et le Bahr El-Ghazal, Paris, 1901.

33.—Denham, Maj., Clapperton, Capt., and The Late Dr. Oudney), Narrative of Travels and Discoveries in Northern and Central Africa, in the Years, 1822 and 1826. London, 1826.

34.—De Pedrals, D.P., Manuel Scientifique de l'Afrique Noire, Paris, 1949.

35.—Fage, J. :

(1) An Atlas of African Affairs, Cambr., 1958.

(2) An Introduction to the History of West Africa, Cambr., 1959.

36.—Fournel, M., La tripolitaine, Les Routes du Soudan, Paris, 1887.

37.—Gautier, E.F., Le Passé de l'Afrique du Nord, Les Siècles Obscures, Paris, 1937.

38.—Gentil, E., La Chute de l'Empire de Rabah, Paris, 1902.

39.—Gouilly, A., L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française, Paris, 1952.

40.—Gravière, G., Recherches sur les Navigations Européenes Au Moyen Age aux Cotes Occidentales de l'Afrique en Dehors des Navigations Port-ugaises du XVI Siècle, Paris, 1878.

41.—Grove, C.P., The Planting of Christianity in Africa, 4 Vols., London, 1948.

42.—Gunther, J., Inside Africa, N. York, 1955.

43.—Hobbey, L.F. :

(1) Early Explorers to Ad. 1500, London, 1961.

(2) Opening Africa, London, 1962.

44.—Hodgkin, T. :

(1) Nationalism in Colonial Africa, N. York, 1957.

(2) Islam and National Movement in West Africa.

(من بحوث مؤتمر الدراسات الافريقية التاريخية والأثرية ـ لندن ١٩٦١)

45.—Hogben, S.J., The Muhammadan Emirates of Nigeria, London, 1930.

46.—Johnson, T.W., To Wards National Hood in West Africa, London, 1928.

47.—Johnston, H.H. :

(1) The Opening of Africa, London, 1911

(2) A History of the Colonization of Africa by Allien Races, Cambr., 1913.

48.—Kamarer, A., Essai sur l'Histoire Antique d'Abyssinie.

49.—Keltie, J.S., The Partition of Africa, Stamf., 1895.

50.—Kirk-Green, A.H.M., Adamawa, Past and Fresent, London, 1958.

51.—Kitchen, H. (Edit.), The Educated African, London, 1963.

52.—La Bouret, H., Histoire des Noirs d'Afrique, Paris, 1946

53.—L. Lugard, F.L.S., A Tropical Dependency, An Outline of African History of the Western Soudan with an Account of Modern Settlement, London, 1905.

54.—Laird, M. and Oldfeield, R.A.K., Narrative of an Expedition into the Interior of Africa by River Niger in 1832, 19833 and 1834, 3 Vols, London, 1837.

55.—Lappie, P.D., My Travels Through Chad, London, 1943

56.—Le Chatelier, A., L'Islam dans l'Afrique Occidentale, Paris, 1899.

57.—Le Grip, A., L'Avenir de l'Islam en Afrique, Paris, 1905

58.—Leo Africanus, J.L. A More, A Geographical History of Africa. (Translated and Collected by John Pory), Londini, 1600.

59.—Lucas, C., The Partition and Colonization of Africa, Oxf., 1922.

60.—Marmol-Carjoval, L'Afrique, Paris, 1667.

61.—Martin, E.C., The British West African Settlement, 1750-1821, London, 1927.

62.—Marty, P. :

(1) Essai sur l'Islam et les Tribus de Soudan, Paris, 1920.

(2) Essai sur l'Islam et les Tribus Maures, Paris, 1921.

63.—Mauny, R. :

(1) La Préhistoire dans l'Afrique Occidentale Française, Paris, 1949.

(2) L'Ouest Africain chez les Géographies Arabes au Moyen Age, Dakar, 1951.

(3) Gravures, Peintures et Inscriptions Rupustres de l'Ouest Africain, Dakar, 1954.

64.—Meek, C.K., The Northern Tribes of Nigeria, London, 1925.

65.—Monteil, C., Les Empires du Mali, Paris, 1930.

66.—Monteil, Lieut. Col., De Saint Louis A Tripoli par le Tchad, Paris, 1894.

67.—Montezière, J., L'Afrique et l'Islam, Dakar, 1939.

68.—Morel, E.D., Affairs of West Africa, London, 1902.

69.—Murdock, G.P., Africa, its People and the Cultural History, N. York, 1959.

70.—Niven, C.R. :

(1) A Short History of Nigeria, London, 1955.

(2) The Land and People of West Africa, London, 1958.

71.—Okafor, A., History of West Africa (The New West Africa), London, 1953.

72.—Oliver, R. (Edit.), The Middle Age of African History, London, 1967.

73.—Palmer, H.R. :

(1) Sudanese Memoirs, 3 Vols., Lagos, 1928.

(2) The Bornu Sahara and Sudan, London, 1936.

74.—Parry, J.H., Europe and A Wider World, 1415-1715, » London, é949.

75.—Pedler, F.J., West Africa, Straid, Eng., 1959.

76.—Piquet, V., Histoire de l'Etablissemont des Araber dans l'Afrique Septentricual, selon les Auteurs Arabes, Paris, 1875

77.—Priestley, H.I, France Overseas, A Study of Modern Imperialism, N. York, 1938

78.—Pruen, S T, The Arab and the African, London, 1891

79.—Rouch, J, Les Songhay, Paris, 1954

80.—Selighan, C G, Egypt and Africa, London, 1934

81.—Shinnie M., Ancient African Kingdoms, London, 1965

82.—Smith, F.C., 19th century Arabic Archives of West Africa.

(من بحوث مؤتمر الدراسات الافريقية التاريخية والأثرية ــ لندن ١٩٧١)

83.—Spitz, G., L'Ouest Afrioan Français, Paris, 1947

84.—Sudanese Gove nment, Memorandum on the Emigration and Distribution of West African inthe Sudan, Khartoum

85.—Talbot, P.A., Peoplelos SouthernNigeria, 4Vols, London, 1936.

86.—Temple, O., Notes on the Tribes, Provences, Emirates and States of the Northern Provence of Nigeria, Lagos 1922.

87.—Tompson, V. and Adloff, R., French West Africa, Lond., 1958.

88.—Toutée, C., Dahomé,Niger, Touareg, (Recits de Voyages) Paris, 1897.

89.—Trimingham, J.S., Islam in West Asrica, Oxf, 1959

90.—Urvoy, Y,:

(1) Histoire de Populations du Soudan Central, Paris, 1936.

(2) Petit Atlas Ethno-Demographique du Soudan, entre Sénégal et Tchad, Paris, 1942

(3) Histoire de l'Empire du Bornu, Paris, 1949

91.—Yver, G,

Art

«Bornu» (Encyc of Islam, Vol I, pp 747-754).

«Hausa» (Encyc. of Islam, Vol. II, pp. 290-1922).

«Kanem» (Encyc. of Islam, Vol. II, pp. 712-716).

القسم الثالث

قائمة ببعض المراجع للمخطوطات العربية في غربي أفريقية

1.—Aida S. & Ahmed M. Abu Hakima : Description Catalogue of Arabic Manuscripts in Nigeria, Lond., 1965.

2.—Hassan & Shuabu, Chronicle of Abuja, Ibadan, 1952.

3.—Jackson, G., An Account of Timbuctoo & Hausa, Lond., 1820.

4.—Kensdale, W.E.N., A Catalogue of the Arabic Manuscripts preserved in the Univ. Library of Ibadan, Nigeria, 1955-1958.

5.—Smith, H.F., Source Material for the History of the Western Sudan (J. of the Historical Society of Nigeria) 1-3 ; 1958.

6.—Vajda, G., Contribution à la Connaissance de la litterature arabe en Afrique Occidentale (J. de la Société des Africanistes, T. XX, 1950).

المحتوى

الصفحة

الصفحة

ظهور عبد الجليل بن سيكوما البولالى (ت ١٤١١ م) — عبد الجليل يقتل أربعة من المايات — طرد أسرة المايات من كانم زمن الماى عمر بن إدريس (ت ١٣٩١ م) — حكومة البولالا فى كانم ومناوأتهم للأسرة السيفية الشريدة فى برنو — بداية عصر سيادة برنو . ٩١

الفصل السادس

العصر البرووى

أو

عصر سيادة برنو

فجر العصر البرنوى والمشاكل التى واجهت مايات الأسرة السيفية — الحروب الأهلية بين أبناء الأسرة السيفية — بروز سلطة كيغامة وخطرها — الماى عثمان بن إدريس ورسالته إلى السلطان برقوق ومضمونها — استمرار الفتن الداخلية — الماى عثمان كارادیما (١٤٢٥ م) وتشرده فى بلاد الهوسا — ظهور شخصية الماى على بن زينب الملقب بالغازى (ت ١٥٠٣ م) صانع الملوك — القضاء على الفتن الداخلية — بناء العاصمة بيرنى — حروبه ضد الهوسا — جهوده فى محاولة استرداد كانم — ليو الافريقى وزيارة برنو — الماى إدريس بن عائشة (ت١٥٢٦م) ودخول جيمى العاصمة القديمة فى كانم — جهود خلفائه — الحاج إدريس ألوما (ت ١٦٠٢ م) ووصاية الماجيرا عائشة — أحمد بن فرتوا مؤرخ بلاط برنو — إدريس ألوما أعظم سلاطين برنو — ما سجله الإمام أحمد بن فرتوا عن حروب ألوما فى كانم وتعيين الحدود بين كانم برونو — حروب إدريس ألوما ضد الطوارق — ضد الصو ودول الهوسا — جهاده ضد القبائل الوثنية فى جزائر بحيرة تشاد — عظمة برنو فى عهده . ١٠٣

الفصل السابع

نهاية امبراطورية البرنو

خلفاء إدريس ألوما — مظاهر الضعف ودلالة كثرة المجاعات — أخطار القبائل الوثنية فى الجنوب — الحرب مع كانو — ظهور الفولانيين : أصولهم وتحركاتهم — انتشارهم فى برنو — نبوءة أحد علماء الفولانيين بظهور عثمان دان فودى الفولانى — ظهور عثمان دان فودى (١٧٥٤ — ١٨١٧ م) — صراعه مع أمير جوبير — عثمان يعلن الجهاد المقدس — موقفه من بلاد الهوسا — حملة الأعلام وجهادهم — سيطرتهم على معظم بلاد الهوسا وبعض أجزاء برنو — تهديد عاصمة برنو — ظهور الشيخ الأمين الكانمى (ت ١٨٣٥م) ومساندته لمايات برنو — سقوط عاصمة برنو فى أيدى الفولانيين ١٨٠٨ م — استعادتها ١٨١١ — رسائل ومناقشات فقهيه بين الكانمى وشيهو Shehu عثمان دان فودى وابنه محمد بللو — ازدياد قوة الفولانيين وازدياد ضعف برنو — استبداد أسرة الشيخ أمين الكانمى بمايات برنو الضعاف — عزل آخر مايات الأسرة السيفية عام ١٨٤٦ م — حكام برنو الجدد يلقبون بالشيوخ — كوكا العاصمة الجديدة لبرنو — الاستعمار الأوربى والبعثات الكشفية الاستعمارية — استقبال الشيخ عمر الكانمى الرحالة الألمانى بارث عام ١٨٥٢ وغيره — استقبال الشيخ هاشم الكانمى (ت ١٩٨٣) الرحالة الفرنسى شارل مونتى عام ١٨٩٢ — هجوم رابح قائد الزبير باشا — رابح يكافح الاستعمار الانجليزى والفرنسى ويسيطر على برنو ست سنوات — اتخاذ مدينة دكوا جنوب بحيرة تشاد عاصمة له — تقسيم برنو فى عام ١٨٩٤ بين إنجلترا وفرنسا وألمانيا — مقتل رابح على أيدى الفرنسيين بقيادة لامى عام ١٩٠٠ شيوخ برنو يتولون مناصبهم تحت سيطرة الاستعمار الأوربى —

الفصل الثامن

الأحوال العامة فى امبراطورية البرنو

محتوى الملاحق

الخرائط

الصور

صفحة

المراجع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

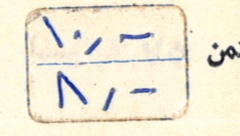
رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/٣٠٦١

امبراطورية البرنو الاسلامية

تأليف
دكتور ابراهيم على طرخان

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الثمن



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب